

اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل
حاسة داسا
البحر جمع
حاسة داسا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة البصرة — كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

**فلسفة ابن تيمية في التعامل مع شخصية الإمام
علي ((عليه السلام)) (دراسة في كتاب منهاج السنة)**

أطروحة تقدم بها الطالب

علي رحيم أبو الهيل الجابري

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية — جامعة البصرة
وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور حميد سراج جابر الأسدي

٢٠١٥ م

١٤٣٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ

مُتِمُّ نُورِهِ وَلِئَلَّا يَكْفُرَ الْكَافِرُونَ

صدق الله العلي العظيم

سورة التوبة، الآية: ٣٢

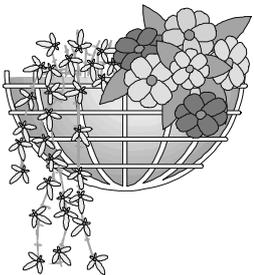
الإهداء

إليك يا رسول الله وإلى باب مدينة علمك وإلى ابنتك
البتول الطاهرة (عليها السلام)

إلى كل الأرواح التي عرجت إلى جنة الخلد وهي سائرة
على طريق أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) في يوم
الأربعين....

إلى المغدورين من إخواننا بيد الهمجية و الطائفية ، إلى
شهداء قاعدة سبايكر كي لا يُنسوا
أهدي هذا الجهد

علي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، والصلاة والسلام
على محمد وآله الطاهرين ...

أتقدم وأنا في مقام الشكر ، بالشكر إلى الله سبحانه وتعالى على إتمام
هذه الدراسة فله الحمد وله الشكر في كل آن وزمان ...

كما أن من دواعي اللطف الإلهي أن حباني الله سبحانه وتعالى
بأستاذ وأخ ومرب تحمّل معي كثيرا من العناء وصبر معي غاية الصبر ،
فأفادني بفيض علمه وجميل ما خطه قلمه و أنتجه فكره ، فلولاه لما حلت
تلك الدراسة بهذه الحلة التي أحمد الله سبحانه وتعالى عليها ، فلأستاذي
المشرف الأستاذ الدكتور حميد سراج جابر خالص الشكر وأحسنه ،
وشكري له يبقى عامرا موصولا ، وليت إفاضاته لا تنعدم عني ، فهو بحق
مرب لي قد صاغ شخصيتي البحثية صياغة أنتجت هذا الجهد ، فجزاه
الله عني كل خير وادخر له جميل صنعه بي ليوم القيامة وجعله من
الذين يحظون برفقة محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ...

كما يطيب لي أن أشكر كل أساتذتي خصوصا الأب الفاضل الأستاذ
الدكتور نزار عزيز حبيب ، الذي كان مشجعا لي في الخوض بمثل هكذا
موضوع مقدما لي النصائح والإرشاد والتشجيع والحث فجزاه الله خير
الجزاء وأكرمه ...

كما أقدم خالص الشكر إلى أستاذي الأستاذ الدكتور حسين علي
الشرهاني الذي أبقى أحس بالانتماء إليه ما بقيت حيا ، لما أجاده عليّ
من تحببذ مواصلة العطاء والبحث العلمي والنصيحة و الإرشاد ..

كما أقدم الشكر والثناء إلى السيد رئيس قسم التاريخ الأستاذ الدكتور
شكري ناصر عبد الحسين لحنوه الأخوي ونظرته المتعاطفة لكل طلبة
الدراسات العليا ، وفقه الله وسدده وحفظه من كل سوء ...

وكذلك أقدم جميل العرفان وأصدقته إلى السيد رئيس قسم التاريخ
بكلية التربية الأساسية بجامعة ميسان الأستاذ المساعد الدكتور فلاح حسن
حمادي لدوام سؤاله وكثرت حثه لي وتفقدته أحوالي فجزاه الله خيرا
وأحسن إليه ...

كما أقدم خالص الامتنان لأخي الدكتور شهيد كريم محمد والأخ شاكر
عويد لما قدما لي من عون وإخلاص ومحبة فشكر الله سعيهما ووفقهما ..

كما أقف وقفة تقدير واحترام وشكر ليس بعده شكر لوالدي العزيزين
وأسأل الله أن يطيل عمرهما و يمنحهما الصحة والعافية ..

وأخيرا أقدم شكري لزوجتي لما تحملته من صبر معي فجزاها الله خير
الجزاء وأحسنه .

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة جرى تحت إشرافي في قسم التاريخ –
كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة ، وهي جزء من متطلبات نيل
شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

التوقيع

أ.د حميد سراج جابر الأسدي

التاريخ / / 2015م

توصية رئيس القسم

بناءً على توصية المشرف أُرشح هذه الأطروحة للمناقشة .

التوقيع

أ.د شكري ناصر عبد الحسن المياحي

التاريخ / / 2015م

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٧-١	المقدمة
٣٨-٨	الفصل الأول شخصية ابن تيمية ومؤثرات النشأة على أسلوب التعامل الفكري
٩	أولاً : اسمه وشهرته
٢٠-١٠	ثانياً : مؤثرات النشأة
١٥-١٠	١- المؤثر البيئي (المكان)
١٦-١٥	٢- المؤثر العائلي
١٩-١٦	٣- المؤثر العلمي
٢٢- ٢٠	ثالثاً : الغرور العلمي والأعداد بالذات
٢٥-٢٢	رابعاً : موقف العلماء منه
٢٧- ٢٥	خامساً : موقفه من معاصريه ومحاجبيه
٣٦- ٢٧	سادساً : موقفه من العلامة الحلي وتأليف كتاب منهاج السنّة في الرد عليه
٣٨ - ٣٦	سابعاً : القيمة العلمية لمنهاج السنّة

٩٨ - ٣٩	الفصل الثاني فلسفة التعامل مع الشخصية العلمية والمعرفية للإمام علي (عليه السلام)
٤٨ - ٤١	أولاً : آية الإسقاط والإستباحة للأثر القرآني الدال على مكانة الإمام علي (عليه السلام) العلمية
٥٨ - ٤٨	ثانياً : طرح نظير للإمام علي (عليه السلام) وترجيحه في معرفة القرآن
٧٢ - ٥٨	ثالثاً : آية التشكيك بالسعة العلمية للإمام علي (عليه السلام) في مجال التفسير
٨٠ - ٧٢	رابعاً : آية النفي والتشكيك بصحة الأثر النبوي المعرف بشخصية الإمام علي (عليه السلام) العلمية حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها)
٩٣ - ٨٠	خامساً : آية المبالغة في أعلمية الصحابة
٩٨ - ٩٣	سادساً : آية أدعاء التناقض العلمي عند الإمام علي (عليه السلام)
٢١٣ - ٩٩	الفصل الثالث فلسفة التعامل مع الشخصية العسكرية للإمام علي (عليه السلام)
١٦٧ - ١٠٠	أ / مكانة الشخصية الجهادية للإمام علي (عليه السلام) حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)
١٠٩ - ١٠٠	أولاً : المبيت على فراش النبي (صلى الله عليه وآله)
١٢٧ - ١١٠	ثانياً : شجاعة الإمام علي (عليه السلام)
١٤١ - ١٢٧	ثالثاً : نفي الإمكانات والمكانة

١٥٤-١٤١	رابعاً : الدور المحوري للإمام علي (عليه السلام) في المعارك ومعالجات ابن تيمية
١٦٧-١٥٤	خامساً : قيمة الجهد المعنوي للإمام علي (عليه السلام) عند ابن تيمية
٢١٣-١٦٧	ب / حروب الإمام علي (عليه السلام) الداخلية المشروعية وآليات الطعن
١٩٧-١٦٨	أولاً : المشروعية وآليات الطعن
٢١٣-١٩٨	ثانياً : المعالجة والرؤية لموقف الخارجين عن الإمام علي (عليه السلام)
٢٨٤-٢١٤	الفصل الرابع أستحضار البعد الشرعي في خلافة الثلاثة وفلسفة التجريد
٢٢٨-٢١٥	أولاً : آلية استلاب النص وإزاحة الدلالة
٢٣٩-٢٢٨	ثانياً : آلية توظيف الحديث الموضوع الشاذ والمحرف لدلالة المشروعية
٢٥٤-٢٣٩	ثالثاً : دعوى الإجماع وعدمه وفلسفة التغافل عن الواقع التاريخي
٢٨٤-٢٥٤	رابعاً : آلية الترجيح والتجريح
٢٧٠-٢٥٤	١ - خلافة العجز عن العدل
٢٧٨-٢٧٠	٢ - المعيار الإداري

٢٨٤-٢٧٨

٣- المعيار الإعلامي الشكلي (الفتوحات إنموذجاً)

٢٨٨-٢٨٥

الخاتمة

٣١١-٢٨٩

قائمة المصادر والمراجع

المخلص باللغة الإنكليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبا القاسم محمد وعلى آله الطيبين
الطاهرين المعصومين...وبعد...

إن من يطلع على تراث المسلمين وبمختلف نواحيه وجوانبه العلمية لن يتولد لديه
أدنى شك بأن شخصية الإمام علي (عليه السلام) كانت هي الشخصية المحورية التي ابتنى
الإسلام عليها ، فما قدمه سلام الله عليه من عطاء واندفاع ودفاع عن الوجود الإسلامي
طيلة حياته الشريفة ميزه عن أقرانه من المنتمين للمدة التي عاشها وما تلاها إلى أن يرث
الله الأرض ...

غير أن تلك المحورية الدينية و السياسية التي كان عليها قد زويت عنه وأقصى عن
إدارة الدولة الإسلامية وسياسة أمورها ، إلا أن خلافته الدينية وهيمنته المعرفية والعلمية على
منابع التشريع ولدت حاجة ماسة إليه لم يستطع أحد أن يقصيه عنها ، فكان الإمام (عليه
السلام) مرجعا دينيا وفكريا في عهد السلطة السياسية التي قامت بعد رسول الله (صلى الله
عليه وآله) وميسرا لأمر الدين برؤية إسلامية لا تحيد عن المنهج الحق الذي يبتغيه الله
سبحانه وتعالى .

لكن مع شديد الأسف لم تكن تلك الرؤى منسجمة مع كل رؤى السلطة السياسية أو
توجهاتها، لذا كان ما قدمه الإمام(عليه السلام) إنما يحضى بقبول في حالة انسجامه مع
توجه تلك الخلافة ، وبحالة رفض اذا ما تعارض معها ، مما ولد و برز نتوءات في جسد
الأمة أصابته في الصميم .

فتقريب بني أمية وزجهم في إدارة أمور الدولة الإسلامية السياسية والإدارية جعلهم
أكثر نشوة واعتدادا بالنفس وأكثر طموحا ، وأكثر تمردا وتجاهلا للخلافة الدينية ، وقد ظهر
ذلك جليا وواضحا وعلى أوجه أبان التلاقي الحاصل بين الخلافتين الدينية والسياسة سنة
٣٥ - ٤٠ هـ ، التي مثلتها خلافة الإمام علي (عليه السلام) .

إذ أصبح من غير المستساغ جدا أن يفسح المجال لمثل شخصية الإمام علي (عليه السلام) بالظهور والحكم ، مما مهد لهم استباحة كل ما ينتمي إليه ، فقاتلوه ثم بعد أن استشهد شرعوا بالنيل منه وتزييف كل ما من شأنه الدلالة على مكانة شخصيته ، في سياسة واضحة تبناها معاوية بن أبي سفيان ثم من تلاه من الأمويين .

وعلى الرغم من حالة الإيقاف لسياسة السب التي حصلت في زمن عمر بن عبد العزيز ، إلا أن هذا لم يمنع أن يظهر وبعد ستة قرون من يعيد ما قام به معاوية ، ولكن بحلة جديدة متلائمة مع طبيعة العصر الذي تنتمي إليه ، فحالة الدفاع عن الأفكار والمذاهب حالة معروفة بين أتباع المذاهب غير أنها لم تصل إلى ما وصلت إليه حالة ابن تيمية من العداوة و النصب تجاه شخصية الإمام علي (عليه السلام) ، إذ تقنعت بقناع الدفاع والحجاج المذهبي الرائج آنذاك ، فكانت (فلسفة ابن تيمية في التعامل مع شخصية الإمام علي عليه السلام دراسة في منهاج السنة) والتي هي محل الدراسة ترجع إلى تلك النظرة التحاملية . التي امتدت من معاوية وحتى ابن تيمية . وسببا في ولادتها بتلك الحلة المائلة أمامنا .

أما تاريخ هذه الفكرة فقد ولد مع بداية دراسة الماجستير التي كانت عن سياسة الأمويين في سب الإمام علي (عليه السلام) .

فضلا عن ذلك أن التغييرات السياسية التي طرأت على العراق بعد سقوط نظام صدام ، وما حصل من رواج إعلامي ، وما رافقه من نشاط إرهابي تكفيرى موجه ضد أتباع الإمام علي (عليه السلام) ، من قبل أناس يرتبطون ارتباطا عقديا بشخصية ابن تيمية ويتخذون من تراثه دليلا على المشروعية في أعمالهم . الجهادية . ولدت اطمئنانا لدى الباحث بأن الحالة الأموية و التيمية لم تمت بل تفاعلت وبدأت تنتظر وتنشط وتنشط متخذة من الحالة الإعرابية والجهل والتعمية وأموال النفط عوامل موسعة وميسرة لنشاطها وبالتالي كثرت أهدافها و ضحاياها التي تفننت بشتى الوسائل للقضاء عليهم والإجهاز على أنفاسهم .

لقد كان منهاج السنة النبوية لابن تيمية هو المصدر الأساس الذي حصرت فيه الدراسة ، ولعل ذلك راجع إلى صراحة الفلسفة الضدية المعتمدة فيه ضد الإمام علي (عليه السلام)

السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) ، والخصوصية العلمية له فهو كتاب الف ردا على منهاج الكرامة في اثبات الإمامة للعلامة الحلي ، أي أن تخصصه وتعرضه لشخصية الإمام (عليه السلام) بمختلف نواحيها هو الأمر الطاعي عليه ، وكل ما جاء من مواضع أخرى فيه إنما هو بالمرتبة الثانية وليس هو المقصد الحقيقي أو الهدف الأول لكتاب منهاج السنة فهده الأول هو النقض على العلامة الحلي وما صرح به من أدلة على شرعية و أحقية خلافة الإمام بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

يضاف إلى ذلك ما شاع في القنوات الفضائية من أن منهاج السنة إنما هو كتاب معبر عن حقيقة الاعتقاد في الإمام علي (عليه السلام) وليس تجريحا له معتمدين في ذلك على بعض العبارات التي دس ابن تيمية من خلالها سمومه إلى شخصية الإمام علي (عليه السلام)، وإلى المتلقين على السواء.

ولا شك أن عدم وجود دراسة أكاديمية عن تراث ابن تيمية المتعلق بأهل البيت في الجامعات العراقية هي أسباب منطقية جعلت الباحث يرتاد مثل هكذا تراث .

لقد جاءت الدراسة مقسمة إلى أربعة فصول ، حمل الفصل الأول عنوان " شخصية ابن تيمية ومؤثرات النشأة على أسلوب التعامل الفكري " استعرض فيه الباحث الحاضرة الأولى التي مهدت الانطلاقة لابن تيمية ومؤثرات البيئة والمؤثر العائلي ، كما تطرق الباحث إلى مكانة ابن تيمية في نظر العلماء وأسلوبه في التعامل مع مخالفيه فكريا، وخصوصا العلامة الحلي الذي كان ابن تيمية من المتشددين والمتحاملين عليه بشكل واضح وكبير .

ونظرا لما حمله منهاج السنة من تعرض لشخصية الإمام علي (عليه السلام) العلمية ، فقد جاء الفصل الثاني بعنوان " فلسفة التعامل مع الشخصية العلمية والمعرفية للإمام علي (عليه السلام) " إذ ركز الفصل على محاولة ابن تيمية الطعن بالنص القرآني الذي أشار إلى الإمام (عليه السلام) وكذلك أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وإسقاطها من خانة الدلائل على التفرد العلوي بالخلافة المعرفية والعلمية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فضلا عن المبالغة التي حملتها فلسفته في بيان مكانة عثمان بن عفان العلمية ، وكذلك دعوى تأليف مؤلفات في تناقض الإمام (عليه السلام) العلمي .

في حين سلط الباحث الضوء في الفصل الثالث والذي حمل عنوان " فلسفة التعامل مع الشخصية العسكرية للإمام علي (عليه السلام) " على حالة الإنكار الواضح والصريح للموقف العسكري والجهادي للإمام علي (عليه السلام) ومكانته الجهادية مع الرسول (صلى الله عليه وآله) تلك المكانة التي نقضها ابن تيمية جملة وتفصيلا .

أما الفصل الرابع فقد وشح بعنوان " استحضار البعد الشرعي في خلافة الثلاثة و فلسفة التجريد " ليستعرض الباحث فيه ما ذهب اليه ابن تيمية في إبعاد واستلاب النص الدال على خلافة الإمام علي و تحييته عنها وجعله لصيقا وواضحا في خلافة الثلاث ، إذ وظف فيما وظف في ذلك مجموعة من الأحاديث الشاذة والموضوعة والمحرفة و التي تعتمد اعتمادا شبه كلي على الرؤى ، كما أنه جعل عدم الإجماع على خلافة الإمام دليلا عضد فيه ما يرومه من تجريد خلافة الإمام من الشرعية وترجيح خلافة غيره عليها .

في حين حملت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها الباحث .

لقد شكلت مجموعة من المصادر والمراجع رافد المعلومة الذي استقى منه الباحث في هذه الدراسة ، لعل من المناسب القول أن كتب الحديث والتي من أهمها(حسب الأهمية للبحث) : مسند أحمد بن حنبل المتوفى (٢٤١ هـ) ، وصحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري المتوفى (٢٥٦ هـ) ، وصحيح مسلم لمسلم بن الحجاج المتوفى (٢٦١ هـ) ، والمعجم الكبير والصغير والأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى (٣٦٠ هـ) ، و المستدرک على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى (٤٠٥ هـ) ، قد أخذت الجانب الأكبر في تلك المصادر فهي بحق قد أعطت كثير من الاضاءات التي توضحت من خلالها المغايرة الحقيقية لما أراده ابن تيمية من طمس لوجود تراث نبوي مؤيد لما ذكره الحلي من خصائص وصفات متعلقة بجوانب شخصية الإمام علي (عليه السلام) ، وكشفت عن اهمال حقيقي ومتعمد قام به ابن تيمية لذلك التراث النبوي الخاص بالتعريف لشخصية الإمام ، إذ حتى مع مغايرة اصحابها للمذهب الذي ينتمي اليه العلامة الحلي لم تكن رؤيتهم ونقولاتهم منسجمة ومتسقة مع ابن تيمية حتى مع انتماءه للمدرسة التي ينتمون اليها .

ومن المناسب القول أن كتب الرجال والطبقات والتراجم كان لها مكانها وبشكل واضح في ثنايا البحث ،فكان أهمها كتاب ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي المتوفى (٧٩٥هـ) ، وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي المتوفى (٧٤٨هـ) ، وكتاب فوات الوفيات لابن شاکر الکتبی المتوفى (٧٦٤هـ) ، وكتاب الوافي بالوفيات للصفدي المتوفى (٧٦٤هـ) ، الذي أمدنا بمعلومات عن ابن تيمية ينفرد بها ، كونه ممن عاصره وسمع منه وناظره ، وله معه موقف مميز سيتضح خلال البحث .

فضلا على ذلك كتب الجرح والتعديل ككتاب الثقات لأبن حبان المتوفى (٣٥٤هـ) ، وكتاب الجرح والتعديل للرازي المتوفى (٣٢٧هـ) وكتاب الكامل لابن عدي المتوفى (٣٦٥هـ) .

أما كتب التاريخ العام فكان من بينها كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري المتوفى (٣١٠هـ) ، وكتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر المتوفى (٥٧١هـ) ، والكامل في التاريخ لابن الأثير المتوفى (٦٣٠هـ) ، والبداية والنهاية لابن كثير المتوفى (٧٧٤هـ) .

ولعل من الضروري الإشادة والإشارة إلى المراجع الحديثة التي استقى الباحث منها ما يخص نظرة ابن تيمية لأهل البيت التي من بينها شرح منهاج الكرامة للسيد علي الميلاني ، و كتاب ابن تيمية فکرا ومنهجا للشيخ جعفر السبحاني ، وكتاب ابن تيمية في صورته الحقيقية لصائب عبد الحميد ، وكتاب نقد الخطاب السلفي لرائد السمهودي وغيرها من المراجع الأخرى.

وختاماً : لا يشك الباحث أن هذا البحث يضم بين طياته وصفحاته الكثير الكثير من النقص لأمر منها أن هذا البحث هو عبارة عن خوض تجربة الأولى في تراث ابن تيمية يتمنى الباحث من الله أن يديم عليه الاستمرار والتخصص فيه ، كما أن علة النقص المعترف به من قبل الباحث ترجع إلى طبيعة ابن تيمية في الالتواء والتعقيد والتبطين الفكري لآرائه ، فمن قرأها دون أن يعمل فيها فكره لم يجد فيها إلا ما هو توقيير واحترام للإمام (عليه السلام) ، غير أن تفكيكها والتدقيق فيها يوقعك على حقيقة مفادها أن صفات النفاق هي الصفات المغلفة لذلك الكلام ، وهو أمر استدعى من الباحث أن يعيد قراءة منهاج السنة

لعدة مرات ، وفي كل مرة يكتشف أنه قد غفل عن كثير من المطالب التي ينبغي البوح بها وإبرازها للمتلقي وأخذها حيزا في مجال الدراسة .

(وليس من اعترف بالنقص والتقصير كمن تبجح بالكمال والتمام) ... ، فالكمال والتمام لله وحده ونحن عبيده الخطئون التوابون الذين لا نملك إلا أهل بيت الرحمة في أن يكونوا شفعا لنا ويسددوا خطانا .

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه ، إنك سميع مجيب ، و الحمد لله رب العالمين .

أولاً : أسمه وشهرته :

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله الحاراني ، المشهور بابن تيمية ، ذلك اللقب الذي عزاه الباحثون إلى رأيين ، أولهما إلى اسم جدته التي كانت امرأة فاضلة عالمة و بها اشتهر أسم العائلة ^(١) ، وثانيهما يرجع إلى أن جده محمد بن الخضر قد حج سالكا درب تيماء ، فلما عاد وجد زوجته قد ولدت له بنتا فلقبها قائلها: يا تيمية فغلب ذلك اللقب ^(٢) ، ولد في حران ^(٣) سنة (٦٦١ هـ) وتوفي في دمشق سنة (٧٢٨هـ) ^(٤).

لقد راج ذكر ابن تيمية كثيرا في التراث الإسلامي ، ولعل مرد ذلك إلى الآراء التي استولدها في مسيرته العلمية التي اعتبرت أقرب إلى الشاذة منها إلى المعقنة المستندة على الدليل ، لذا فسحت له أن يشتهر شهرة سلبية حفلت بها كلمات معاصرة ومن تلاهم من العلماء ، فضلا عن ذلك ما روج له دعاة أفكاره إذ حاولوا أن يلمموا كل تراشه ولا يدخروا وسعا في نشره لما يعتبرونه ويرونه في شخصية ابن تيمية من التمثيل الحقيقي لمبادئ الكتاب والسنة، فهو القطب والحبر و الحضرة العالية وتاج العارفين وشيخ الإسلام وإمام الدنيا ، شيخ العلوم الإسلامية ^(٥).

- ١- ابن عبد الهادي ، العقود الدرية ، ٣- ٤ ، طبقات علماء الحديث، ٩٣ ، ابن شاکر الکتبي، فوات الوفيات ، ١ / ٣٥ ، وينظر : شمس والعمران ، الجامع لسيرة ابن تيمية ، ٢٩٢ .
- ٢- ابن عبد الهادي ، العقود الدرية ، ٤ ، طبقات علماء الحديث ، ٩٢ ، وينظر : شمس والعمران ، الجامع لسيرة ابن تيمية ، ٢٩٣ .
- ٣- مدينة على طريق الموصل والشام والروم ، قيل : سميت بهاران ابن أخي إبراهيم (عليه السلام) ، لأنه أول من بناها فعربت فقبل حران ، وذكر أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان ، وكانت منازل الصابئة وهم الحارانيون ، فتحت في أيام عمر بن الخطاب ، على يد عياض بن غنم ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٣٥ . ٢٣٦ .
- ٤- ابن عبد الهادي ، العقود الدرية ، ٤ ، طبقات علماء الحديث ، ٩٣ ، ابن شاکر الکتبي ، فوات الوفيات ، ١ / ٣٥ ، وينظر : شمس والعمران ، الجامع لسيرة ابن تيمية ، ٢٩٣ .
- ٥- ابن عبد الهادي ، العقود الدرية ، ٣ ، ٥٠٢ ، وينظر : شمس والعمران ، الجامع لسيرة ابن تيمية ، ٢٤٦ .

ثانياً : مؤثرات النشأة

وإذا كان تراث ابن تيمية محط شد و جذب ، فإن الكشف عن البيئة و المؤثرات التي صاغت هذا التراث هي الطريق الأمثل و الأولى لكشف حقيقة هذه الشخصية، وقد تنقسم هذه المؤثرات إلى عدة أقسام تتراوح فيما بينها من حيث التأثير بشخصيته ، إلا ان أهمها :

١- المؤثر البيئي (المكان) : تعد منطقة حران هي البيئة الأولى التي نشأ فيها ابن تيمية ، وهي نقطة الارتكاز في حياته إذ استمر فيها ما يقارب السبع سنوات ثم ارتحلت أسرته إلى دمشق على أثر التحرك المغولي إليها^(١) .

إن أهم ما يواجهنا في حران . بيئة ابن تيمية . ثلاث خصائص ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعامل النشأة والتلقي لأولى مراحل التربية وتفتق الذهن ، هذه الخصائص منها ما هو متعلق بطبيعة المنطقة من ناحية الظروف المناخية والتضاريسية ، ومنها ما يتعلق بالتوجه العقدي المستحكم أو الطاغي عليها ، وآخر متعلق بالميل والولاء السياسي ،فضلا عن طبيعة العصر آنذاك .

ولا ريب أن للأثر الجغرافي والمناخي مضاعفات على شخصية الفرد وتصرفاته حيث عد ابن خلدون في مقدمته أن طبائع البشر تستند على البيئة استنادا كبيرا تظهر تجلياته على تصرفاتهم ومواقفهم وحتى أفكارهم ، وقد حدد ابن خلدون مواصفات البيئات ذات التأثير الكبير، فالبيئة ذات الدفاء واعتدال الأجواء تتكون فيها سعة التفكير وأريحيته وانفتاحه ، على العكس تماما من البيئة القاسية ، فان ما يسودها هو التفكير السلبي المنغلق أو المتقوقع^(٢) .

ولم تكن المواصفات السلبية للبيئة بعيدة عن حران فقد صورها الرحالة ابن جبير قائلاً : " بلد لا حسن لديه ، ولا ظل يتوسط برديه ، قد اشتق من اسمه هواؤه ، فلا يألف البرد ماؤه ، ولا تزال تتقد بلفح الهجير ساحاته وأرجاؤه ، ولا تجد فيها مقبلا ، ولا تتنفس فيها إلا

١- هاجم المغول مدينة حران سنة ٦٦٧هـ ، أي أن عمر ابن تيمية كان سبع سنوات ، ينظر: ابن عبد الهادي ، العقود الدرية ، ٣ - ٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ / ٢٩٦ ، ابن رجب الحنبلي ، ذيل طبقات الحنابلة ، ٢ / ٣٨٧ .

٢ . التاريخ ، ١ / ٨٢ .

نفسا ثقيلًا ، قد نبذ بالعراء ، ووضع في وسط الصحراء فعدم رونق الحضارة ، وتعدت أعطافه من ملابس النضارة" (١) .

وتستشف من هذا الوصف أنها منطقة صحراوية ليس فيها أدنى قرب من الحياة المدنية ، وأنها من بين أقسى البيئات الجغرافية وهي أقرب للبيئة البدوية منها للبيئة الحضرية ، وإنما تكاد تنعدم فيها مقومات الحياة فضلا عن أساسيات الحضارة ، تلك الأمور اخذها أحد الباحثين في شخصية ابن تيمية على محمل الجد و اعتبرها من بين أهم العوامل التي أثرت فيه ، إذ علق الكوثري على ذلك بقوله : " فلا شك أن هذه البيئة الصحراوية الجافة كان لها تأثير على نفسية الصبي ، وهذا معلوم بالضرورة فأخلاق وسلوكيات البدو الذين يعيشون في الصحاري والقفار تكون جافة غليظة ، بخلاف سكان الحضر والبادي الخصبة حيث الأنهار والبساتين والأشجار الكثيفة ، وهذا من تأثير الطبيعة والجغرافية على الإنسان ، وهي مسلمة علميا وعرفيا (٢) .

ومادمننا قد بينا أن سهولة البيئة وصعوبتها هي مؤثر لا يغض الطرف عنه في صياغة أفكار المنتمين إليها ، فطبيعي أن يلقي ذلك الأمر ظلالة على التربية الفكرية للطفل - ابن تيمية- وتأتي أفكاره متشنجة ذات حدة في الطرح ، تلك الحدة التي حاول البعض أن يعزوها إلى عوامل أخرى بعيدة كليًا عن الواقع (٣) .

وقد يرى البعض مبالغة في أثر السبع سنوات التي قضاها ابن تيمية في حران ، غير أن هذا الطرح يكاد يكون سطحيًا أكثر منه علميًا ، فأثر البيئة الأولى لا ينفك عن الشخص حتى وإن كبر أو بعد عنه ، وقد ركز الإسلام على هذه الفترة من عمر الطفل لأنها مرحلة تصاغ فيها شخصيته ونفسيته (٤) .

١ - الرحلة ، ٢١٩ - ٢٢٠ .

٢. الكوثري ، السلفية بين السنة والشيعة ، ٢٩٧ .

٣- أبو زهرة ، سيرة ابن تيمية ، ٣٢ ، إذ يرى في حدته دليلا على أصوله الكردية ، كون الأكراد يتسمون بهذا المزاج .

٤- حتى شخص أهل البيت الواجبات الملقاة على عاتق العائلة التي يجب أن تراعيها في تربية الطفل في هذا العمر ، إذ ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قوله : "وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها من

وهذا ما يؤيده علماء التربية المختصون ، فالعلم يرى أن السبع سنوات الأولى ما هي إلا قاعدة البيانات والخارطة المستقبلية لكل مواقف الفرد ، حتى تطرف البعض في ذلك فارجعوا كل التصرفات السلوكية للفرد إلى البيئة والمحيط ، والتنشئة ، و أعدموا أي أثر للوراثة^(١) ، فالعالم الأمريكي واتسن راح بعيدا في ذلك حتى أكد على هذه المرحلة العمرية وأثرها على الطفل ونمو اتجاهاته المستقبلية بقوله "اعطني اثني عشر طفلا ، وهى لي الظروف المناسبة ، أجعل ممن أريد منهم طبيبا حاذقا ، أو أستاذا قديرا ، أو مهندسا بارعا ، أو رساما . . . وحتى لو شئت لصا أو شحاذا"^(٢) .

وإذا كان التركيز على الملامسة والملاصقة مع البيئة الجغرافية وعواملها بصور مباشرة ، فإن هناك ما يمكن أن نسميه التأثير البيئي المكتسب ، فعائلة ابن تيمية كانت حرانية النشأة والمولد ، ومن ثم انعكست هذه الآثار البيئية بصورة غير مباشرة ومع اللاحسوس على أفراد العائلة لينتقل إلى وليدها احمد بن عبد الحليم وتظهر عليه آثار البيئة بصورة واضحة ويستجلى في تصرفاته وحدته وشدته وغلظته ، هذا من ناحية اثر البيئة الجغرافي.

أما من ناحية العقيدة التي تعتقها تلك المنطقة ، فقد وصفت بأنها منطقة الصابئة الحرانيين ومحل سكنهم وان لهم بيتا للعبادة يتعبدون فيه^(٣) ، أما في العصر الإسلامي فقد راج المذهب الحنبلي في هذه المنطقة حتى كانت أسرة ابن تيمية خير من تمثله فيها ، بل

شئ قبلته" نهج البلاغة ، ٤٠ ، وقوله (عليه السلام)" أدب صغار أهل بيتك بلسانك على الصلاة والطهور ، فإذا بلغوا عشر سنين فاضرب ولا تجاوز ثلاثا " ، وعن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : إذا بلغ الغلام ثلاث سنين يقال له : قل " لا إله إلا الله " سبع مرات ثم يترك حتى يتم له ثلاث سنين وسبعة أشهر وعشرون يوما فيقال له : قل : " محمد رسول الله " سبع مرات ويترك حتى يتم له أربع سنين ثم يقال له : قل سبع مرات " صلى الله على محمد وآله ، ثم يترك حتى يتم له خمس سنين ، ثم يقال له : أيهما يمينك وأيها شمالك ؟ فإذا عرف ذلك حول وجهه إلى القبلة ويقال له : أسجد ، ثم يترك حتى يتم له سبع سنين فإذا تم له سبع سنين قيل له : اغسل وجهك وكفيك فإذا غسلهما قيل له : صل...الصدوق ، الأمالي ، ٤٧٥ ، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : " دع ابنك يلعب سبع سنين وألزمه نفسك سبعا فإن أفلح وإلا فإنه ممن لا خير فيه " الكليني ، الكافي ، ٦ / ٤٦ .

١ . فلسفي ، الطفل بين الوراثة والتربية ، ٦ / ١ .

٢ . فلسفي ، الطفل بين التربية ، ٦ / ١ .

٣ . الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٦٦٤ / ٢ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٢ / ٢٣٥ .

إنها كانت ذات سطوة ومكانة لا يجاريها أحد ، فقد كان محمد بن أبي القاسم الخضر بن تيمية المعروف ب(الباجدائي) ^(١) هو صاحب الحظوة والمكانة الدينية الأولى في حران ^(٢) ، حتى روي أنه كان ضنينا على العلم فما نبغ في حران أحد إلا وأخرجه منها و أبعد عنها ^(٣) ، وبالتالي فان الطاعي على حران هو الفقه الحنبلي الذي قد يكون مع الطبيعة الجغرافية للمنطقة تأثيرا بليغا على حياة ابن تيمية الأولى كون المذهب الحنبلي هو من المذاهب المعروفة بالحدة والغلظة ^(٤) .

أما التوجه السياسي أو الميول السياسة فلا ريب أن الحنابلة لهم من التوجه السياسي الصريح في مساندة الأمويين والثناء عليهم ، حتى ورد عن ابن حنبل قوله " لغبار لحق أنف جواد معاوية بين يدي رسول الله خير من عمر بن عبد العزيز " ^(٥) وهو يعلم أن معاوية لم يسلم إلا بعد فتح مكة ^(٦) ، ولكن ميوله الأموية أدت به إلى ذلك الخرق العلمي الفاضح ، إلا أن ابن حنبل على الرغم من تلك الميول لم يخف اعترافه بمكانة خلافة الإمام علي وعدها من الخلافة الراشدة والترحم عليه وقال: "من لم يربع بعلي في الخلافة فلا تتاكوه ولا تكلموه" ^(٧) ، في حين أن الميول الأموية كانت واضحة ومتطرفة جدا عند أهل حران ، فهم قد عارضوا

١- نسبة إلى قرية باجدا بينها وبين حران ١٢ ميل ، الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ٢ / ٦٦٤ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٣١٣ .

٢- إذ وصف أنه " شيخا معظما بحران وخطيبها وواعظها ومفتيها ، ولأهل حران فيه اعتقاد طاهر صالح ، وكان نافذ الأمر فيهم مطاعا" ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٣١٣ .

٣ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤ / ٣٨٧ .

٤- الذهبي ، العبر ، ٣ / ٣٤٠ - ٣٤١ ، ابن رجب الحنبلي ، ذيل طبقات الحنابلة ، ١ / ٣٠٣ ، العلمي الحنبلي ، المنهج الأحمد ، ١ / ٣٧ ، الكثيري ، السلفية بين السنة والشيعة ، ٢٧٩ .

٥ . ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ١ / ٢٧٠ ، ولم يوافق محقق الكتاب على ذلك إذ علق بقوله : " قلت إن صح هذا من كلام الإمام أحمد رحمه الله فإن فيه انتقاصا من قدر الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز الذي عُد عند الكثيرين من أئمة المسلمين في مقام الخلفاء الراشدين ، والذي له من المكارم ما لا يعد ولا يحصى ، ومن أهم تلك المكارم أنه منع الكثير من البدع التي كانت سائدة في عصر من سبقه من خلفاء بني أمية في الشام- يقصد إيقاف سب الإمام علي (عليه السلام).." .

٦ . ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٨ / ١٢٥ .

٧ . ابن قدامه ، المغني ، ٧ / ٣٧٩ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١١ / ٤٣٣ .

أوامر الدولة الرسمية في عهد عمر بن عبد العزيز والقاضية بإيقاف سب الإمام علي (عليه السلام) وقالوا "لا صلاة إلا بلعن أبي تراب"^(١).

مما يشير إلى حجم التطرف والنصب لأهل البيت ذلك النصب الذي لم يوجد له مثيل في البلاد الإسلامية آنذاك ونظرتهم المعترضة على رفع الظلامة عن الإمام علي (عليه السلام)، ولعل هذا الموقف يدل على مدى الانغلاق السياسي الذي كان عليه أهل حران وأنه موقف مخالف لكل التوقعات الدينية التي كانت ترى أن سب الإمام علي (عليه السلام) هو سياسة مبتدعة كان معاوية يرتمي من ورائها النيل بصورة غير مباشرة من الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهذا المعنى بينه أكثر من واحد من الصحابة الذين مقتوا وبشدة تلك الإجراءات الأموية آنذاك^(٢) مما يشير وبكل صراحة أن هذا التوجه قد انعكس وبشكل كبير على ابن تيمية ونظرته المستقبلية للإمام علي (عليه السلام)، وقد جاء كتاب منهاج السنة معبرا عنها وبكل وضوح.

والذي يبدو أن انزواء أفراد العائلة الذين أخذ منهم ابن تيمية في حران ودمشق وعدم احتكاكهم بمراكز الحضارة سبب لهم وله مثل هكذا تشنج وحدة، فجدّه عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية لم يورث عنه امتلاكه تلك الحدة وهذه الهجمة على الآخرين والقذع بهم، بل صار إماما حنبليا يشاد به كونه لم يستقر في حران بل هجرها إلى بغداد واستقر بها إلى وفاة سنة ٦٥٢ هـ^(٣).

مما يعني أن هذا المثلث (قساوة البيئة و الانغلاق عليها - التمزج الحنبلي - الانغلاق السياسي) تكفي لتكون مؤثرا بارز المعالم في التكوين الفكري الذي عاشه ابن تيمية في طفولته ومن ثم انعكاسه على النظرة الكلية لشخص الإمام علي (عليه السلام) والنظر لها بمنظار الحط والقذح والنيل، ويسعفه المؤثران التاليان.

١ . الجابري ، السياسة الأموية ، ٧٠ وما بعدها ، و ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧ /

١٢٢ ، : الوردي ، وعاظ السلاطين ، ١٦٣ .

٢ . ينظر عن موقف الصحابة من سب ولعن الإمام علي (عليه السلام) : الجابري ، السياسة الأموية .

٣ . ابن رجب الحنبلي ، ذيل طبقات الحنابلة ، ٢ / ٣٤٩ . ٣٥٣ .

٢- المؤثر العائلي : يشكل مؤثر العائلة محورا هاما في صياغة المنطلق والأفكار التي يعتمدها الطفل، فلا شك ان العامل الوراثي له أثر كبير في الممارسات والأفكار ، حتى اعتبر بعضهم أن الكروسومات هي المحرك الذي يحرك الطفل طيلة حياته ، فالصفات الوراثية المنقولة من الأب والأم لها تأثير أشار إليه أهل البيت (عليهم السلام) بعدة امثلة إلا أن أهمها هو تحذيرهم من تزويج الأحمق والحمقاء أو إرضاع الحمقاء فإن اللبن ينقل صفات البلاهة إلى الرضيع و "أن ولدها ضياع وصحبته ضلال"^(١) ، وهذه صفات معنوية تتعلق بجوانب أخرى ، ومنها ما يلمس في الجانب الديني والسياسي والعلمي وغيرها .

فضلا عن ذلك أن أثر العائلة لا ينحصر بنطاق الوراثة المادية بل يتعداها إلى الوراثة الفكرية فعائلته استوطنت حران واكتسبت كل الصفات السابقة منها ، علاوة على رئاستها للمذهب الحنبلي في تلك المنطقة وتبنيها مناخه وأفكاره وبثها للناس حتى بانتمت مشايختهم ، فقد كانوا مبرزين جدا في حران ولهم كلمة الفصل على أهلها كما أسلفنا سابقا ، يضاف إلى ذلك نفسهم العلمي الضيق ، ومن ثم فمن الطبيعي أن يتسلل ذلك الانتماء الفكري للعائلة وهذه الصفات انسحب على شخصية وليدهم ، لا سيما مع وجود علاقة حميمية بين ابن تيمية ووالدته ذات الانتماء الحنبلي الواضح^(٢) مما أكسبه إضافة أخرى .

كما يبرز أثر العائلة على ابن تيمية من خلال اعتماده مصدر أساس له في تلقي المعلومة ، فكل من ترجم لابن تيمية جعل اليد الطولى في بدايته العلمية ترجع إلى والديه الذين تتلمذ على يديهما حتى عدا أول مشايخه ، يضاف إليه التراث العلمي للعائلة بشكل عام ، فعائلته لم تدخر وسعا في نشر التراث الحنبلي والتأليف فيه والرد على مخالفيه^(٣) ومن ثم فتأثيرات العقيدة والوراثة لقيت تفاعلا في صياغة أفكار ابن تيمية وخلقت له أرضية بحثية ومهد له الجو الفكري المستقبلي الذي سيبتنى عليه فكره .

١. المفيد ، الإرشاد ، ٥١٣ .

٢- هي ست المنعم بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية ، كانت واعظة في حران على المذهب الحنبلي ، يظهر مدى أثرها على شخصية ابن تيمية من خلال المراسلات التي كان يبعتها إليها وهو في مصر ، وقد عمرت فوق السبعين سنة ، توفيت يوم الأربعاء العشرين من شوال سنة ٧١٦ هـ ، ينظر : البرزالي ، الوفيات ، ٣٨١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٤ / ٩٠ .

٣. الذهبي ، تاريخ الإسلام، ١٥ / ١٠٤ .

٣ - المؤثر العلمي

ارتبط المؤثر العلمي الخاص بشخصية ابن تيمية وتماشى مع المناهج العلمية الأولى التي استقاها من عائلته ، فقد كانت مناهج هذه العائلة مناهج تقوم على الفكر الحنبلي ، فكانت المؤثرات العلمية الأولى قائمة على ذلك النهج ، وطبيعي أن تكون تلك المناهج هي القاعدة لخطواته العلمية أبان النضوج ، وهو أمر لم يشذ عنه ، فكان التوجه الحنبلي هو السمة الصريحة في شخصيته، حتى أن جل مشايخه لم يخرجوا عن دائرة التحنبل ، إذ إن جل من ترجم له أكد على تلك الحقيقة وأنه ارتبط ارتباطا وثيقا بالمشايخ الحنابلة ، إذ قيل أنهم "كانوا دماشقة و جلهم حنابلة"^(١) وبالتالي فقد كان له أبلغ الأثر في حياته العلمية وفي نتاجه العلمي وحتى في رواياته .

إن التعرف على نموذج من شيوخ ابن تيمية يطلعنا على الإحاطة التامة للمناهج والأفكار الحنبيلة واستحواذها على شخصيته ، ومن ثم ما صاغته من توجه فكري ، فمن أبرز هؤلاء والده عبد الحلیم الذي وصف بأنه حنبلي متقن صنف الكتب وافقى ودرس ، ترأس مشيخة دار السكرية بدمشق وكان له كرسي يفتي ويدرس فيه ^(٢) .

أما شيخه الثاني فهو أحمد بن عبد الدايم بن نعمة بن أحمد بن نعمة بن محمد بن إبراهيم ، مقدسي حنبلي ولد بجبل نابلس سنة ٥٧٥هـ ، توفي ٦٦٨ هـ^(٣) ، وكان عمر ابن تيمية سبع سنوات حين تتلمذ على يديه^(٤) .

أما شيخ الثالث فهو : محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي ، المرادوي ، الحنبلي . ولد بمردا في نابلس سنة ٦٣٠ هـ ، وقدم إلى دمشق ، ودرس ، وأفتى ، وصنف ، و توفي سنة ٦٩٩ هـ^(٥) .

١ . شمس و العمران ، الجامع لسيرة ابن تيمية ، ١٨ .

٢ . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ١٥ / ١٠٤ .

٣ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٧ / ٢٢ ، ابن شاکر الكتبي ، فوات الوفيات ، ١ / ١٣٠ .

٤ . شمس و العمران ، ١٨ .

٥ . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥٢ / ٤٤٦ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٣ / ٢٢٨ .

في حين كان شيخه الرابع : علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الحنبلي^(١)

مما يعني أن آثار التنشئة العلمية الحنبلية هي التي أحاطت به وطغت عليه ، فأسرته و أساتذته المذكورين لم يخرجوا عن دائرة التوجه الحنبلي ، ذلك التوجه الذي كانت صفة الغلظة والحدة طاغية عليه ، حتى أصبحت تلك السمات من الأمور الواضحة على شيوخ المذهب الحنبلي ، إذ وصف الحنابلة وعلى لسان ابن عقيل الحنبلي^(٢) بأنهم : " قوم خشن تقلصت أخلاقهم عن المخالطة وغلظت طباعهم عن المداخلة"^(٣) ، ومنهم من كان مناظر الخصوم ومكفراً لهم، منابذا لأصحابه من الحنابلة فضلا عن غيرهم وهو ذو شراسة أخلاق ودين يابس على حد تعبير الذهبي^(٤).

في حين يقول فيهم العليمي الحنبلي : " فقد كنا في عهد الصبا نسمع الرجل يصف رجلا آخر فإذا أراد أن ينعته بضيق الصدر والتزمت وصلابة الرأي وعدم انقياده للحديث يلقي إليه قال " أنه حنبلي " ولا يزال الناس إلى يومنا هذا يذكرون هذه العبارة في مثل هذا المعرض"^(٥) ، وهذا ما انعكس مع ابن تيمية وسنلاحظه في موقفه من العلماء .

كما علق الذهبي على قول أبي حاتم بن خاموس^(٦) : "كل من لم يكن حنبليا فليس بمسلم"^(٧) "قد كان أبو حاتم صاحب سنة وإتباع وفيه يبسٌ وزعارةُ العجم"^(٨).

١ . الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥١ / ٤٢٢ . ٤٢٣ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٠ / ١٢١ .

٢ . أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري ، الحنبلي المتكلم ، صاحب التصانيف ، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربع مئة توفي بكرة الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمس مئة ، له ميول اعتزالية مما أدى بالحنابلة أن يهددوه حتى توارى عنهم لسنوات ثم أظهر التحنبل و التوبة من الاعتزال فكفوا عنه ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٩ / ٤٤٧ . ٤٤٨ .

٣ . ابن رجب الحنبلي ، ذيل طبقات الحنابلة ، ١ / ٣٣٨ ، الكثيري ، السلفية بين السنة والشيعه ، ٢٧٩ .

٤ . العبر ، ٣ / ٣٤٠ . ٣٤١ ، ابن رجب الحنبلي ، ذيل طبقات الحنابلة ، ١ / ٣٠٣ .

٥ . المنهج الأحمد ، ١ / ٣٧ ، الكثيري ، السلفية بين السنة والشيعه ، ٢٩٧ .

٦ - أبو حاتم ، أحمد بن الحسن بن محمد ، الرازي الملقب بخاموش ، سمع من ابن مندة ، وغيره بنيسابور . وكان شيخ أهل الري في زمانه ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٧ / ٦٢٤ .

٧ . سير أعلام النبلاء ، ١٨ / ٥٠٨ .

ومن ثم فمثل هكذا أمور قد أخذت مجراه وصددها لدى ابن تيمية الذي أصبح أسيرا لها ولم ينفك أو يفكر في الخروج عن إطارها العام .

يضاف إلى ذلك أن ابن تيمية يشكو من عوامل نفسية مؤثرة عليه منها عزوفه عن الزواج إذ لم يتزوج ولم يتسرى ، كما ذكر من ترجم له ^(٢) ، وهذا الأمر قد يؤدي إلى اضطراب عقلي ونفسي ، وقد حاول البعض أن يبرر لذلك بدعوى أنه " مثقل الظهر بهموم العلم و الدعوة والجهاد"^(٣) وأنه لم يكن عزوفا عن السنة ، ولكن ابن تيمية لم يكن أكثر انشغالا وجهادا من الرسول(صلى الله عليه وآله) وأصحابه حتى يبرر له هذا الأمر بهذا العذر غير المقبول ، وإنما قد يثير تساؤلا عن سبب الإحجام وآثاره النفسية ، وإذا كان قد غُطي عن السبب الحقيقي فإن آثاره بانته بوضوح عليه ، فالكبت الجنسي وحسب العلم الحديث يؤدي إلى اضطراب نفسي يشير إليه علماء النفس ويولونه أكبر الأثر .

كما يمكن أن يضاف أن حالة الانغلاق تبدو واضحة على ابن تيمية فهو لم يكن له صحبة وإنما اقتصر على المقربين جدا ، يضاف إليهم مجموعة من تلامذته منهم المزي والذهبي والبرزالي^(٤) ، حتى وصفوا بأنهم من الذين أضر بهم ابن تيمية ضررا واضحا^(٥) ، وهؤلاء لا يخالفونه في الفكر والعقيدة ومن ثم فهذا دليل على الانعزال شبه التام عن المخالف الآخر و أن فكره لم يأت فكريا محتك بالآخر المخالف مستوعبا له ولمطالبه ، وإنما جاء نتيجة فكر مغلق .

والدليل على أنه جاء فكريا مغلقا هو عدم قدرته على رد المناظرين له مباشرة وإنما يلحظ تهريه منهم وهذا ما حدث في مصر إذ : "عقد له مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة والفقهاء والعلماء والأمرء ، وادعى على ابن تيمية في أمر العقيدة ، فذكر منها فصولا ، فشرع ابن

١ - سير أعلام النبلاء ، ١٨ / ٥٠٨ ، و الزعارة : تعني شراسة وسوء خلق ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ٤ / ٣٢٣ .

٢- ابن الحاجب ، تنمة المختصر ، ٢ / ٢٨٧ ، ابن رسول ، نزهة العيون ، ٣٥١ ، ابن رجب الحنبلي ، نيل طبقات الحنابلة ، ٢ / ٣٨٥ ، شمس و العمران ، ٢١ .

٣ . شمس و العمران ، ٢١ .

٤ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١ / ٣٨ .

٥ . السبكي ، طبقات الشافعية ، ١ / ٤٠٠ .

تيمية فحمد الله تعالى وأثنى عليه وتكلم بما يقتضي الوعظ ، فقيل له : يا شيخ إن الذي تقوله نحن نعرفه وما لنا حاجة في وعظك ، وقد ادعي عليك بدعوى شرعية فأجب . فأراد ابن تيمية أن يعيد التحميد فلم يمكنه من ذلك بل قيل له أجب ، فتوقف وكرر عليه القول مرارا ، فلم يزداهم على ذلك شيئا^(١) ، أو أنه في رده يبتعد عن الحقيقة ويستترسل ويقوم بإجراءات تحشيدية لكي يخفي الجواب ويعمي على المتلقي^(٢) أو أنه يشرط شرطا ثم يتغافل عن الرد عليه حتى أدرك محقق كتابه ذلك الأمر^(٣).

وبالرغم من وضوح ما صنفه من ردود على الفلاسفة ومجادلته لهم إلا أن المادة الفلسفية كانت طاغية على فكره مؤثرة فيه وهي حالة شخصها معاصروه وأقرب تلامذته له ، فالذهبي يشير إلى تلك الخصيصة التي اعتمدها ابن تيمية اعتمادا مفرطا إذ استمكنت من نفسه وطغت عليه فهو يقول " وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام فكيف إذا كان في العبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفریات التي تعمي القلوب ؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود ، فإلى كم تنبش دقائق الكفریات الفلسفية لنرد عليها بعقولنا ، يا رجل قد بلعت سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرات ، وبكثرة استعمال السموم يدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن"^(٤).

ثالثاً : الغرور العلمي والاعتداد بالذات

من العلامات الواضحة والتي اتسم نتاج ابن تيمية بها أنه اعتمد في نتاجه الفكري على أسلوب التهمك والاستهزاء بالآخر والمحااجة والتعريض والرد ، لذا نجد أن أكثر مؤلفاته تزدهم بمثل تلك العناوين (محااجة المجادلة . رد . نقض . تعريض . إبطال . التبديع) ، ومثال على ذلك هو مجموعة العناوين لمؤلفات ابن تيمية ، فمنها على سبيل المثال كتاب:

- ١- الحصيني ، دفع شبه من شبه ، ٩٢ ، وينظر : النويري ، نهاية الأرب ، ٣٣ / ٢٥٥ ، الدواداري ، كنز الدرر ، ٩ / ٣٢٩ ، ابن رجب الحنبلي ، ذيل طبقات الحنابلة ، ٢ / ٤٠٢ .
- ٢- من يطلع على منهاج السنة يستدل ان استرساله كان لأجل إبعاد المتلقي عن الحقيقة والجواب الصريح ، وهذا الأمر قد نبه له السمهودي ، نقد الخطاب السلفي ، ٥٤٤ .
- ٣- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ٣ / ٦٦ ، هامش رقم(٤)
- ٤ . النصيحة الذهبية ، ٣٦ .

الرد على الاخنائي في الزيارة ، الرد على البكري في الاستغاثة ، الرد على المنطق ، الرد الكبير ، - الرد على الاتحادية الحلوية ، الرد على أهل كسروان ، الرد على تأسيس التقديس للرازي ، منهاج السنة) وهذا يعطي انطباع على أن الهوس العلمي وروح المجادلة هي الروح الطاغية والمستحوذة على شخصيته ، التي حاول من خلالها الحصول على الرئاسة العلمية و الإمامة الكبرى^(١)، وهذا ما نجده واضحا في كلمات الذهبي التي يقول فيها : " يا رجل بالله عليك كف عنا فإنك محاجج عليم اللسان لا تقر ولا تنام ... فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لي أذنان الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقوالك"^(٢) .

وقد برز ذلك الغرور واضحا بوصفه لمخالفية "إنهم إلا كالذباب ورفع كفه إلى فيه ، ونفخ فيه"^(٣) ، وكذلك اعتداده بنفسه حين قال " من سألني مستقيدا حققت له ، ومن سألني تعنتا ناقضته فلا يلبث أن ينقطع فأكفي مؤنته"^(٤) .

لقد كان من بين أسباب الغرور العلمي هو ثناء العامة عليه والجهلة من أنصاف المتعلمين حتى قال الحصيني " وكان قد غره بنفسه ثناء العوام عليه وكذا الجامدون من الفقهاء العارون عن العلوم التي بها يجتمع شمل الأدلة على الوجه المرضي"^(٥) .

ويبدو أن هذا الغرور العلمي قد اصطدم بالحقيقة فبان العجز عليه أكثر من مرة ، وخير دليل على ذلك ما صرح به الصفدي وهو من المعاصرين له إذ قال : " سألته عن قوله تعالى " وَأَخْرَجْنَا مُتَشَابِهَاتٍ"^(٦) ، فقلت له : المعروف بين النحاة أن الجمع لا يوصف إلا بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد من الوصف ، فقال : كذا هو ، فقلت : ما تفرد متشابهات، فقال : متشابهة ، فقلت : كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة وإنما يقع

١ . ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ١ / ١٥٥ .

٢ . النصيحة الذهبية ، ٣٥ . ٣٨ .

٣ . ابن عبد الهادي الحنبلي ، العقود الدرية ، ٢٦٧ .

٤ . ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ١ / ١٥٥ .

٥ . دفع شبه من شبه ، ٨٩ .

٦ . سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

التشابه بين آيتين ، وكذا قوله تعالى • " فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ " (١) كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه فعدل بي من الجواب إلى الشكر ، وقال هذا ذهن جيد ولو لازمتني سنة لانتفعت" (٢) .

وأضاف أنه سأله في ذلك المجلس عن تفسير قوله تعالى: " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " (٣) فأجاب بما قاله المفسرون في ذلك وهو آدم وحواء وأن حواء لما أثقلت بالحمل أتاه إبليس في صورة رجل وقال أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلبا فلم تزل في هم حتى أتاه ثانيا وقال سألت الله تعالى أن يجعله بشرا سويا وإن كان كذلك سمي عبد الحارث وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث فذلك قوله تعالى: " فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا " وهذا مروى عن ابن عباس فقلت له : هذا فاسد من وجوه لأنه تعالى قال في الآية الثانية " فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " فهذا يدل على أن القصة في حق جماعة ، الثاني أنه ليس لإبليس في الكلام ذكر، الثالث أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها فلا بد وأنه كان يعلم أن إبليس الحارث ، الرابع أنه تعالى " أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ " (٤) وهذا يدل على أن المراد المراد به الأصنام لأن ما لما لا يعقل ولو كان إبليس لقال من التي هي لمن يعقل، فقال رحمه الله تعالى : فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بهذا قصي لأنه سمي أولاده الأربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون له ولأولاده من أعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الأسماء وأمثالها ، فقلت له : وهذا أيضا فاسد لأنه تعالى قال: " خَلَقَكُمْ مِّنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " (٥) وليس كذلك إلا آدم لأن الله تعالى خلق حواء من ضلعه فقال رحمه الله تعالى : المراد بهذا

١ . سورة القصص ، الآية : ١٥ .

٢ الوافي بالوفيات ، ٧ / ١٤ .

٣ . سورة الأعراف ، الآية : ١٨٩ . ١٩٠ .

٤ . سورة الأعراف ، الآية : ١٩١ .

٥ . سورة النساء ، الآية : ١ .

بهذا أن زوجه من جنسه عربية قرشية^(١) فما رأيت التطويل معه ثم اجتمعت به بعد ذلك مرات عديدة وكان إذا رأني قال أيش حس الإبرادات أيش حس الأجوبة أيش حس الشكوك أنا أعلم أنك مثل القدر التي تغلي تقول بق بق بق أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها لازمني لازمني تنتفع"^(٢) .

رابعاً : موقف العلماء منه

لم تكن لابن تيمية مقبولة من المعاصرين له ، وإنما كانت رؤيتهم في شخصيته العلمية واضحة ، وقد شخصوا عدة سمات لشخصيته ، فمنهم من وصفه بالجاهل الذي لا يعي ما يقول، ومنهم من قال عنه بأن : علمه أكبر من عقله أو في عقله شيء ومنهم من نعته بضيق النفس العلمي^(٣) .

أما ابن الوادي أشي فقد وصفه بأنه "مركب شواذ الفتاوى و يزعم أنه مجتهد"^(٤) ، في حين وصف بأنه ممن يتعمد الخلاف ويتقوى ويرجح المسائل الضعيفة^(٥) .

في حين أن من العلماء من صرح بكفره وأنه ضال مبتدع مضل وهو ممن تبين كفره^(٦) كفره^(٦) .

أما ابن حجر في تقييمه لشخصيته فقد وصف حالته العقديّة من كونه (مجسم منافق زنديق) معتمدا على تراثه الذي شاع فيه التجسيم ، إما النفاق فلم يكن ابن حجر من ابتعد هذا

^١ . هذه الآراء ذكرت في أغلب التقاسير والتي من بينها: الطبري ، التفسير ، ٩ / ١٩٥ . ابن أبي حاتم الرازي ، التفسير ، ٥ / ١٦٣٣ . النحاس ، معاني القرآن ، ٣ / ١١٤ . ابن زمين ، التفسير ، ٢ / ١٥٨ . الطبرسي ، جوامع الجامع ، ١ / ٧٣٠ ، وقد فند السيد الطباطبائي كل هذه الآراء ، ينظر : الميزان ، ٨ / ٣٧٤ وما بعدها .

^٢ . الوافي بالوفيات ، ٧ / ١٥٠ .

^٣ . الفيومي ، عقد الجمان ، ٧٠١ - ٧٠٣ ، ابن بطوطة الرحلة ٣٢١ ، ولي الدين العراقي ، الأجوبة المرضية ، ٩١ . ٩٢ .

^٤ . برنامج الوادي أشي ، ١١٠ .

^٥ . العمري ، مسالك الأبصار ، ٣٠٤ ، الصفدي ، أعيان العصر ، ٧٢ .

^٦ - أبو الفتح اليعمري ، أجوبة ابن سيد الناس ، ٢ / ٢٢٢ ، شمس الدين الجزري ، تاريخ حوادث الزمان ، ٢ / ٢٣٦ .

الوصف بحق ابن تيمية بل ينقله عن العلماء لما حدث منه من ازدراء بحق الإمام علي (عليه السلام)^(١) .

أما الذهبي فقد وصفه بأنه من المغرمين بالمشيخة والرئاسة وأن هذا الأمر كان هو الدافع في كثرة تعرضه للعلماء فهو لم يكن دقيقا ولا مختصا وإنما سعة إطلاعه كانت بدافع الجدل^(٢) ، في حين شكك البعض بمقبوليته العلمية والثقة به لاسيما إذا كان ذلك النقل الذي ينقله مما تفرد به فهو " ليس ممن يعتمد عليه في نقل تفرد به"^(٣) ، بل أن الأمر تعدى إلى القول بأنه الفقيه ذي اللوثة^(٤) .

كما أن ابن حجر الهيتمي قد أدلى بدلوه في تقييم ابن تيمية وكلامه وهو لم يخرج عن تلك الدائرة التي ترى أن كلامه لا يؤخذ به و لا يعتد به إذ قال : " ابن تيمية عبد أذله الله واخزاه ومن ابن تيمية حتى يقام لكلامه وزنا"^(٥) .

بل إن المعارضة له والتنبيه على انحرافه وجدت في داخل أنصاره حتى ذكر ابن شيخ الحزامين أن من طلبته من ألف كراسا يعرف أتباعه على الانحراف الذي وقع فيه أستاذهم^(٦) .

ونتيجة لذلك فقد تحرج الكثير من العلماء من الصلاة عليه بعد وفاته^(٧)

في حين أن موقف أنصاره منه كان صريحا إذ اعتبروا أنه لا يوجد أحد تستجلي به السنة مثل ابن تيمية وأن الطاعن في ابن تيمية أما مصاب في عقلة أو في فهمه ، فقدترته العقلية وصلت إلى حد أن فجرت "دلالات النصوص ، وشق الأنهار منها ، واستخراج كنوزها

١ . لسان الميزان ، ٦ / ٣٢٠ .

٢ . النصيحة الذهبية ، ٣٦ .

٣ . السبكي ، الفتاوى ، ٢ / ٢١٠ .

٤ . الرحلة ، ٩٥ .

٥ . الفتاوى الحديثية ، ١ / ٨٢ . ٨٣ .

٦ . التنكرة والاعتبار ، ٢١٦ .

٧ . ابن رسول ، نزهة العيون ، ٣٥٢ ، الخزرجي اليمني ، العقد الفاخر ، ١٤١ .

"(١) مما أدى إلى التطرف في وصف مؤلفاته إذ لقيت من العصمة الشيء الكثير ، فهي غير مشوية بكدر ، بل خالصة من الشبه والشبه" (٢)

إن هؤلاء الأتباع الذين وصفوا ابن تيمية بمثل هكذا أوصاف إنما كانوا هم الأثر الناتج عن ابن تيمية ، غير أن مكانتهم لم تكن إلا صورة عنه ولم يكن الأثر بعيدا عن المؤثر ، فالعلماء لم يكتفوا بتشخيص تلك الحالة التيمية وإنما أوغلوا في وصف الملتفين حوله والذين استقوى بهم فخصائصهم لا تتفك إلا أن تكون ضمن دائرة من الصفات التي لم تكن تسمح لهم بالمعرفة الحقيقية للعلم وإنما كانوا عبارة عن أنصاف جهلة فمنهم البسطاء قليلي العلم ، ومنهم من كان من أهل المكر ، ومنهم من كانوا ناعقون لا يعون ، وممن لم يكونوا يبصروا ، أو من أهل الأطراف والبوادي أو من الكذابين ، أو ضعاف العقل ، وهذا ما شهد به الذهبي بقوله : "يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال ، ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليا شهوانيا لكنه ينفكك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك ، بحاله وقلبه فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل ... كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر" (٣) .

كان هؤلاء هم الذين راج في أوساطهم فكره فأصبحوا فراخ أفعى ابن تيمية الذين القوا السموم وفسوها في نواحي الفكري الإسلام مما أدى إلى بروزه في جسد الأمة ليخلق لها التشوهات والمعاضل التي جعلت الفكر الإسلامي كسيحا بعين الغير ولا يمثله إلا هؤلاء لما رافقه من إمكانات مادية وإعلامية غير خافية على أحد في هذا العصر ، وليزرع الألغام لتنفجر لغما بعد لغم ، فقد انفجر منها ابن عبد الوهاب وبقيت أخر لم تنفجر كما صرح بذلك المستشرق جولد زيهر^(٤) ، إلا أنها قد انفجرت اليوم وملأت الأرض بالدم وما وضع العراق إلا

١ . شمس و العمران ، الجامع في سيرة ابن تيمية ، ٢٢ .

٢ . شمس و العمران ، الجامع في سيرة ابن تيمية ، ٢٣ .

٣ . النصيحة الذهبية ، ٣٦ .

٤ . القرني ، على ساحل ابن تيمية ، ١٧ .

نتاج حقيقي وواقعي وأثر من آثار ابن تيمية ذات الفكر التكفيرى المغلق المتبجح بالإنسانية والبعيد كل البعد عن تعاليم الدين الإسلامى والفكر المحمدى الأصيل .

خامساً : موقفه من معاصرة ومحاجبة

لم تكن شخصية ابن تيمية تعرف التوقير والاحترام للآخر المخالف ، سواء كان ذلك الاحترام العقدي أو حتى الشخصي ، وشخصية العلماء المعاصرين أو حتى غير المعاصرين كانت هدفا له ، ولو كان ذلك الاستهداف استهدافا أو تهجما علميا لأمكن القول أنه في معرض الرد العلمى وأن زمام العلم قد انفلت منه فدعاه الى خلق مناقضة علمية ، ولكن هذا الاستهداف والتهجم على معاصريه وجد في توصيفه لشخصياتهم مما أبعدته عن اللياقة العلمية والأدب الذى يجب أن تتحلى به شخصية العالم .

فلا شك أن توصيفه لبعض العلماء (بالكذاب وقليل الأدب) في موقف واحد لهو سلوك تهجمى غير مقبول ، ففي العقود الدرية ينقل عن ابن تيمية وقد تحاور مع أحد الفقهاء في مجلس أنه قال للفتيه ولم يعجبه جوابه : " أخطأت ، وهذا كذب مخالف للإجماع ، لا أدب ولا فضيلة ، لا تأدبت معي في الخطاب ، ولا أصبت في الجواب" (١) حتى علق صاحب كتاب ابن تيمية في صورته الحقيقة بقوله "فهذا هو أدب الخطاب عند الشيخ : " أخطأت ، هذا كذب ، لا أدب ، لا فضيلة ، لا تأدبت ، لا أصبت " كلها في جملة من سطر واحد" (٢) .

في حين يذكر صاحب كتاب الفقيه المعذب أن ابن تيمية قد أفتى في مسألة ، وأفتى فقيه آخر بخلافه ، فرد عليه ابن تيمية قائلاً : "من قال هذا فهو كالحمار الذى في داره" (٣) ، وليس هو السلوك الوحيد منه ، بل يتعداه ليصف مخالفه بالذباب الذى إذا ما نفخ عليه يطير كما أسلفنا .

١ . ابن عبدالهادي ، ٥٣ .

٢ . عبد الحميد ، صائب ، ابن تيمية في صورته الحقيقية ، ٤١ .

٣ . عبد الرحمن الشرفاوي ، الفقيه المعذب ، ٥١ ، عبد الحميد ، ابن تيمية ، ٤١ .

ثم أنه لم يتحرج من أن يصف العلماء بثتى الأوصاف ، فقد ذكر ابن حجر ، أن أبا حيان النحوي^(١) قد قاطع ابن تيمية لسوء أدبه وحطه على سيبويه ، إذ أن أبا حيان كان قد ناظره "في شيء من العربية فذكر له كلام سيبويه ، فما كان من ابن تيمية إلا أن يرد عليه بقوله : " يفسر سيبويه " وكان أبو حيان يقول عن ابن تيمية "هذا لا يستحق الخطاب" ومحا القصيدة التي كان قد مدحه فيها من ديوانه^(٢).

هذا الأمر يدل على مدى الحط من منزلة مخالفيه من العلماء ، بل أنه تعداه إلى التلاعب بأسمائهم تحقيرا لهم ، فهو عندما يذكر نجم الدين دبيران^(٣) لا يقول إلا دبيران^(٤) ، ولعل مرد ذلك إلى حقه على ابن المطهر كون نجم الدين هو أحد أساتذة ابن المطهر وهو من أصحاب المكانة العلمية المشهود لها^(٥).

غير أن هذا التبرير لا يظهر حقيقة شخصية ابن تيمية التي وصفت بأنها غير مستساغة الخطاب ، كونه لا يكتفي بدبيران بل يتعداه إلى التلاعب باسم القاضي عياض فيقول عندما يذكر كتابه الشفاء "غلا هذا المغيري"^(٦) ، في حين ذكر الصفدي أنه "مغرى بسب ابن عربي محيي الدين"^(٧) ، والعليف التلمساني^(٨) ، وابن سبعين ، وغيرهم من الذين ينخرطون في سلكهم، وربما صرح بسب الغزالي وقال : هو قلاووز الفلاسفة^(٩).

١ . علي بن محمد بن العباس ، البغدادي الصوفي ، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية ، توفي في حدود ٤٠٠ هـ ، ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٧ / ١١٩ ، ميزان الاعتدال ، ٤ / ٥١٨ .

٢ . الدرر الكامنة ، ١ / ١٥٥ .

٣ . نجم الدين الكاتبي القزويني علي بن عمر بن علي الملقب ب(دبيران) بفتح الدال وكسر الباء الموحدة وسكون الباء القزويني المنطقي الحكيم صاحب التصانيف توفي في شهر رمضان سنة ٦٧٥ هـ ، له عدة مصنفات مها : العين في المنطق ، والرسالة الشمسية ، و جامع الدقائق ، شرح المحصل لفخر الدين الرازي . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢١ / ٢٤٤ .

٤ . الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٧ / ١٣ .

٥ . الحلبي ، نهج الحق ، ١١ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢١ / ٢٤٤ .

٦ . الكتاني ، الفهارس ، ١ / ٢٠٢ .

٧ . محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو بكر الطائي الحاتمي الأندلسي المرسي المعروف بابن عربي ، وله ، وله مصنفات كثيرة كالفصوص والفتوحات المكية وغيرها ، توفي في شوال سنة ٦٣٨ هـ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٢٣ / ٤٨ ، السيوطي ، طبقات المفسرين ، ٩٩ .

ويبدو أن سبه وقدمه بالعلماء وتهجمه كان نتاجا لعجزه العلمي و خلافه المذهبي معهم فالمكانة العلمية لهم حتمت عليه ذلك الأمر، أو هو التهرب من ضعفه العلمي وتغطية جوانب النقص في شخصيته لذا يغطي عليه بأسلوب التهكم والازدراء على العلماء ، فضلا عن ذلك ما يمكن أن تجلبه هذه المخالفة حتى وإن كانت شهرة سلبية ،على أن هذا السب والقدح للعلماء لم يكن منحصر في انتماء مذهبي معين بل شامل لكل المذاهب إلا أنه كان شديد الوضوح في رده على العلامة الحلي .

سادساً : موقفه من العلامة الحلي و تأليف كتاب منهاج السنة في الرد عليه .

كان لابن تيمية موقف من العلامة الحلي ، مختلف عن مواقفه السابقة من العلماء السابقين ، وهذا الموقف لا بد وأنه بني على مجموعة من العوامل أو الأسباب ، فليس من المعقول أن تأتي نظرتة للحلي بتلك النظرة المتحاملة دون وجود مبرر ، لذا يمكن القول أن هناك مجموعة من الطروحات التي قد تلقي الضوء على ذلك الأمر من أهمها:

١- الحسد وعدم الاستساغة للمدرسة التي انجبت الحلي: إذ تعد المدرسة الفكرية التي تخرج منها الحلي من بين أبرز المدارس العلمية آنذاك ، فالحلي ممثل حقيقي لمدرسة أستاذه نصير الدين الطوسي^(٣) ، ذلك العلم الذي اعترف المخالفين بفضلها فضلا عن الموافقين .

غير ان تلك الشخصية لم تكن مهضومة من قبل ابن تيمية ، فهو يصف الطوسي بأقذع العبارات ويتجنى عليه كثيرا ، وأبشع تلك العبارات تلك التي أخرجت الطوسي من دائرة الدين الإسلامي إلى دائرة الكفر والإلحاد والزندقة ، ويكفي أن ندلل على ذلك التقييم السلبي

١ . سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن ياسين . الشيخ ، الأديب ، البار ، العفيف التمساني . وكان كومي الأصل من قبيلة يقال لها كومية بالمغرب ، عرف بتصانيفه الكثيرة ، توفي في دمشق سنة ٦٩٠ هـ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٥١ / ٤٠٦ ، الصفدي ، الكتبي ، فوات الوفيات ، ١ / ٤٥٧ .

٢ . الوافي بالوفيات ، ٧ / ١٣ .

٣- محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين أبو عبد الله الطوسي الفيلسوف صاحب علوم الرياضيات والرصد كان رأسا في علم الأوائل لا سيما في الأرصاد ، بنى الرصد بمراغة ، ولد بطوس ٥٩٧ هـ ، و توفي في ذي الحجة سنة ٦٧٢ هـ ، و دفن في بغداد في ضريح الإمام الكاظم ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١ / ١٤٧ ، ١٥١ / ١ .

والنظرة الإجمالية و المتحاملة على الطوسي أن نبرزها من خلال النص الذي يقول ابن تيمية فيه: " أن هذا الرجل . أي الطوسي . اشتهر عند الخاص والعام أنه كان وزير الملاحدة الباطنية الإسماعيلية ، ثم لما قدم الترك المشركون إلى بلاد المسلمين وجاءوا إلى بغداد دار الخلافة كان هذا منجما مشيرا لملك الترك المشركين هولاءكو ، **أشار عليه بقتل الخليفة ، وقتل أهل العلم والدين** ، واستبقاء أهل الصناعات والتجارات الذين ينفعون في الدنيا ، وأنه استولى على الوقف الذي للمسلمين وكان يعطي منه ما شاء الله لعلماء المشركين وشيوخهم من البخشية السحرة وأمثالهم ، وأنه لما بنى الرصد الذي بمراعة على طريقة الصابئة المشركين كان أبخس الناس نصيبا منه من كان إلى أهل الملل أقرب وأوفرهم نصيبا من كان أبعدهم عن الملل مثل الصابئة المشركين ومثل المعطلة وسائر المشركين وإن ارتزقوا بالانجوم والطب ونحو ذلك ، ومن المشهور عنه وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الإسلام ومحرماته لا يحافظون على الفرائض كالصلوات ولا ينزعون عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات حتى أنهم في شهر رمضان يذكر عنهم من إضاعة الصلوات وارتكاب الفواحش وشرب الخمر ما يعرفه أهل الخبرة ... وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف ومع هذا فقد قيل إنه كان في آخر عمره يحافظ على الصلوات الخمس ويشغل بتفسير البغوى وبالفقه ونحو ذلك فإن كان قد تاب من الإلحاد فالله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات والله تعالى يقول " **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**" (١) ، لكن ما ذكره عنه هذا إن كان قبل التوبة لم يقبل قوله وإن كان بعد التوبة لم يكن قد تاب من الرفض بل من الإلحاد وحده وعلى التقديرين فلا يقبل قوله والأظهر أنه إنما كان يجتمع به وبأمثاله لما كان منجما للمغل المشركين والإلحاد معروف من حاله إذ ذاك " (٢)

١ . سورة الزمر ، الآية : ٥٣ .

٢ . منهاج السنة ، ٢ / ٤٩٣ .

ويضيف ابن تيمية في نص آخر أن الحلبي " يعظم الملاحدة كالتوسي وابن سينا و أما قصة الوزير ابن العلقمي و غيره كالنصير الطوسي مع الكفار و مما ألتمهم على المسلمين فقد عرفها الخاصة والعامة"^(١).

يبدو أن شدة ابن تيمية في طرحه هذا كانت متأتية من الحقيقة التي رسمتها شخصية نصير الدين الطوسي فالهدف الأول من الكلام السابق لم يكن لاسقاط هذه الشخصية فقط وإنما كان مبتغاه مهاجمة الفكرة التي طرحها العلامة الحلبي وهي عرض لما توصل له أستاذه نصير الدين الطوسي ، فمناسبة هذا الكلام القادح بالطوسي وحملة التسقيط والتشهير والازدراء والتكذيب عليه وخلق المثالب له كانت بسبب ما نقله الحلبي في منهاج الكرامة من أنه قد سئل أستاذه الطوسي " عن المذاهب فقال : بحثنا عنها وعن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية والباقي في النار "^(٢) "وقد عين صلى الله عليه وآله الفرقة الناجية والهالكة في حديث آخر صحيح متفق عليه ، بقوله صلى الله عليه وآله : مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق"^(٣) ، فوجدنا الفرقة الناجية هي فرقة الإمامية ، لأنهم باينوا جميع المذاهب ، وجميع المذاهب قد اشتركت في أصول العقائد "^(٤) .

فهذا الاستدلال المحكم لا يستطيع ابن تيمية أن يرده بالحجة العلمية والمنطق العلمي لذا لجأ إلى منطق التسفيه وشن هجمة شرسة ضد شخص نصير الدين الطوسي حاول من خلالها اهدار القيمة العلمية لمثل هكذا شخصية ومن ثم إسقاط مثل هكذا نتائج و طرح فكري يعتمد على مبان فكرية طالما روج ابن تيمية لقبوله لها وسيره عليها ، ويبدو أن النبوة العنيفة المنتهجة وإن كانت واضحة في كل صفحات كتاب منهاج السنة إلا أنها تزداد عنفا ومجادلة

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٣١٢ .

٢ - الطوسي ، الاقتصاد ، ٢١٣ ، وينظر : عن الفرقة الناجية : الجصاص ، الفصول في الأصول ، ٣ / ٣١٦ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١ / ١٣ ، الفخر الرازي ، التفسير ، ١ / ٢١٠ ، الأيجي ، المواقف ، ٣ / ٦٤٩ ، العيني ، عمدة القاري ، ١٨ / ٢٢٤ ، العجلوني ، كشف الخفاء ، ١ / ١٥٠ .

٣ - هذا النص وضعه محقق كتاب منهاج الكرامة في هامش (٥) صفحة ٤٩ ، وقد أشار أنه من النسخة (ش١) المحفوظة في خزانة مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي .

٤ . منهاج الكرامة ، ٤٩ .

عندما تصل الأمور والنتائج إلى مواضيع عقديّة أكثر حساسية لاسيما في المواضيع التي يكون فيها فضل الإمام (عليه السلام) واضحا وجليا ولا يمكن رده بالدليل لذا يلجأ ابن تيمية إلى تحشيد مختلف المطالب بوجهه كي يكون أكثر مقبولة عند أتباعه الذين يغترون به وليس لديهم القدرة العلمية على محاكمة نصوصه للتراث والعقل .

و الواضح مما سبق أن ابن تيمية تغافل عن رد ذلك الاستدلال وإنما ركز على الطعن بالطوسي دون أن يعمل فكره في ما هو صلب الموضوع كونه يعلم أن استدلال الطوسي لا يمكن له أن يقدح به خصوصا وهو قائم على أحاديث لها من الموثوقية الشيء الكثير^(١) .

ومهما يكن فإن حقيقة الطوسي لم تكن بتلك الصورة التي صورها ابن تيمية من الفظاعة والخروج عن الإسلام و إقصاء لعلماء المسلمين وإدناء وتقريب للمشركين واستهتار بدمائهم واستهتار بالفرائض الدينية من صوم وصلاة وشرب للخمر ،أو معاونة للمغول لهدم الإسلام ،وقتل للخليفة العباسي بل أن التقييم العلمي لتلك الشخصية والصادر من المنتمين لمدرسة ابن تيمية يقطع بكذب وزور ما ادعاه وألصقه بذلك العالم الجليل .

فهذه المدرسة ترى في نصير الدين من الذين أتقنوا العلوم ، ومصنفاته لها من الحظوة والثناء والمكانة العلمية العالية ، كما أثنوا على جهوده الفلكية وما بناه من رصد بمراغة ، وأشادوا باهتمامه بخلق البيئة العلمية المناسبة وتزويدها بالمصادر والكتب وإغداقه على الطلبة ،أخذوا يعددون فضله وسماحته وجوده و جلالة قدره ونفعه للمسلمين ، ورفضوا ما تناقل به أعدائه وما روج له ابن تيمية من إشارته على هولاكو بقتل الخليفة ، وعدوه أمرا لا يصدر من فاضل ولا عاقل^(٢) .

١- ابن قتيبة ، المعارف ، ٢٥٢ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ٤٦ / ٣ ، المعجم الأوسط ، ٤ / ١٠ ، ٥ / ٣٥٥ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣٤٣ / ٢ ، ١٥١ / ٣ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٢ / ٩٠ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢١٨ / ١ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٩ / ١٧٨ ، السيوطي ، الجامع الصغير ، ١ / ٣٧٣ ، المنقي الهندي ، كنز العمال ، ٩٤ / ١٢ ، المناوي ، فيض القدير ، ٢ / ٤٥٨ .

٢- ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١ / ١٤٨ ، الكتبي ، فوات الوفيات ، ٢ / ٢٥٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٣ / ٢٣٤ .

ومن ثم فمثل هكذا أمور لم تثبت على نصير الدين لتنعكس نظرتة لشخصية الطوسي إلى تلميذه الحلبي فنظرة التحامل المذهبي أدت إلى ذلك الأمر إذ لم يكن ابن تيمية يستسيغ أن يسمع من ينتمي إلى تلك المدرسة . أي مدرسة الطوسي . و لا يقدر به أو يعرض بشخصيته .

٢- يمكن القول أن الشخصية العلمية المرموقة للعلامة الحلبي أدت بان يكون ابن تيمية بهذا الزخم من التحامل فهو يصفه حينما يذكر كتابه منهاج الكرامة : " وهذا المصنف سمي كتابه منهاج الكرامة في معرفة الإمامة وهو خليق بأن يسمى منهاج الندامة كما أن من أدعى الطهارة وهو من الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم ، بل من أهل الجبت والطاغوت والنفاق كان وصفه بالنجاسة والتكدير أولى من وصفه بالتطهير" (١) .

وفي الوقت الذي شاعت عبارات ابن المنجس ، الرافضي ، الخبيث ، الكذاب المفتري ، في وصفه للعلامة الحلبي (٢) ، فإن من ترجم له . أي للعلامة الحلبي . وصفه بأفضل النعوت ، وحتى المخالفين له لم يستطيعوا أن ينكروا فضله العلمي وتقدمه المعرفي فهو على حد تعبير الصفدي : "... الإمام العلامة ذو الفنون جمال الدين ابن المطهر الأسيدي الحلبي عالم الشيعة وفقههم صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته ... وكان يصنف وهو راكب شرح مختصر ابن الحاجب وهو مشهور في حياته ... وكان ابن المطهر ريبض الأخلاق مشتهر الذكر تخرج به أقوام كثيرة وحج أواخر عمره وخمل وانزوى إلى الحلة وتوفي سنة خمس وعشرين وقيل سنة ست وعشرين وسبع مائة في شهر المحرم وقد ناهز الثمانين وكان إماما في الكلام والمعقولات" (٣) .

أما ابن حجر فقد وصفه بقوله : " عالم الشيعة وإمامهم ومصنفهم وكان آية في الذكاء ، شرع مختصر ابن الحاجب شرحا جيدا سهل المأخذ غاية في الإيضاح واشتهرت تصانيفه في

١ . منهاج السنة ، ١ / ١٤ .

٢ . منهاج السنة ، ٢ / ٤٩٦ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٧ / ١٣ ، ١٣ / ٥٤ .

٣ . الوافي بالوفيات ، ١٣ / ٥٥ .

حياته ... وكان ابن المطهر مشهر الذكر وحسن الأخلاق ولما بلغه بعض كتاب ابن تيمية قال لو كان يفهم ما أقول أجبته" (١) .

في حين وصفه ابن تغرى بردى بقوله : " شارح كتاب مختصر ابن الحاجب ، كان عالما بالمعقولات ، وكان رضي الخلق ، حليما ، وله وجهة عند خدابندا - ملك التتار - وله عدة مصنفات" (٢) .

فحتى المخالفون لم يستطيعوا إلا أن يترجموا له بالمكانة العلمية السامية ، ومن ثم أراد ابن تيمية أن يطيح بالحلي ليعلو كعبه ، وإلا فما هو المبرر كي يصف العلامة الحلي بهذه الأوصاف التي تخالف الذوق العلمي من جهة وتخالف الرؤية العامة لشخص وسمعة ومكانة العلامة الحلي .

٣- يمكن القول أن طبيعة اعتقاد ابن تيمية بالانتماء المذهبي للحلي هو عامل آخر أدى به إلى أن يأتي متحاملا عليه ، لينعكس ذلك التحامل على شخصية الإمام علي (عليه السلام) فيما بعد ، فإنه يرى أن الانتماء المذهبي للحلي لم يكن أحسن حالا من مذاهب اليهود والنصارى بل أشد كفرا وإلحادا وخروجاً عن التعاليم الدينية ، واستقصاء رؤية ابن تيمية للمذهب الشيعي تتطلب دراسة مستقلة إلا أننا نكتفي بالتدليل على ذلك بعدة نصوص من منهاج السنة إذ يقول : " والرافضة والجهمية هم الباب لهؤلاء الملحدين منهم يدخلون إلى سائر أصناف الإلحاد في أسماء الله وآيات كتابه المبين" (٣) .

ثم يضيف " الرافضة فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلا وظلما.... يوالون الكفار والمنافقين من اليهود والنصارى والمشركين ... فتجدهم أو كثيرا منهم إذا اختصم خصمان في

١- ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ٢ / ٣١٢ ، وينظر: الدرر الكامنة ، ٢ / ٧١ يصفه بقوله : " اشتعل في العلوم العقلية ، فمهر فيها" .
٢ . النجوم الزاهرة ، ٥ / ٢٣٧ .
٣ . منهاج السنة ، ١ / ٥ .

ريهم من المؤمنين والكفار... أو عمل كالحروب التي بين المسلمين وأهل الكتاب والمشركين تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن" (١)

ويذكر أن الشعبي قال "أحذركم هذه الأهواء المضلة وشرها الرفضة لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة ولكن مقًا لأهل الإسلام وبغيا عليهم" (٢).

ويشبه الشيعة الذين يسميهم الرفضة باليهود والنصارى ويقرن بينهم بقوله : " محنة الرفضة محنة اليهود قالت اليهود لا يصلح الملك إلا في آل داود وقالت الرفضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي... واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم وكذلك الرفضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم... اليهود تزول عن القبلة شيئًا وكذلك الرفضة واليهود تتود في الصلاة وكذلك الرفضة واليهود تسدل أثوابها في الصلاة وكذلك الرفضة واليهود لا يرون على النساء عدة وكذلك الرفضة ، واليهود حرفوا التوراة وكذلك الرفضة حرفوا القرآن واليهود قالوا افترض الله علينا خمسين صلاة وكذلك الرفضة واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون السام عليكم والسام الموت وكذلك الرفضة واليهود لا يأكلون الجري والمرماهي والذئاب وكذلك الرفضة واليهود لا يرون المسح على الخفين وكذلك الرفضة واليهود يستحلون أموال الناس كلهم وكذلك الرفضة وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن " **بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ** " (٣) وكذلك الرفضة واليهود تسجد على قرونها في الصلاة وكذلك الرفضة واليهود لا تسجد حتى تخفق برؤوسها مرارا شبه الركوع وكذلك الرفضة، واليهود تبغض جبريل ويقولون هو عدونا من الملائكة وكذلك الرفضة يقولون غلط جبريل بالوحي على محمد صلى الله عليه و سلم" (٤).

١. منهاج السنة ، ١ / ١٣ . ١٤ .

٢. منهاج السنة ، ١ / ١٥ . ١٦ .

٣. سورة آل عمران ، الآية : ٧٥ .

٤. منهاج السنة ، ١ / ١٦ .

ويدعي موافقة الرافضة للنصارى في خصلة "النصارى ليس لنسائهم صدق إنما يتمتعون بهن تمتعا وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة ويستحلون المتعة"^(١)

ويذكر ابن تيمية أن اليهود والنصارى يفضلون على الرافضة بخصلتين "سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم قالوا حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم قالوا أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم ، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة ولا تجاب لهم دعوة دعوتهم مدحوضة وكلمتهم مختلفة وجمعهم متفرق كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله"^(٢)

ثم يقول " وما ذكرناه - عن اليهود- موجود في الرافضة وفيهم أضعاف ما ذكر مثل تحريم بعضهم للحم الإوز والجمل مشابهة لليهود ومثل جمعهم بين الصلاتين دائما فلا يصلون إلا في ثلاثة أوقات مشابهة لليهود ومثل قولهم إنه لا يقع الطلاق إلا بإشهاد على الزوج مشابهة لليهود ومثل تتجيسهم لأبدان غيرهم من المسلمين وأهل الكتاب وتحريمهم لذبائحهم وتتجيس ما يصيب ذلك من المياه والمائعات وغسل الأنية التي يأكل منها غيرهم مشابهة للسامرة الذين هم شر اليهود ولهذا يجعلهم الناس في المسلمين كالسامرة في اليهود ومثل استعمالهم النقية وإظهار خلاف ما يبطنون من العداوة مشابهة لليهود ونظائر ذلك كثير ."^(٣)

فطبيعيا أن تكون مثل هكذا رؤية لمذهب ينتمي إليه الحلي مهدت لابن تيمية أن يكون أكثر تحاملا وحدة في رده ، فهذه الطروحات والإيمان بها يدلل على أنها تتدرج تحت خانة التسقيط المذهبي والحجر الفكري لمن قد يفكر في الخروج من التحجر والتفوق والنظر بأفق واسع ، ونستطيع أن نسمي مثل هكذا تحدر وانحدر علمي مهلهل الأسس إنما هو ضمن منطقة واسعة من التعقيم الإعلامي وهو ما يندرج تحت الهجوم الدفاعي ، فالهجوم هنا لأجل

١ . منهاج السنة ، ١ / ١٧ . ١٨ .

٢ منهاج السنة ، ١ / ١٨ .

٣ . منهاج السنة ، ١ / ٢٤ .

الدفاع عن عقيدة ستقوض إذا ما أخذ الفكر مجراه الصحيح وعرضا عرضا علميا بعيدا عن الأمزجة والأهواء .

٤- أن فضاة الرد تدلل على أن ابن تيمية أراد أن يغطي على الاتهامات الموجهة له من أهل السنة بالانحراف العقدي وأن يظهر نفسه أنه مدافع عن السنة لذا جاء هذا الرد الممجج يقلل من تشدهم عليه و التغاضي عما أحدثه من خرق فاضح للعقيدة الدينية ، فعلماء السنة قد عقدوا له المجالس وبينوا انحرافه وان هذا الانحراف يستحق عليه القتل حتى أن القاضي الشافعي رفض ما قام به أحد الأمراء من الدخول عليه ونبهه إلى أن ابن تيمية حكمه القتل^(١) ، إذ يبدو أن إطلاق سراحه سنة ٧١٢ هـ بعد حكم التشدد عليه وعدم السماح له بالخروج قد جاء بسبب هذا المؤلف وما أظهر فيه من انتصار لعقيدة المدرسة السنية مما صرف الأنظار عنه وليس لسبب آخر كون التغيير المفاجئ و غير المنسجم مع التشدد الحاصل عليه لا يدل إلا على ذلك .

٥- كما يمكن أن يضاف أن ذلك التطاول على العلامة الحلبي في منهاج السنة قد حمل سمة الرد على حالة الانتعاش المذهبي لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ومثّل حالة الدفاع عن عقيدته التي بدأت تتهاوى بفضل الفسحة التي سمح بها للمذهب الشيعي أن يظهر إلى العلن وإلى الناس ، إذ أن منهاج الكرامة قد أدى إلى تغيير وتحول كبير في التوجه العقدي عند العامة مما مهد إلى قيام محمد خدابنده^(٢) أن يعلنه مذهباً رسمياً في إيران عام ٧٠٩ هـ بعد أن تأثره بالعلامة الحلبي^(٣) .

مما يعني أن طبيعة مؤلف الحلبي ورسائله وجزالته أخرجت ابن تيمية في عقيدته وفسحت المجال للعامة للتغيير عقائدهم وفق رؤية مخالفة لتوجه ابن تيمية ، لذا حاول

١ . أبو الفتح اليعمري ، أجوبة ابن سيد الناس ، ٢ / ٢٢٢ .

٢ . محمد خدابنده أولجايتو بن أرغون بن هولوكو، شقيق محمود غازان ، ولد سنة (678 هـ) وتولى حكم الدولة الإلخانية سنة (٧٠٤) فأصبح ثامن ملوكها، توفي سنة (716 هـ) ، وفي عهده تحولت المناطق الخاضعة لسيطرته إلى التشيع وأصبح مذهباً رسمياً لدولته ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢ / ١٢٩ . ١٣٠ .

٣ . منهاج السنة ، ١ / ٦١ .

التشهير بالحلي ليجعل ذلك جزء من تسقيطه لمؤلفه وتغطية على ما فيه من الاستدلالات العلمية التي لا يستطيع أن يردها ابن تيمية بالحجة ، فالهروب من منطق الدليل حتم عليه الطعن بالحلي وبالتالي مؤلفه و من ثم ألجأه إلى الطعن بشخصية الإمام علي (عليه السلام) وتطويقها بتكذيب الواضحات من مناقبه وفضائله ، وبالتالي قد تكون هذه العوامل أضيفت إلى عوامل سابقة ، لتلعب دورا في ولادة مثل هكذا تطاول ومثل هكذا مؤلف .

سابعا : القيمة العلمية لكتاب منهاج السنة

يبدو الترويج لأهمية كتاب منهاج السنة عند أتباع ابن تيمية في ما مضى وفي الوقت الحاضر واضحا وجليا ، فجعل منهاج السنة أهم الكتب والتراث الذي ألفه ، لذا تزدهم عباراتهم في بيان ذلك الكتاب وغرضه ومكانته و الفئة المخاطبة به وهي الرافضة ، فعبارة محققه الدكتور محمد رشاد سالم تشير إلى ذلك بوضوح إذ يقول : " فإن كتاب منهاج السنة النبوية من أهم كتب شيخ الإسلام حيث أنه من الكتب التي تعين المسلم على تعيين المنهج الصحيح في أصول الدين ، عند أهل السنة والجماعة ، كما أنه يتضمن الرد على بدع الفرق الضالة ، بنهج عرف عن شيخ الإسلام ، وهو الدقة و الإنصاف الموضوعي" (١) .

ويظهر أن هذه النظرة لمنهاج السنة لم تكن تستهوي الأتباع فقط ، بل تعدتهم لتشمل فئة من العلماء الذين قد انتقدوا شخصية ابن تيمية ، غير أنهم أثنوا على المنهاج ولكن في جانب محدد يتعلق بما نقضه من عقيدة للرافضة في هذا الكتاب ، إذ يقول في السبكي : " رأيت . أي ابن تيمية - قد أجاد في الرد عليه . أي على العلامة ابن المطهر - لكن صرح باعتقاد حوادث لا أول لها وإنها قائمة بذات الباري" (٢) .

أما ابن حجر فيقول عن منهاج السنة " طالعت الرد المذكور فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء لكن وجدته **كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث** التي يوردها ابن المطهر وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات لكنه رد في رده **كثيرا من الأحاديث الجياد** التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها لأنه كان لاتساعه في الحفظ يتكل على ما في

١ . منهاج السنة ، ١ / ٦ (مقدمة المحقق) .

٢ . حاجي خليفة ، كشف الظنون ، ٢ / ١٨٧٢ .

صدره والإنسان عامد للنسيان **وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحيانا إلى تنقيص علي رضي الله عنه وهذه الترجمة لا يحتمل إيضاح ذلك وإيراد أمثله** (١) .

غير أن مثل هكذا أمر وهكذا تقييم سواء كان من قبل الأتباع أو من هؤلاء العلماء هو تقييم قابل للمناقشة ، وإن كان رأي العلماء في منهاج السنة أقل تطرفا ونشوة وزهوا من رأي أتباع ابن تيمية ، ولعل السبب الحقيقي وراء ثنائهم هو أن ابن تيمية قد عرض نفسه مدافعا عن عقيدة أهل السنة في الصحابة و إمامتهم ، ومن ثم حصل هذا التأييد لمثل هكذا موضوع ، ومع الأسف الشديد أن هذا الأمر نقطة تسجل ضد هؤلاء العلماء ، فهم قد تناسوا ما قيموا به ابن تيمية وما نعتوا به أفكاره وعقليته ، تناسوه لا لشيء إلا لكونه قد رد في مؤلفه على مخالف لهم في العقيدة وانتصر لمذهبهم دون أن ينظروا في منهاج السنة ويدركوا حقيقة الكذب والتزوير والتفريق والآراء المنحرفة التي أتى بها ابن تيمية التي يمثلها التجسيم تمثيلا صارخا وواضحا .

بل أن تقييم ابن حجر ينبأ أن ليس كل الكتاب مرضيا عنه كون مؤلفه قد رد كثير من الأحاديث التي خضعت لشروط الوثاقة واجتازتها بنجاح ، فالأحاديث الجياد كانت هدفا لابن تيمية في منهاجه ، وهي شهادة تكفي لتكون دليلا على أن منهاج السنة لم يكن كتابا موضوعيا روعيا فيه البعد العلمي الصحيح والمطلوب في الكتب التي بيتغى منها النقض للمخالفين ، وإنما شابه الكثير من الاضطراب العلمي وما شهادة ابن حجر إلا دليل على ذلك .

ولعل ما يؤيد ذلك أن العلامة الحلي قد اطلع على كتاب منهاج السنة فتكلم قائلا : " لو كان يفهم ما أقول أحبته، ورد عليه بأبيات :

لو كنت تعلم كل ما علم الورى طرا لصرت صديق كل العالم

لكن جهلت فقلت إن جميع من يهوى خلاف هوك ليس بعالم (٢)

١ . لسان الميزان ، ٦ / ٣٢٠ .

٢ - الحلي ، إرشاد الأذهان ، ١ / ١٥٠ ، وينظر : ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ٢ / ٧١ ، ٢ / ٣١٧ .

إن تلك الأبيات تدل على مدى الجهل الذي كان يحمله ابن تيمية ، وإلا فابن المطهر لم يكن بالشخصية العلمية المترددة أو العاجزة أو الجاهلة أو ذات الضعف العقلي . تلك الأوصاف التي نعت بها ابن تيمية من أبناء جلدته . حتى يتوانى عن الرد عليه.

الفصل الثاني

فلسفة التعامل مع الشخصية العلمية والمعرفية للإمام علي (عليه السلام)

تعد الإحاطة بالمعارف والعلوم موضع اهتمام من قبل الشريعة الإسلامية حتى تواردت الآيات الدالة على مكانة العلم والعلماء في القرآن الكريم ، فقد ورد قوله تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " (١) و في سورة فاطر قوله تعالى " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (٢) وكذلك ، وقد ذكرتنا بعض الآيات بعدم استواء الجاهلين والعالمين كما في قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ " (٣) وغيرها من الإشارات التي رفعت حظوة العلماء في الشريعة الإسلامية .

ولم يكن الرسول إلا ترجمان لكل طروحات السماء فكان تراثه العبق مليئاً بتلك الإشارات التي حثت على طلب العلم ووقرت حملته (٤) ، لذا برز كثير من العلماء وفي مختلف المجالات، فهفت النفوس وانقادت إليهم لتتهل من فيض علومهم التي لا يحمل المتلقي منها إلا على قدر وعائه .

وكانت ولا زالت المعرفة بالقرآن والسنة ميزة لحاملها لما تقدمه من سخاء المعرفة الذي تُستجلى به كل فروع العلوم الأخرى إذ يقول رب العزة " مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٥) .

وقد شكلت الشخصية المعرفية للإمام علي (عليه السلام) مواطن جذب التفت إليها المجتمع الإسلامي المتعطش لحقيقة العلم والمعرفة لما مثلته من تميز معرفي وإحاطة بعلوم

١ . سورة المجادلة ، الآية : ١١ .

٢ . الآية : ٢٨ .

٣ . سورة الزمر ، الآية : ٩ .

٤ . البخاري ، الصحيح ، ١ / ٢١ - ٢٨ ، أبو يعلى الموصلي ، المسند ، ٥ / ٢٢٦ ، ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، ١ / ١٤ ، العيني ، عمدة القاري ، ٢ / ٧٦ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١ / ١٧٧ .

٥ . سورة الأنعام ، الآية : ٣٨ .

القرآن والسنة، إذ لم يكن الإمام علي (عليه السلام) في ذلك إلا كمحل القطب من الرحي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير^(١) لما خصه الله من قابليات علمية فاقت تصور عقول البشر جاء القرآن والسنة ناطقا بها .

غير أن الخصوصية العلمية في شخصية الإمام علي (عليه السلام) وجدت من – يستبجحها- ويرشقها بحجارتها التي لا يسلم منها إلا من سار في فلكه المخروق شكلا والمشوه محتوى، ليأتي التشكيك بهذه المعرفة التي انمازت بها شخصيته (سلام الله عليه) وتصور للمتلقي على أنها شخصية شوهاء مترددة قليلة الإحاطة بالعلم ومكانه وليس لها حظ سبر أغواره، متابعة لغير النبي (صلى الله عليه وآله) في تلقيه، وذلك من خلال عدة آليات :

أولاً : آلية الإسقاط و الاستباحة للأثر القرآني الدال على مكانة الإمام علي (عليه السلام) العلمية .

قد كان التراث القرآني المعرف بشخصية الإمام علي (عليه السلام) العلمية التي أحاطت بعلوم القرآن من بين أهم الجنبات المستباحة عند ابن تيمية إذ لم يرق له أن يأتي القرآن معرفا بالإحاطة العلمية التي يمتلكها الإمام علي (عليه السلام)، فراح يمهد لقضية إسقاط واستباحة الاعتبار القرآني الدال على ذلك وفق جملة من الأمور أهمها:

١- عزل الآيات القرآنية المعرفة بمكانة شخصية الإمام بمختلف جوانبها ولا سيما العلمية منها عن إطار الفهم الطبيعي الذي دللت عليه .

فمسألة تنحية وإبعاد وإفراغ الآيات القرآنية عن مقصدها الحقيقي والطمع بمدلولها القرآني الذي جاءت ناطقة به ودالة عليه من أهم ما يلاحظ في موقف ابن تيمية المعترض على مكانة الإمام علي (عليه السلام) العلمية.

فقد رأى العلامة الحلي أن الآية الكريمة "وَتَعِيَهَا أُنْزُوعًا" (٢) فيها من الدلالة الصريحة على مكانة الإمام المعرفية وسعته العلمية (١) ، غير أن ابن تيمية لم يرتض هذا

١ . ينظر نهج البلاغة ، ٣٠ .

٢ . سورة الحاقة ، الآية : ١١ .

الفهم فعمد إلى إيجاد رؤية مخالفة لذلك من خلال الطعن بالمدلول القرآني الخاص بهذا الجانب وفق عدة امور :

١ . التكذيب للسنة الدالة على مدلول الآيات القرآنية.

٢ . صرف النظر عن المقصد الحقيقي و إعطاء بعد عام لدلالة الآية القرآنية .

٣ . التوهين للرأي الدال على ذلك .

فقد شكل التكذيب للسنة النبوية التي جاءت بما لا يلائم رغبة ابن تيمية من أهم آليات استباحة مقصد الآيات القرآنية الدالة على مكانة الإمام (عليه السلام) ، فالسنة لها الدور المبرز في فهم القرآن الكريم والتعريف بمقاصد الآيات و مصاديقها و أسباب نزولها ، وقد جاء في التراث النبوي وسنته ما يدل على أن الآية الكريمة السابقة جاءت كاشفة و مترجمة لأمر إلهي سابق لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بان يدني الإمام ويعلمه ليعي المعارف الإلهية وكان الرسول (صلى الله عليه وآله) قد خاطب الإمام بذلك الأمر بقوله: " إن الله أمرني أن أدنيتك وأعلمك لتعي" (٢) غير أن ابن تيمية رفض أن يكون مدلول هذه الآية هو الإمام علي (عليه السلام) وذلك من خلال تكذيب السنة الدالة على ذلك بادعاء اتفاق العلماء على وضع ذلك الحديث إذ قال "إنه حديث موضوع باتفاق أهل العلم" (٣) .

في الحقيقة يستعرض ابن تيمية رده على ذلك الأمر ويدعمه بأهل العلم ولكنه يتهرب من إيراد ولو اسم واحدا منهم ليتسنى لنا معرفة مكانته العلمية .

ثم أنه يحاول أن يشكل منهجا وقاعدة خاصة في تقبل ما توارد من تراث دال على مكانة الإمام (عليه السلام) ، يكون لأهل العلم قدم السبق فيه ، ولا شك إن اعتماد رأي أهل العلم في تقبل التراث أمر له من المقبولية الشيء الكثير ولا يجانبه العقل وعلى ابن تيمية أن يلزم نفسه وغيره بها لا أن يطالب خصومه بالالتزام بها ويقوم هو بشرخها وخرقها لاسيما

١ . منهاج الكرامة ، ١٣٢ .

٢ - ابو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ١ / ٦٧ ، الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ٢ / ٣٦٣ ، السيوطي ، الدر المنثور ، ٦ / ٢٦٠ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١٣ / ١٧٧ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٦ .

وأنه هو الذي تنابها و طرحها وأكد عليها وحاول إهمال أي تراث لم يتسالم العلماء عليه وذلك يعرف من كثرة ترديده للفظه اتفاق العلماء (١).

إن من الموضوعية أن يخضع أي تراث لهذا المنهج لا أن يكون منهجا انتقائيا يخضع له تراث دون آخر ، فإن وجدنا ما يدل على أن هذا الحديث موجود في موسوعة المعارف الإسلامية بمختلف توجهاتها قامت الحجة على انطباق كلام الرسول (صلى الله عليه وآله) ونقض كلام ابن تيمية ، وإن لم نجد فكلام ابن تيمية له النصيب الأوفى ، فالمبتغى هو الحقيقة لا غيرها ولا يهم الإمام علي (عليه السلام) إن لم يثبت هذا الحديث فمناقبه و فضائله ومكانته واضحة لا يحجبها شيء ، يكفي في بيانها ما ذكره الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله: "ما أقول في حق امرء كتمت مناقبه أولياءه خوفاً ، وأعداءه حسداً ثم ظهر من بين الكتمين ما ملأ الخافقين " (٢) .

غير أن اتفاق العلماء الذي يدعيه ابن تيمية من الأمور التي ينبغي الخوض فيها بحذر خصوصا وهو يدعيها بأمر متعلق بنقض فضائل الإمام (عليه السلام) ، فاتفاق العلماء يعني أن لا أحد منهم قد خالف ذلك الأمر أو تلك الدعوى ، ولو وجد هناك عالم أو عالمان قد طرحوا رأياً مغايراً حينها ينتفي الإجماع العلمي ويبقى ذلك محل تجاذب يحكم بقبوله من عدمه من خلال صحة المقدمات التي اعتمدها كل اتجاه ومدى تطابقها مع النتائج ، إضافة إلى مقبولية العالم وتخصصه وقربه العلمي من الموضوع وإحاطته التامة على أطرافه المتعددة ، ولا شك أن الاعتماد على كلا الاتجاهات الإسلامية له حضوره في ذلك لتتبين صحة كلام المدعي ومدعاه من زيفه وخطأه ، وهذا الاستطلاع لا بد وأن يعتمد على تراث مختلف العلماء في مختلف اختصاصاتهم ، ومن ثم التركيز على جانب المحدثين والمفسرين كونهم أقرب وأكثر تخصص من غيرهم في القضية المطروحة ،

١ . شغلت هذه العبارة ومثيلاتها أغلب منهاج السنة وردوده على ابن المطهر الحلي .

٢ . المامقاني ، نقيح المقال ، ١ / ٤٠٢ ، وقد ورد مثل هذا الكلام للشافعي إذ ورد أنه قال " ما أقول في حق من أخفت أوليائه فضائله خوفاً ، وأخفت أعداؤه فضائله حسداً ؟ ، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين " ينظر : الديلمي ، إرشاد القلوب ، ٢١٠ .

واعتماد نماذج محددة منهم يكون اختيارها نابعا من مقبوليتها بين التوجهات الإسلامية المختلفة .

فأما موقف العلماء من ذلك الأمر فيكفي القول أن الإطلاع على تراث العلماء يشير إلى حقيقة مغايرة تمام المغايرة وصورة مختلفة تمام الاختلاف عما ادعاه ابن تيمية ، ولو اعتمدنا على إحصاءات عابرة لوجدنا أن تراث المسلمين وعلى مر القرون الإسلامية فيه أكثر من إشارة تقول بما ذهب إليه العلامة الحلي (١) مما يعطي انطبعا على امتداد هذا التوجه زمانيا وعدم انحصاره بزمن واحد ، وتخصصيا وعدم انطواء المحدثين والمفسرين على ذكره وإنما شمل فئات واسع ذات تخصص متنوع مشهود لهم بالمقبولية عند ابن تيمية نفسه فضلا عن غيره (٢) .

أما أهل التخصص و المقبولية ، فمن المؤكد ان سبق ذكرهم هم أهل تخصص ولكن لبيان مدى مقبوليتهم نعتد ترجمة لأحدهم ألا وهو الحاكم الحسكاني فهو "الإمام لمحدث القاضي البارع أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسان القرشي العامري النيسابوري الحنفي .. شيخ متقن ذو عناية تامة بعلم الحديث ، ... كان معمرا عالي الاسناد ، صنف في الأبواب وجمع وحدث" (٣) ولو تأملنا في موقف الحاكم الحسكاني من هذا الحديث لوجدناه قد جمع طرق شتى وعدة دلت بها على ان مصداق هذه الآية هو الإمام علي (عليه السلام) (٤) .

١- الطبري ، التفسير ، ٢٩ / ٦٩ ، ابن أبي حاتم الرازي ، التفسير ، ١٠ / ٣٦٩ - ٣٧٠ ، الثعلبي ، التفسير ، ١٠ / ٢٨ ، الواحدي ، اسباب النزول ، ٢٩٤ ، السمعاني ، التفسير ، ٦ / ٣٦ ، الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ٢ / ٣٦١ - ٣٧٨ ، الزمخشري ، الكشاف ، ٤ / ١٥١ ، الفخر الرازي ، التفسير ، ٣٠ / ١٠٦ ، ابن المنير الأُسكندري ، الإنصاف ، ١ / ٤٥٢ .

٢ . منهم الطبري الذي وصفه ابن تيمية بأنه "من اهل العلم" وذلك استشهادا برأيه القائل بعدم ولادة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) ، وكذلك قال عنه بأنه "من الأئمة المتبوعين" ، إضافة إلى مجموعة = كبيرة من المؤلفين منهم الرازي وابن أبي حاتم و الحاكم الحسكاني وغيرهم من الذين ذكرهم بقوله "جهايزة ونقاد وأهل معرفة بأحوال الإسناد" انظر منهاج السنة ، ١ / ٤٢ .

٣ . الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ٣ / ١٢٠٠ ، سير أعلام النبلاء ، ١٨ / ٢٢٩ .

٤ . شواهد التنزيل ، ٢ / ٣٦١ . ٣٧٨ .

والمثال الثاني هو الفخر الرازي المعروف بسعته التفسيرية ومكانته العلمية إذ روى عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم عند نزول هذه الآية : " سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ، قال علي : فما نسيت شيئاً بعد ذلك ، وما كان لي أن أنسى" (١) ، وحقيقة إن شهرت هذه الآية دفعت الأيجي إلى التصريح بأن " أكثر المفسرون في قوله تعالى " وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ " إذن واعية: أنه علي" (٢) .

وقد يتسرب لذهن المتلقي أن كلام الإيجي هو دعوى مشابه لما قاله ابن تيمية ، غير أن ما يميز كلامه هو سمة الموضوعية التي كان عليها ، فهو لم يدع اتفاق العلماء على ذلك - كما حاول ابن تيمية أن يدلّس ويصادر رأي السابقين له في ذلك - بل أنه قال وأكثر المفسرين وليس كلهم ، وفعلاً فإننا عند مطالعتنا لكلمات المفسرين نجد أن أساطينهم ومميزهم قد رووا ذلك الحديث وان مصداقه هو الإمام علي(٣) .

إلا أن كلام الأيجي يمكن ان يضاف عليه بأن اختصاص أو حصر هذا الرأي بالمفسرين أمر مردود إذ إن كثير من مصادرنا الإسلامية وبمختلف توجهاتها قد ذكرت هذا الحديث وأن علي هو الأذن الواعية لعلم الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وهذه المصادر

١- الفخر الرازي ، التفسير ، ٣٠ / ١٠٦ ، وينظر : الكوفي ، مناقب الإمام علي (عليه السلام) ، ١ / ١٤٢ ، ابن مردويه ، المناقب ، ٣٣٨ ، الثعلبي ، التفسير ، ١٠ / ٢٨ ، الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ٢ / ٣٦٢ ، ابن كرامة ، تنبيه الغافلين ، ١٧٤ ، الزمخشري ، الكشاف ، ٤ / ١٥٣ ، ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ٥ / ٣٥٨ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٣٨ / ٣٤٩ ، ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٢ / ٢٧٦ ، ابن جبر ، منهج الإيمان ، ٥٥٢ ، ابن البطريق ، العمدة ، ٢٩٠ ، ابن عربي ، التفسير ، ٢ / ٣٤٥ ، القرطبي ، التفسير ، ١٨ / ٣٦٤ ، الغرناطي الكلبى ، التسهيل لعلوم التنزيل ، ٤ / ١٤٢ ، الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٤ / ٥٢٢ ، الفتحال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ١٠٥ ، ابن الصباغ ، الفصول المهمة ، ١ / ٥٧٥ ، ابن الدمشقي ، جواهر المطالب ، ١ / ٧٦ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١٣ / ١٧٧ ، الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ٥ / ٤٠٢ .

٢ . ٣ / ٦٢٧ .

٣- الطبري ، التفسير ، ٢٩ / ٦٩ ، ابن ابي حاتم الرازي ، التفسير ، ١٠ / ٣٦٩ . ٣٧٠ . الثعلبي ، التفسير ، ١٠ / ٢٨ ، السمعاني ، التفسير ، ٦ / ٣٦ ، الزمخشري ، الكشاف ، ٤ / ١٥١ ، الفخر الرازي ، التفسير ، ٣٠ / ١٠٦ ، ابن المنير لأسكندري ، الإنصاف ، ١ / ٤٥٢ .

منها ما هو قريب على علوم القرآن كما هو حال كتب اسباب النزول للواحي الذي أكد حقيقة المقصود بذلك الأمر هو الإمام علي (عليه السلام) في استفاضات رائعة وقيمة تحسب له (١) ومنها ما كان خاصا باللغة والأدب كما هو حال ابن أبي الحديد (٢) ومنها ما كان خاصا بالمناقب وغيرها (٣) .

بل أن البعض لم يقف عند تشخيص هذه الآية واختصاص الإمام علي بمدلولها ، لكن نراه يذهب إلى أبعد من ذلك ، إذ رأى أن فيها ما يدل على حصر العلم بإذن واحدة وهي إذن الإمام علي و أنها جاءت توبيخا للكم الهائل من الناس والأكثرية الجاهلة إذ قال الزمخشري ما نصه : " فإن قلت : لم قيل أذن واعية على التوحيد والتكبير ؟ قلت : للإيذان بأن الوعاة فيهم قلة وتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم ، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالي بهم بالة وإن ملئوا ما بين الخافقين " (٤) .

إلا أن ابن تيمية لم يرتض هذا الفهم بل وجد فيه مادة خصبة ضد الإمام علي فأستغله أبشع استغلال بأن عمد إلى التشويش على ذهن المتلقي وذلك بمغايرة الفهم العلمي الذي نتج عنه وقلبه وذلك من خلال قوله " أن الله تعالى لم يرد بذلك أن لا تعيها إلا أذن واعية واحدة من الأذان ولا أذن شخص معين لكن المقصود النوع فيدخل في ذلك كل أذن واعية " (٥) دون الإشارة إلى الفهم السابق ومعارضته له ، وكأن هذا الرأي وليدة فكره ونتاجه دون أن يكون للعلماء دور في تضمينه للتراث الإسلامي المتعلق بهذه القضية .

وحقيقة ذلك تعني ان ابن تيمية يعالج ما دل على فضائل الإمام علي بحالة من الإقصاء والإغفال المتعمد ليسطح كل ما من شأنه الإشادة بهذه الشخصية العظيمة كما أنه

١ . ٢٩٤ .

٢ . شرح نهج البلاغة ، ٧ / ٢٢٠ ، ١٨ / ٣٧٥ .

٣ . الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ٢٨٢ .

٤ . الكشاف ، ٤ / ١٥١ ، وينظر : الفخر الرازي ، التفسير ، ٣٠ / ١٠٦ .

٥ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٦ . ٣٧٧ .

يحاول في مسألة عدم الإشارة إلى فهم العلماء والقول بما يعاكسه إلى تقليص السعة الحقيقية لدلالة النص القرآني وهدفها الذي يتعارض مع المبتى الفكري الذي ينتمي إليه.

فالفهم الحقيقي للنص يعني التخصيص العلمي والاستشعار الحقيقي لمكانة الإمام العلمية تلك المكانة الحصرية في وعاية علم الرسول وتوبيخ الكثرة القاصرة عن بلوغ مكامن العلم بمختلف عناوينه وجوانبه .

٢ . هذا الفهم دعى ابن تيمية إلى عدم الاكتفاء بما ذكرناه بل تعداه ليستخدم آلية صرف النظر عن ذلك الفهم من خلال إعطاء بعد عمومي للآيات القرآنية وجعل الإمام (عليه السلام) جزء من مجموعة آذان وإشراك غير الإمام (عليه السلام) معه ونفي أن يكون ذلك من المختصات وبالتالي نفي ان يكون ذلك فضيلة له ومختصة به لذا نراه يقول " نعم أذن علي من الآذان الواعية كأذن أبي بكر و عمر و عثمان و غيرهم و حينئذ فلا اختصاص لعلي بذلك و هذا مما يعلم بالاضطرار أن الآذان الواعية ليست أذن علي وحدها ...و إذا كانت الآذان الواعية له و لغيره لم يجز أن يقال هذه الأفضلية لم تحصل لغيره" (١)

إن ابن تيمية يعتمد في كثير من المواقف على ذاتية الطرح ويلغي الوجود النصي لما يعارض هذه الذاتية أو إذا ما عارضها وكأنه يجتهد قبالة النص، ولو تأمل قليلا لوجد أن دعوى ابو بكر وعمر وعثمان من الآذان الواعية هي دعوة بلا دليل ومعارضة للقرآن والسنة والفهم الذي تبين للعلماء من هذين المصدرين وبالتالي يشكل طرحا مجردا من الدليل إلا الذاتية المغرقة في التحامل والحواجز المفتعلة بوجه النص كي لا يأخذ مجراه الحقيقي في سماء المعرفة الإنسانية ، فالنصوص السابقة تدل بما لاشك فيه على أن علم الرسول (صلى الله عليه وآله) قد انحصر بعلي (عليه السلام) ولم يكن بمقدور العلماء إلا أن يعترفوا بهذه الحقيقة حتى وإن خالفت معتقدهم ، كما أنهم لم يشيروا إلى وجود شخصية مزاحمة أو مشتركة معه (عليه السلام) في هذا الاختصاص ، وإنما هو الحصر والتوحد على حد التعبير السابق .

ثانياً : طرح نظير للإمام علي (عليه السلام) وترجيحه في معرفة القرآن .

أما المحاولة الثانية للحط من شخصية الإمام علي (عليه السلام) العلمية جاءت من خلال التأكيد على عدم إحاطة الإمام (عليه السلام) بالمعارف القرآنية وذلك بطرح نظير للإمام (عليه السلام) في معرفة القرآن وترجيحه على الإمام ، لتكون شخصية عثمان هي محل الاستقطاب الذي تُستهدف به تلك الشخصية العظيم.

إذ لم يكتف ابن تيمية بصرف الآيات القرآنية المبينة دلالتها بأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) ، بل راح بعيداً في تجريد الإمام من معرفته بالقرآن وعلومه وسعته فيه، فقد أسهم التوقع العقدي والخطاب المتشنج المنبعث من روح البخس والتحامل ، أن يجر ابن تيمية إلى المبالغة والغلو في معرفة عثمان بن عفان بالقرآن والترويج لأعلميته وبعد نظره في أسراره ومكنونه ، لذا نجده يقول: " فقد ذكر من ذكره من العلماء فقالوا عثمان كان أعلم بالقرآن وعلي أعلم بالسنة ... فثبت أن عثمان أفضل لأن علم القرآن أعظم من علم السنة وفي صحيح مسلم وغيره أنه قال يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة وعثمان جمع القرآن كله بلا ريب وكان أحياناً يقرؤه في ركعة وعلي قد اختلف فيه هل حفظ القرآن كله أم لا " (١) " و قد اختلف في حفظه لجميع القرآن على قولين " (٢) .

لم يتهيب إن ينسب ما يبتغيه وما يتلائم مع فكرته إلى العلماء لا لشيء إلا لتأخذ مأخذها عند المتلقي الذي يحسن الظن بابن تيمية وطروحاته التي أكسبها نوع من العصمة الباطلة ولم يكلف نفسه في التفتيش عن مصدرها ومصداقيتها ، فالذي يبدو أن ظاهرة التمويه والتضليل لا تنفك عن تراث ابن تيمية المتعلق باستعراض شخصية الإمام علي (عليه السلام) وليس أدل دليلاً على ذلك هو بث رأيه الماقت للإمام من خلال دعوى قول العلماء دون أن يمنهج ذلك بإطار ذو أسس محددة ، ليعلم المتلقي من العلماء قد قال ذلك وما هي مقبوليته ومكانته العلمية .

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٥١٣ . ٥١٤ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٩ .

إذ يمكن القول إن آلية التعمية وصرف النظر هي آلية اتبعها ابن تيمية من بين عدة آليات في هذا المجال ،وباعتماده عليها شكل نتيجة تساير مبتغاه وما تجنح إليه نفسه من توهين شخصية الإمام العلمية .

فرجاحة علم عثمان القرآني بناها ابن تيمية على دعوى قول العلماء وهو أمر لم نجد له أي دليل في تراث المسلمين ، بل وجدنا ما يرجح الإتيان العلمي للإمام علي (عليه السلام) في القرآن وعلومه .

ولكي يكون طرحنا علميا ينبغي أن نسجل

١. ادعى ابن تيمية أعلمية عثمان بالقرآن وبالتالي أفضلية علم القرآن على علم السنة.
٢. مقارنة ابن تيمية لم تعتمد وحدة الموضوع فهناك فرق بين جمع القرآن وحفظ القرآن.
- ٣ . إعطاء مكانة متميزة لعثمان لحفظه القرآن والتعريض بالإمام بدعوى عدم الحفظ.

إن الاستدلال على أعلمية عثمان بالقرآن وتفوقه على الإمام (عليه السلام) في هذا الجانب يجب أن يمر بعدة مراحل من أهمها اعتماد ما ذكره العلماء والباحثون والانتفاع من طروحاتهم المبنية على المنهج العلمي المتسم بالدقة والموضوعية والمبتعد عن الذاتية المغرقة المناحزة التي تشوه الحقيقة ، و الإطلاع على التراث الخاص بكلا الشخصيتين في هذا الجانب أي في جانب المعارف القرآنية .

يمكننا القول أن التراث الإسلامي لا يؤيد ما ذهب إليه ابن تيمية أو يرسخ فكرته القائلة بأعلمية عثمان بن عفان القرآنية والدلائل تشير إلى رؤية مغايرة لما صرح به ، فإمعان النظر في تراث العلماء يدل وبضرس قاطع إن الشخصية العلمية للإمام علي (عليه السلام) هي ضحية لذاتية ابن تيمية ذات الطرح المتشنج المنبثق من الانحياز النفسي و العقدي ، فالرسول (صلى الله عليه وآله) يصرح بتلك الأعلمية التي لا يرقى إليها أحد وفي شتى المجالات ، وفقهاء الإسلام وعلمائهم يؤكدون على هيمنته المطلقة على القرآن وعلومه ، ونبوغه المنقطع النظير في استكناه أغواره واستخراج مكنونه واستتطاق آياته ، فعلم القرآن مبتداها منه ومنتهاها به ، لا يدانيه فيها أحد ولا يجاربه فيها مستعد، كيف وقد صرح

الرسول بشموليته العلمية حين خاطب الزهراء (عليها السلام) قائلاً "والله لقد أنكحتك أكثرهم علماً ، وأفضلهم حلماً" (١) وكذلك قوله (صلى الله عليه وآله): "علي مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض" (٢) ، وقوله (صلى الله عليه وآله): "إعلم أمتي بعدي علي بن أبي طالب" (٣).

وقد استرشد الكثير من العلماء والباحثين بأقوال الصحابة المعاصرين للإمام الدالة على علميته ليثبتوا مدى تبحره العلمي والتصاقه الحميمي بالفروع المعرفية جميعاً ، فقد أورد الحاكم عن السيدة عائشة قولها: "علي اعلم أصحاب محمد بما انزل على محمد" (٤) وعن سعد بن أبي وقاص قوله لمن شتم الإمام علي (عليه السلام): "ألم يكن اعلم الناس" (٥) ، وقول عمر: "سمعت النبي يقول: "أعلمكم علي بن أبي طالب" (٦) ، بل إن هذا الإقرار قد جاء على لسان أناس منحرفين عن الإمام علي (عليه السلام) ، إذ ورد عن الشعبي قوله: "ما كان أحد من هذه الأمة اعلم بما بين اللوحين وبما انزل على محمد من علي" (٧) ، علماً أن الشعبي له من الحظوة والمكانة في مناهج ابن تيمية فقد اعتمد عليه بشكل كبير في الطعن على الشيعة وهذا الأمر أثار أحد الباحثين فراح يقول "لقد اعتمد ابن تيمية أقوال الشعبي لوصف الشيعة وبيان أخبارهم ، لأنه في نظره كان أخبر الناس بهم . وهذا الشعبي هو عامر بن شراحيل . كان قاضي الكوفة في عهد بني أمية ، وصحب عبد الملك بن

١- الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ٩٣ ، وينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٤٢ / ١٣٢ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٥ / ٥٢٠ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١٣ / ١١٤ ، الفتني ، تذكرة الموضوعات ، ١٧٨ .

٢- الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٥ / ١٣٥ ، المعجم الصغير ، ١ / ٢٥٥ ، الحاكم الحسكاني ، المستدرک ، ٣ / ١٢٤ ، ابن مردويه ، المناقب ، ١١٧ ، ١١٨ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ١٧٧ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١١ / ٦٠٣ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ١ / ٢٦٩ .

٣. الديلمي ، مسند الفردوس ، ٣٢٣ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ٨٢ .

٤ . شواهد التنزيل ، ١ / ٤٧ .

٥. الحاكم ، المستدرک ، ٣ / ٥٠٠ ، الخطيب التبريزي ، الإكمال في أسماء الرجال ، ٧٨ .

٦ . الكليني ، الكافي ، ٧ / ٤٢٤ ، الشريف الرضي ، خصائص الأئمة ، ، ٨٤ .

٧. الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١ / ٤٨ . ٤٩ ، الزرندي الحنفي ، نظم درر السمطين ١٢٨ .

مروان الأموي وكان أمين سره ، وشارك في المؤتمرات السياسية ونحن نعلم أن بني أمية لم يكونوا يقربون إلا من كان يبغض عليا وشيعته ، وقد كان الشعبي كذلك لقد اتهم الشعبي الحارث الأعور الهمداني بالكذب وهو من أصحاب علي بن أبي طالب . يقول ابن عبد البر^(١) : أظن أن الشعبي عوقب على تكذيبه الحارث ، لأنه لم تين منه كذبة أبدا ، وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي^(٢) ، بل إن منهم من نفى ودونما تردد من أن يكون أحد أعلم من الإمام فقد صرح عطاء بن رباح^(٣) إذ سئل عن أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) أكان فيهم أعلم من الإمام (عليه السلام) فأجاب : " لا والله لا أعلمه " (٤) .

كما ان توجه الصحابة يؤكد بما لا يقبل الشك أو التشكيك على رسوخ وثبوت قدم الإمام علي في كافة العلوم ، فقد روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال " القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن ، و إن عليا عنده علم الظاهر والباطن " (٥) وكذلك وكذلك قوله: " لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيه الإبل لأتيته ، قيل : علي ، قال : عليه قرأت وبه بدأت " (٦) ، وكذلك قول ابن عمر " علي أعلم الناس بما أنزل على محمد

١- جامع بيان العلم ، ٢ / ١٥٤ ، ونص كلام ابن عبد البر هو : " و أظن الشعبي عوقب لقوله في الحرث الهمداني حدثني الحرث وكان أحد الكذابين ولم يبين من الحرث كذب وإنما نقم عليه إفراطه في حب علي وتقضيله له على غيره ومن ههنا والله أعلم كذبه الشعبي لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنه أول من أسلم " .

٢ . الكثيري ، السلفية بين أهل السنة والإمامة ، ٦٤١ .

٣ . أبو محمد عطاء بن أبي رباح مولى بني فهر أو جمح كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير ، كان عالما بالمناسك ، توفي سنة ١١٥ وقيل ١١٤ وعمره ثمان وثمانون ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣ / ٢٦٠ . ٢٦٢ .

٤ الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١ / ٤٨ ، أبو إسحاق الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ٤٣ .

٥- ابو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ١ / ٦٥ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٠٠ ، السيوطي السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن ، ٢ / ٤٩٣ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ١ / ٢٢٣ .

٦- ابن عقدة الكوفي ، فضائل امير المؤمنين ، ٤٥ ، وهذا النص موجود في عدة مصادر أخرى غير أن التساؤل الذي طرح على ابن مسعود وإجابته عليه قد حذف إذ أورد الكلام بالنص الآتي " ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغني الإبل إليه لأتيته فقال أبو وائل [بن سلمة الأسدي الكوفي شيخ الكوفة وعالمها ، مخضرم جليل روى عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة رضي الله عنهم وجماعة ، وعنه الأعمش ومنصور وحصين وخلق سواهم ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ١ / ٦٠] فقامت إلى الحلق أسمع ما

"(١)، وقال مسروق الأجدع^(٢) . وهو أحد أركان مدرسة الكوفة العلمية . انتهى العلم إلى ثلاثة : عالم بالمدينة ، وعالم بالشام ، وعالم بالعراق ، فعالم المدينة علي بن أبي طالب ، وعالم العراق عبد الله بن مسعود ، وعالم الشام أبو الدرداء ، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة ولم يسألهما"^(٣).

ثم اننا لو توقفنا قليلا لوجدنا أن الإمام علي قد وعى علوم النبي صلى الله عليه وآله حسب ما ذكرنا سابقا ، والنبي هو الممثل الحقيقي والمعرف الأول بالقرآن ومنطقيا يكون الإمام ثمرة من تلك الشجرة ، كما أن الاختصاص النبوي للإمام جعله يفوق الموجودين ، إذ لم يحصل لهم مثل ما حصل له من الاختصاص العلمي ، حتى عد الاختصاص بالنبي من أبرز وأكثر المنابع التي أثرت و شكلت الشخصية المعرفية للإمام^(٤)، فهو القائل "ولقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعتني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ويكتفني فراشه ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمشغ الشيء ثم يلقيني" ^(٥) وقال أيضا " كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه"^(٦) " وما من آية نزلت إلا و أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها ، وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبته ، منذ دعا الله لي بما دعا ، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام ، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون ولا كتاب منزل

يقولون فما سمعت أحدا من أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) ينكر ذلك عليه " ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٣٣ / ١٣٥ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣ / ٢٥٩ ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١ / ٤٧١ ، تاريخ الإسلام ، ٣ / ٣٨٥ .

١ . الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١ / ٣٩ .

٢ . عبد الرحمن بن مالك بن أمية ، روى عن عمر وابن مسعود وعائشة ، توفي سنة ٦٣ هـ ، ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ٨٤ . ٨٠ .

٣ . أبو إسحاق الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ٤٢ .

٤ . الأسدي ، الفكر الاختباري ، ٢٦ .

٥ . نهج البلاغة ، ١٥٧ ، ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣ / ١٩٧ .

٦ . نهج البلاغة ، ١٥٧ ، ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣ / ١٩٧ .

على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته ، فلم أنس حرفا واحدا ، ثم وضع يده على صدري ودعا الله لي أن يملا قلبي علما وفهما وحكما ونورا ، فقلت : يا نبي الله بأبي أنت وأمي منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شيء لم أكتبه أفتخوف علي النسيان فيما بعد ؟ فقال : لا لست أتخوف عليك النسيان والجهل" (١) وهذا الكلام يتبين منه العلم التام بالقرآن وأحكامه وكل ما ورد فيه.

وقد اعتمد البعض تلك الملاصقة التي حبا الله بها الإمام (عليه السلام) لتكون دليلا على تفوقه العلمي على كافة الصحابة فقد ذكر البعض ذلك بقولهم "وعلي أعلم الصحابة لأنه كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم ومحمد صلى الله عليه وسلم أعلم الناس وأحرصهم على إرشاده وكان في صغره في حجره وفي كبره خنتا له يدخل عليه كل وقت وذلك يقتضي بلوغه في العلم كل مبلغ وأما أبو بكر فاتصل بخدمته في كبره وكان يصل إليه في اليوم مرة أو مرتين" (٢) .

إن هذه الآراء تكشف فقر المدعى وتظهر الخلل الواسع في منهجية ابن تيمية وفكره الذي لا ينفك إلا أن يعدم كل ميزة ومنقبة للإمام علي (عليه السلام) والتي تشير إلى أنها وليدة التفكير الذاتي الإنعزالي المبني على أفكار مسبقة لا تجعل من نتائج البحث العلمي وخطواته منهجا مسيرا لها ، إذ أنه بعد الإطلاع على رأي العلماء يمكن الإشارة إلى أمور عدة :

١ . غزارة المادة وعمق الدلالة على أعلمية الإمام علي (عليه السلام) ، ففي مجال غزارة المادة ووفرتهما نجد أن التأكيد على أعلمية الإمام (عليه السلام) بشكل عام قد جاءت على لسان كبار الصحابة وقد تضمنتها مؤلفات كبار العلماء ، وهي دالة على عرض التفضيل العلمي للإمام (عليه السلام) وشموليته وانسحابه على مجمل العلوم كونه يشير إلى الأعلمية المطلقة .

١ . الكليني ، الكافي ، ١ / ٦٤ .

٢ . الابجي ، المواقف ، ٣ / ٦٢٧ ، القاضي الجرجاني ، شرح المواقف ، ٨ / ٣٧٠ .

٢ . إن الطرح العلمي للعلماء والباحثين يؤكد و يجسد حقيقة الأفكار الصحيحة والأصيلة وأن رأيهم هو المعبر عن الرؤية الإسلامية الممثلة للفهم الحقيقي للكتاب والسنة ، وهذا ما ينتجه الالتزام بالمنهج العلمي المتمسك بالدقة والموضوعية المبتعدة عن الذاتية المنحازة التي تشوه الحقائق .

ومادمنا نتكلم عن خلل في المنهجية المعتمدة عند ابن تيمية فإننا نشير إلى خللها من خلال انعدام وحدة الموضوع الذي جعله دليلاً على أرجحية عثمان على الإمام ، ففي الوقت الذي يشير إلى أن عثمان " جمع القرآن كله بلا ريب وكان أحياناً يقرؤه في ركعة" (١) يأتي إلى الإمام علي ويميز عثمان عنه بقوله " وعلي قد اختلف فيه هل حفظ القرآن كله أم لا " (٢) .

إن قضية قراءة عثمان للقرآن في ركعة واحد أمر عليه جملة من وجهات النظر والتي أهمها هو عدم وجود مصدر إسلامي صرح بمثل هكذا إدعاء ، كما أن قراءة القرآن في ركعة واحدة أمر لم تنسبه المصادر الإسلامية للرسول (صلى الله عليه وآله) وهو المهيمن على القرآن ، ولو كان فيه فضيلة وأنه أمر متحقق الحصول وأمر معقول لكان الرسول (صلى الله عليه وآله) هو أحق من يعمل به كونه كان من أشد المخلوقين عبادة الله سبحانه وتعالى وأكثرهم ، وحتى عاتبه الله على ما أجراه على نفسه في تلك العبودية بقوله (طه . ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) (٣) .

يضاف إلى ذلك أن وحدة الموضوع الذي يميز فيه عثمان غير موجودة كون الجمع ليس الحفظ ، فالجمع يعني وضع القرآن في قالب معين مثل ما هو متعارف عندنا اليوم أي وضع القرآن بين الدفتين ، أما الحفظ فيعني القدرة على استظهار النصوص القرآنية واستحضارها ، وهذا يعني أن لا وحدة موضوع بينهما ، إلا أن آلية التشويه هي آلية مستحضرة عند ابن تيمية تنبثق مع كل نفس يتنفسه ضد الإمام علي (عليه السلام).

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٥١٤ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٥١٤ .

٣ . سورة طه ، الآية : ١ . ٢ .

ويجب الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن من جمع القرآن بصورته الحقيقية حسب أسباب النزول هو الإمام علي (عليه السلام) ، إذ ذكرت الروايات أن الإمام (عليه السلام) جمع القرآن قبل هولاء ولكن حين أظهره وهو غير مرتب حسب النزول . لأنه سلام الله عليه كاتب الوحي . لذا ارتأى عدم عرض المصحف المجموع حتى لا يحدث إشكال مادامت كلمات القرآن واحدة^(١) .

وحتى لو كان مقصود ابن تيمية من الجمع هو الحفظ كون القرينة الملاصقة لكلامه فيها دلالة ضمنية على ذلك حين قال " وكان أحيانا يقرؤه في ركعة " (٢) إلا أن هذا لا يدل على أن عثمان قد وعى القرآن وفهم مضامينه وأدرك أسرارته ومكونه فالحفظ شيء وسبر أغوار القرآن والتدبر فيه شيء آخر ، والجو القرآني يشير إلى عملية التدبر ومفهومه و أخذها حيزاً واسعاً في القرآن وليس الحفظ ، إذ إن التركيز على الحفظ يخالف حقيقة الدعوة القرآنية التي تحاول وتعطي مفهومها الحقيقي الصحيح لمن أراد التعرف على القرآن .

فليس حفظ القرآن في الصدور هو المبتغى بل أن سمة التدبر في آيات القرآن هو الذي يدل على الوعي القرآني ومن ثم الأعلمية فيه ، لذا نجد آيات التدبر والتعقل والتفكر مبنوثة في ثنايا القرآن الكريم مشكلة حيزاً كبيراً منه (٣) ، فكلما كان الإنسان متدبر لآيات القرآن متعقلاً له متفكراً فيه كلما استزاد معرفة واقترب أكثر من حقيقة المعارف المبنوثة في الآيات ، أما حفظ الآيات واستظهارها دون التفكير والتدبر فإنه يعني تحجيم العلم القرآني وحجب جل مبعثياته عن التطبيق العملي وأخذ مكانها في حيز الواقع المعرفي ، لذا نجد صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتمايزون في هذا الجانب - جانب وعاية القرآن وتدبره - لا في جانب الاستظهار للكلمات ، إذا ورد أن المسلمون الأوائل كانوا يتدارسون كل عشرة آيات ولا يتجاوزونها إلا بعد فهمها ووفهم ما يترتب من تطبيقات عملية عليها ، لا

١ . سليم بن قيس ، كتاب سليم ، ٧٢ ، الطبرسي ، الإحتجاج ، ٨٢ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٥١٣ . ٥١٤ .

٣ - سورة النساء ، الآية : ٨٢ ، سورة الاعراف ، الآية : ١٧٦ ، سورة يونس ، الآية : ٢٤ ، سورة الرعد ، الآية : ٣ ، سورة النحل ، الآية : ١١ ، ٤٤ ، ٦٩ ، سورة الروم ، الآية : ٢١ ، سورة الزمر ، الآية : ٤٢ ، سورة الجاثية ، الآية : ١٣ ، سورة محمد ، الآية : ٢٤ ، سورة ، الحشر ، الآية : ٢١ .

استظهارها ، و قد جاء ذلك على لسان عبد الرحمن السلمي^(١) : " كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن وقال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقروون من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذ تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل فتعلمنا القرآن والعمل جميع" (٢) .

كما إننا في المجال ذاته نشير إلى أن نبوغ العلماء المشهود لهم بالفهم والعلم لم يأتي لكونهم مستظهرين للآيات بل لكونهم وعاء حقيقيون ذوي تدبر في ما يريد الله من تلك الألفاظ التي تمثل في وحدتها القرآن الكريم فقد أوجد فهمهم للقرآن أثرا عميقا في تنمية المعارف الفكرية ونتاجهم العلمي قد استند على حقيقة التدبر والفهم لا الحفظ والاستظهار فقط .

إن ما ذكرناه سابقا هو محاولة لإثراء البحث في جانبه العلمي و مسايرة لابن تيمية في قوله أن الإمام لم يحفظ القرآن وإن عثمان قد كان يقرأ القرآن في ركعة واحدة ، ولكن في حقيقة الأمر وجدنا أن الإمام قد كان حافظ للقرآن مهيمنا على علومه بشكل لا يصل إليه أحد إلا معلمه وأستاذه رسول الله، وقد بينا ان وعاية الإمام للقرآن وبقي أن نشير إلى حفظه فقد ورد أن الإمام كان أقرأ الصحابة ، إذ أورد ابن عقدة عن يحيى بن آدم^(٣) ، أنه قال : قلت لأبي بكر بن عياش : يقولون إن عليا لم يقرأ القرآن !! قال : أبطل من قال هذا،

١ . عبد الله بن حبيب روى عن الإمام علي وعبد الله بن عباس ، روي أنه قال : " أخذت القراءة عن علي .. إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الاخر حتى يعلموا ما فيهن فكنا نتعلم القرآن والعمل به وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم ليثربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم بل لا يجاوزها هنا ووضع يده على الحلق" ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ٦ / ١٧٢ . ١٧٥ .

٢ . الطبري ، التفسير ، ١ / ٥٦ ، ابن كثير ، التفسير ١ / ٤ ، الزركشي، البرهان ، ٢ / ١٥٧ .

٣ . أبا زكريا يحيى بن آدم بن سليمان مولى لخالد بن خالد بن عمارة بن عقبة بن أبي معيط توفي سنة ٢٠٣ هـ في خلافة المأمون، روى عن سفیان الثوري وغيره . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٦ / ٤٠٢ .

حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمي ، قال : ما رأيت أحدا أقرأ من علي بن أبي طالب" (١) .

كما روي عن ابن مسعود قوله : " أفرض أهل المدينة وأقرؤها علي بن أبي طالب عليه السلام" (٢) .

وحقيقة إن ما يروى في ما يأتي لهو دليل واضح عن مدى العلاقة بين سيد العترة والقرآن إذ ورد عنه (سلام الله عليه) قوله : "ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ ، وَلَنْ يَنْطِقَ ، وَلَكِنْ أُخْبِرْكُمْ عَنْهُ : أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ... وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَعْشُ ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ... فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ ... فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ : الْكُفْرُ وَالنَّفَاقُ وَالْعِيَّ وَالضَّلَالُ ... وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ... وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ" (٣) .

ثالثاً : آية التشكيك بالسعة العلمية للإمام علي (عليه السلام) في مجال التفسير .

يعتبر تفسير القرآن الكريم من أهم العلوم التي انبثقت مع بداية النزول ، وقد أخذ ذلك العلم ينمو ويزداد في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) والصحابة فبرز منهم المفسرون لآيات القرآن و كان الإمام علي (عليه السلام) له السبق في هذا المجال ، غير أن ابن تيمية غاير ذلك الأمر وشكك فيه وذلك من خلال عدة طروحات أهمها :

١ . ابن عقدة ، فضائل أمير المؤمنين ، ٤٥ ، وينظر : ابن أبي شيبة ، المصنف ، ٣٩٠ / ١ ، الحاكم النيسابوري ، شواهد التنزيل ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ابو عمر الداني ، البيان في عد آي القرآن ، ٣٢ ، ابن عبد البر ، الإستهيعاب ، ٣ / ١١٠٩ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٤٢ / ٤٠٢ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١٤ / ٤١٦ ، المقرئزي ، أمتاع الاسماع ، ٤ / ٢٨٨ .

٢ . الحاكم النيسابوري ، شواهد التنزيل ، ٣٤ .

٣ . نهج البلاغة ، ٥٤ ، ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩ / ٢١٧ .

أ - ندرة التراث المنقول عن الإمام في (تفاسير المسلمين) وذلك بقوله "وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عنه ... وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين والذي فيها عن علي قليل جدا" (١) .

ب - تجريد أثر الإمام في التراث المنقول عن ابن عباس في مجال التفسير " نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي (٢) ، أي أنه يرى أن التفسير الوارد عن ابن عباس لا يلمح فيه لأي مصدرية للإمام علي (عليه السلام) كونه إسانيده خالية من ذكر لإسمه (سلام الله عليه).

ج - تعدد منابع ابن عباس المعرفية في مجال التفسير وعدم اقتصارها على الإمام "وابن عباس يروى عن غير واحد من الصحابة يروى عن عمر وأبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف وعن زيد بن ثابت وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار وروايته عن علي قليلة جدا" (٣).

د - تعدد المدارس التفسيرية وعدم اقتصارها على ابن عباس حتى نقول أن الإمام علي (عليه السلام) إمام المفسرين وأيضا فالتفسير أخذ عن غير ابن عباس أخذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة الذين لم يأخذوا عن علي شيئا (٤) .

هـ - ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئا من حديثه عن علي وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم

إن الإجابة على الطروحات المتقدمة ينبغي أن تمر بعدة مراحل أهمها :

• إن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يفسر ما غمض من القرآن للصحابة (١) ، فهو قد فسر القرآن الكريم تفسيرا شاملا كاملا (٢) وكان الصحابة يستلهمون ذلك منه

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٠٧ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٠٧ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٠٧ .

٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٠٧ .

ويفسرونه بدورهم لغيرهم وكان كل شخص منهم يأخذ من الرسول (صلى الله عليه وآله) على قدر وعائه وما يتيح له وقته من ملازمة له (صلى الله عليه وآله) وكان الذي إنماز بهذا الأمر هو الإمام علي (عليه السلام) (٣) ، فطبيعي أن يكون أثر الرسول (صلى الله عليه وآله) واضحا على الإمام علي (عليه السلام) في هذا الجانب وهو أمر قد صرح به الإمام علي (عليه السلام) إذ قال: "وما من آية نزلت إلا و أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تاويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، وخاصها وعامها ، ودعا الله أن يعطيني فهمها ، وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه علي وكتبتة " (٤) .

كما أن عدم وجود تفسير ثابت للإمام علي (عليه السلام) لا ينبج من ملاحظات أهمها أن التفسير كان مدمجا مع الحديث وبابا من أبوابه ولم يكن هناك تأليف خاص بالقرآن يفسر الآيات آية تلو آية بعد المصحف الذي جمعه الإمام علي (عليه السلام) - الذي لم يأخذ مجاله إلى حيز الحياة العملية للمسلمين . والذي كان معه شرح جميع الآيات وأسباب نزولها ، وإنما حدث ذلك الأمر بعد وفاة الإمام علي بوقت ليس بالقصير .

كما إن ثقافة المجتمع آنذاك كانت ثقافة شفاهية تعتمد على الحفظ في الصدور دون الاهتمام بالتدوين وإنما برزت حركة تدوين التراث بعد وفاة الإمام علي (عليه السلام) بعدة سنين وتحديدًا زمن عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ . ١٠١هـ)^(٥) فكان طبيعيا أن لا تجد تفسيرًا للإمام علي أو لغيره من الصحابة ، وإنما بثت وانتقلت جهودهم العلمية في مجال التفسير عن طريق تلامذتهم ومن ثم فمن وجد له نقلا روئيا في التفسير من هؤلاء التلامذة إنما هو نقل لعلم استاذة ، ويشفع لذلك اعتراف التلميذ بأن آرائه العلمية في هذا العلم أو ذلك هي

١- ينظر عن سعة تفسير الرسول للصحابة ما كتبه الشهيد الصدر الأول (قدس سره الشريف) عن ذلك والذي ضمنه السيد الشهيد محمد باقر الحكيم (قدس سره الشريف) في كتابه، علوم القرآن، ٢٧٦. ٢٧٧.

٢ . الحكيم ، علوم القرآن ، ٢٧٧ .

٣ . الإيجي ، المواقف ، ٣ / ٦٢٧ ، القاضي الجرجاني ، شرح المواقف ، ٨ / ٣٧٠ .

٤ . الكليني ، الكافي ، ١ / ٦٤ .

٥ . ابن كثير ، التفسير ، ١ / ١٧ .

المرآة العاكسة لرأي استاذة ، وهذا الأمر ينطبق على مجموعة من الأشخاص - شاع صيتهم في مجال التفسير - الذين اعترفوا أن علومهم القرآنية إنما هي عن الإمام علي (عليه السلام) ومدرسته (١) ، ومن ثم كثرة الموارد التفسيرية عن هؤلاء هي دليل على حجم التراث المنقول عن الإمام علي (عليه السلام) ، فالمأحة متعددة على تفاسير المسلمين بمختلف توجهاتهم تعبر عن المساحة التي تجسدها مكانة الإمام (عليه السلام) في التفسير ، إذ لا تكاد تخلو كتب التفسير من إيراد رأي ابن عباس أو ابن مسعود أو أبو عبدالرحمن السلمي في تفسير الآيات ، وهؤلاء قد ثبت تمثيلهم لمدرسة الإمام علي في مجال التفسير وأخذهم من منابعها (٢) ، مع الإشارة إلى أن هذه المساحة المبرزة لمكانة الإمام في مجال التفسير إنما هي مساحة مجتزئة و مقطعة من كل ولا تمثل إلا جزء بسيط من معرفة الإمام الحقيقية للقرآن الكريم لما تعرضت له تلك الشخصية من الإقصاء و التهميش والتغيب في عصر التدوين والإفالإمام عرف القرآن معرفة لا يصل إليها إلا معلمه فهو القائل " سلوني عن كتاب الله " (٣) ، حتى أن ابن شبرمة (٤) كان يقول " ما كان أحد يقوم على المنبر فيقول سلوني عن ما بين اللوحين إلا علي بن أبي طالب" (٥) .

- ١- أبرز مثال في هذا الانتماء هو عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس اللذان أكدا أن ما عندهما من معارف في القرآن إنما أخذها عن الإمام علي (عليه السلام) ، ينظر : ابن عقدة الكوفي ، فضائل امير المؤمنين ، ٤٥ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٠٠ ،
- ٢- ابن عقدة الكوفي ، فضائل امير المؤمنين ، ٤٥ ، وينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٠٠ ،
- ٣- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٣٣٢ ، وينظر : ابو الليث السمرقندي ، التفسير ، ٣ / ٣٢٤ ، السمعاني ، التفسير ، ٥ / ٢٥٠ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٧ / ١٠٠ ، ٤٢ / ٣٩٨ ، القرطبي ، التفسير ، ١ / ٣٥ ، الزرندي الحنفي ، نظم درر السمطين ، ١٢٦ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١١ / ٢٤٩ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٢ / ٥٦٥ ، المباركفوري ، تحفة الأحوذى ، ٧ / ٢٧ .
- ٤- عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي أبو شبرمة الكوفي ، فقيه العراق ، قاضي الكوفة وثقه أحمد بن حنبل ، وأبو حاتم الرازي ، مات سنة مائة أربع وأربعين ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٦ / ٣٤٨ ، ابن حجر العسقلاني ، تقريب التهذيب ، ١ / ٥٠٠ .
- ٥ . الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١ / ٥٠ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٤٢ / ٣٩ .

أضف إلى ذلك أن عرض طروحات ابن تيمية قبالة الموروث التدويني للعلماء يأتي بتناسب عكسي إذ أن الموروث التدويني للعلماء يشير إلى اعترافهم الصريح بمكانة الإمام التفسيرية لذا نجدهم يصرحون بسابقته في هذا الجانب حتى لقب بصدر المفسرين (١) ، كما أن استعانتهم بآراء الإمام التفسيرية وعدم خلو تفاسيرهم منها وتضمنهم إياها هو أمر واضح ، فتارة ينقلون ذلك مباشرة وينسبونه إليه وأخرى بطريق غير مباشر يمر من خلال تلامذته الذين شهدوا بأنه استأذهم في هذا الجانب (٢).

فاستبيان آراء العلماء المختصين بالجانب التفسيري ومقابلته مع رأي ابن تيمية هذا وموقفهم من سعة شخصية الإمام علي (عليه السلام) التفسيرية وأثرها في هذا العلم يثبت عدم الدقة و أن ثمة زعم مبتنى على الارتجالية المفتقدة للموضوعية .

كما أن العلماء قد أكدوا على ان الإمام علي (عليه السلام) قد فاق الخلفاء في مجال التفسير حتى اعتبر السيوطي أكثر من روي له من الخلفاء هو الإمام إذ قال " الرواية عن الثلاثة نزر جدا ، وكأن السبب في ذلك تقدم وفاتهم ولا أحفظ عن أبي بكر في التفسير إلا آثارا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة ، وأما علي فروي عنه كثير " (٣)

كما أن النقول التفسيرية تؤيد أن الإمام (عليه السلام) برع في شتى أنواع التفسير سواء كان تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة أو تفسير القرآن باللغة أو النبوغ في علم القراءات (٤) .

بل تشير المصادر إلى القصور التفسيري لدى بعض الخلفاء كما حدث ذلك مع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، إذ ورد أن عمر تعرض لموقف تفسيري لم يكن موقفا

١- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ١ / ٤١ ، القرطبي ، التفسير ، ١ / ٣٥ ، الزركشي ، البرهان ، ١ / ٨ ، الثعالبي ، التفسير ، ١ / ١٤١ .

٢ . أهم من أشير إليهم على أنهم أخذوا علم القرآن وتفسيره على الإمام (عليه السلام) هم عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن مسعود ، وبالتالي فكل ما ورد عنهم في تفاسير المسلمين إنما أصله علم الإمام (عليه السلام) .

٣ . الإتيقان ، ٤ / ٢٣٣ .

٤ . احمد مناف القيسي ، أثر الإمام علي بن ابي طالب في التفسير بجميع صفحاته .

فيه ولولا استعانته بتلميذ الإمام لما وصل إلى حل، وكذلك عثمان الذي لم يكن يعرف مغزى ومعنى الآية الدالة على قتل الصيد من قبل المحرم ، إذ ورد أن "عثمان بن عفان بعث أبا سفيان بن الحرث على العروض ، فنزل قديدا ، فمر به رجل من أهل الشام معه باز وصقر ، فاستعاره منه ، فاصطاد به من اليعاقيب ، فجعلهن في حظيرة . فلما مر به عثمان ، فطبخهن ، ثم قدمهن إليه ، فقال عثمان : كلوا فقال بعضهم : حتى يجيء علي بن أبي طالب . فلما جاء فرأى ما بين أيديهم ، قال علي : إنا لن نأكل منه فقال عثمان : مالك لا تأكل ؟ فقال : هو صيد ، ولا يحل أكله وأنا محرم . فقال عثمان : بين لنا فقال علي : يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم فقال عثمان : أو نحن قتلناه ؟ فقرأ عليه : أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما (١).

ثم إننا لو تسألنا عن الصحابة الذين ملأت الكتب من آثارهم ، من هم وممن أخذوا علومهم وما القيمة الحقيقية لآثارهم وهل توازي ما زخرت به التفاسير من آثار علي التي نطق بها أرباب التفاسير أنفسهم ودلوا على رجاحتها وتمثيلها للفهم الحقيقي للآيات القرآنية (٢) ، ولكن لغة التعويم ومنطق الإبهام هو السائد والمرتكز في ثقافة ابن تيمية في جانبها الخاص بالإمام علي (عليه السلام)، إذ حاول من خلالها متأثرا بالجانب النفسي الذي انغمس فيه أن يعزل القيمة العلمية لهذه الشخصية في تراث الإسلام دون أن يدرك أن تجريد التراث الإسلامي من معارف الإمام علي سيؤدي به إلى أن يكون تراثا مشوها مفتقدا للكثير من الركائز التي نما فيها وانساح من خلالها وكانت مصدر ثراء له .

لقد كان أثر السعة العلمية للإمام في مجال التفسير واضحة لذا كان أبرز أئمة التفسير - الذين لم يستطع أي مفسر أن يتجاوز آثارهم لأهميتها - منتمين لمدرسته

^١ . الطبري ، التفسير ، ٧ / ٩٤ .

^٢ - لتفاصيل ذلك ينظر: الطباطبائي ، فتح البيان بجميع صفحاته ، القيسي ، أثر الإمام علي بن أبي طالب في التفسير بجميع صفحاته.

ومستكملين لخطه في هذا العلم القرآني كابن عباس وابن مسعود^(١) وهذا ما دعى ابن تيمية أن يجرد ويقصي أثر الإمام علي (عليه السلام) في التراث المنقول عن هؤلاء التلامذة خصوصا ابن عباس بحجة عدم ورود أسم الإمام في الروايات التفسيرية ذات الأسانيد الثابتة المنقولة عن ابن عباس (٢) .

إن مخالفة ابن تيمية لما تسالم من أن ابن عباس إنما هو علوي الانتماء والتوجه في مجال التفسير إنما هو محاولة لمحو الاستحواذ الذي كانت عليه مدرسة الإمام علي (عليه السلام) في مجال التفسير التي فاقت غيرها من التوجهات التفسيرية الأخرى ، وإنما جاء تميزها لعمق صلتها بالقرآن الكريم وعدله - المتمثل بالعترة التي لا افتراق بينها وبين كتاب الله المجيد^(٣) - واستحواذها على علومه بشكل يتجلى فيه التمام والكمال ، وإن ما جاء من تميز لشخصية ابن عباس إنما جاء نتيجة للذوبان الحقيقي والصلة الوثيقة بركيزة هذه المدرسة المتمثلة بالإمام علي (عليه السلام) ، غير أن محاولة سوق المتلقي نحو التبعية لفكرة ذات اتجاه مفضوح محدد الصياغة والهدف والغاية هدف يبتغي تقزيم وتحجيم وحجب شخصية الإمام علي (عليه السلام) في أن يشع سحر تأثيرها على أذهان المسلمين جميعا جعلت ابن تيمية يُضائل من حجم اثر الإمام على ابن عباس وتبعية الأخير له.

ويبدو ان ابن تيمية قد نسي إن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد توفي وابن عباس له من العمر ثلاث عشر سنة ، ولم يصحبه إلا بما يقرب السنيتين والنصف (٤) فأخذ ابن عباس جانب الإمام علي (عليه السلام) فلزمه وتلقف علومه وتتلذذ على يديه وكان من

-
- ١ - ابن عقدة الكوفي ، فضائل امير المؤمنين ، ٤٥ ، ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ١ / ٤١ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٠٠ ، القرطبي ، التفسير ، ١ / ٣٥ ، الزركشي ، البرهان ، ١ / ٨ ، الثعالبي ، التفسير ، ١ / ١٤١ .
 - ٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٠٧ .
 - ٣ - عمرو بن عاصم ، كتاب السنة ، ٦٣٠ ، ابن ابي شيبه ، المصنف ، ٧ / ١٧٦ ، أحمد بن حنبل ، المسند ، ٣ / ١٤ ، ٤ / ٣٧١ .
 - ٤ الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ١ / ٤٠ ، سير أعلام النبلاء ، ٣ / ٣٣١ .

أهم العلوم التي أخذها عنه هي علوم القرآن التي شهد له فيها قدم السبق والصدارة بعد الإمام علي (عليه السلام) (١) .

والجانب الآخر المبرز لتبعية ابن عباس لمدرسة الإمام التفسيرية بل وتمثيلها يتبين من خلال حث الإمام لأصحابه واتباعه علي تعلم تفسير ابن عباس (٢) وهو أمر يعطي دلالة أكيدة على أن تفسير ابن عباس إنما هو إنعكاسة لآرائه (سلام الله عليه) ، وإلا لو كان توجه ابن عباس توجهها لا تتمثل فيه رؤى الإمام لما حث الناس على الأخذ منه وتعلمه .

أضف إلى ذلك أن شهادة ابن عباس على أن كل ما عنده من التفسير إنما قد تعلمه من الإمام (٣) يؤكد على أن ابن عباس إنما هو ناقل لتفسير الإمام علي (عليه السلام) .

بقي أن نشير إلى نقطة أثارها ابن تيمية تتعلق بوجود أسانيد ثابتة في مجال التفسير تنقل عن ابن عباس لا يذكر فيها اسم الإمام علي (عليه السلام) وقد قدم ذلك معترضاً على العلامة الحلي إن ابن عباس هو ناقل لآراء الإمام التفسيرية (٤) .

قبل الإجابة يجب تسجيل ملاحظة هامة ألا وهي أن ابن تيمية قد اعترف بوجود أسانيد ثابتة في مجال التفسير تنقل عن ابن عباس وابن عباس يقول بأن ما لديه من التفسير إنما هو من الإمام (عليه السلام) ، فبالتالي هو اعتراف غير مباشر بوجود أسانيد ثابتة عن الإمام في مجال التفسير .

١ - ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ١ / ٤١ ، القرطبي ، التفسير ، ١ / ٣٥ ، الزركشي ، البرهان ، ١ / ٨ ، الثعالبي ، التفسير ، ١ / ١٤١ ، حجتى ، ابن عباس ، ٢٣ .

٢ - ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ١ / ٤١ ، القرطبي ، التفسير ، ١ / ٣٥ ، الزركشي ، البرهان ، ١ / ٨ ، الثعالبي ، التفسير ، ١ / ١٤١ .

٣ - ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ١ / ٤١ ، القرطبي ، التفسير ، ١ / ٣٥ ، الزركشي ، البرهان ، ١ / ٨ ، الثعالبي ، التفسير ، ١ / ١٤١ ، الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ١ / ٩٠ .

٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٠٧ .

في حين ينبغي ونحن نجيب على ما قاله ابن تيمية الأخذ بنظر الاعتبار الظروف والحالة التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية أبان حكم معاوية بن أبي سفيان وما جرى من سياسة رسمية تبنت الوند لكل منقبة من مناقب الإمام (عليه السلام) ، وتعدتها لتشمل التعرض له بالسب على المنابر حتى جعل سياسة رسمية سارت عليها الدولة الإسلامية (١) وعوقب الناس على حبه و أصدرت المراسيم " أن برئت الذمة ممن روى شيا في فضل أبي تراب وأهل بيته " (٢) مما أدى بالناس أن يعرضوا عن الرواية عنه أو أن يستبطنوا ذلك و لا يصرحوا باسمه بل يكونون عنه بقولهم (قال الشيخ كذا ... روى أبو زينب ... قال رجل من قریش ... حدثني رجل من أصحاب رسول الله" (٣) .

في حين أن ابن أبي الحديد يشير إلى ما قاله ابو جعفر الإسكافي في وصف الهجمة الشرسة التي تلقفتها شخصية الإمام علي (عليه السلام) في العهد الأموي وكيف أن الرواة لم يتجرؤوا أن يذكروا إسم الإمام (عليه السلام) فيما يخص الشرائع فضلا عن ذكر فضائله وهذا واضح في النص الذي يقول فيه "وقد صح أن بني أمية منعوا من اظهار فضائل علي عليه السلام ، وعاقبوا ذلك الراوي له حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثا لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول : عن أبي زينب " (٤) ، فضلا عن ذلك ما أورده الذهبي في ترجمته لعلي بن رباح^(٥) بقوله " قال أبو عبد الرحمن المقرئ ، كانت بنو أمية إذا سمعوا المولود اسمه " علي " قتلوه ، فبلغ ذلك رباحا ، فغير اسم ابنه" (٦) .

- ١ . ينظر : الجابري ، الدعاية المضادة للإمام علي (عليه السلام) بجميع صفحاته .
- ٢- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١١ / ٤٤ ، وينظر : سليم بن قيس ، كتاب سليم ، ٣١٤ ، الطبرسي ، الاحتجاج ، ١٧ / ٢ ، ابن شهر آشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ١٧٤ / ٢ .
- ٣- ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ٧٣ ، الطبرسي ، الاحتجاج ، ١٧ / ٢ ، البحراني ، الحدائق الناضرة ، ٤١٦ / ٢ .
- ٤ . شرح نهج البلاغة ، ٤ / ٧٣ .
- ٥ . علي بن رباح بن قصير بن القشيب بن بينع بن أردة بن حجر بن جزيلة بن لحم اللخمي غير أباه إسمه إلى (عُلي) خوفا من بني أمية ، وكان علي يقول : لا أجعل في حل من سماني عُلي ، فإن اسمي علي، وكان يغضب من عُلي ، ويجرح على من سماه به ، المزي ، تهذيب الكمال ، ٢٠ / ٤٢٦ . ٤٣١ .
- ٦ . الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٠٢ / ٥ .

ولم يكن ابن عباس بعيدا عن هذه الأجواء الإرهابية التي منعت معارف الإمام ان تلج الذهنية الإسلامية بشكل طبيعي وتتساح بأكبر مساحة ممكنة ، وبالتالي كان ابن عباس يدرك أنه إذا ذكر الاسم صراحة سوف يعرض نفسه للحرج الشديد أو للمنع مما يؤدي إلى اندثار علوم الإمام (عليه السلام) خصوصا وأنه قد منع من قبل معاوية ان يحدث الناس بالقرآن (١) والذي يبدو أن سببه هو ذكر الإمام علي (عليه السلام) ، لذا عمد إلى عدم التصريح بمصدر روايته و إنما تلقاها المتلقون منه على أنها رواية يرويها هو عن النبي (صلى الله عليه وآله) دون واسطة لذا أخذت مكانها في التراث على أنها رواية لابن عباس وليست للإمام علي (عليه السلام).

كما أن ابن تيمية قد تغافل من أن ابن عباس قد أعطى إشعارا مسبقا بأن كل ما لديه هو من الإمام مما أدى به ونتيجة للظروف الطارئة في جسد الأمة أن يعتمد على ذلك الإشعار ولا يذكر اسم الإمام في كل مرة .

كما أن القول بعدم ورود روايات لابن عباس يرتبط سندها بالإمام هو أمر مردود ، إذ وردت روايات في مصادر مختلفة عن ابن عباس يرتبط سندها بالإمام علي (عليه السلام) (٢) .

إن السمة التي تحملها أفكار ابن تيمية تجاه الثراء المعرفي لشخصية الإمام علي (عليه السلام) تتصف بانتزاع ذلك العرض المثالي و الثراء العلمي وتأثيراته التي أخذت

١- روى ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٢ / ١٧٤ ، أن معاوية قال لابن عباس : " انا كتبنا في الأفاق نهي عن ذكر مناقب علي فكف لسانك ، قال : أفنتهاننا عن قراءة القرآن ؟ قال لا ، قال : أفنتهاننا عن تأويله ؟ قال نعم ، قال : أفنقرأه ولا نسأل ! قال : سل عن غير أهل بيتك ، قال : انه منزلٌ علينا أفسأل غيرنا !؟ أتنتهاننا أن نعبد الله ، فإذا تهلك الأمة ، قال : اقرؤا ولا ترووا ما انزل الله فيكم".

٢- أحمد بن حنبل، المسند، ١ / ٨١ ، ١٠٥-١٠٦ ، ١٢٣ ، مسلم ، الصحيح ، ٢ / ٤٩ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ١ / ٢١٤ ، ٥ / ١٨٨ ، ٢١٧ ، ٨ / ١٦٧ ، ١٩١ ، النحاس، معاني القرآن الكريم ، ٥ / ٣٨٢ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٢ / ٥٧٩ ، ٣ / ٣٦١ ، الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١ / ٤٨٥ ، ١ / ٤٨٦ ، الثعلبي ، التفسير ، ١ / ١٨٤ ، ابن العربي، أحكام القرآن ، ٣ / ٦٢٧ ، القرطبي ، التفسير ، ٥ / ١٢٩ ، ١٤ / ٢٥١ ، ابن كثير ، التفسير ، ٣ / ٣٦٣ ، ٣ / ٣٦٤ ، ٣ / ٥٢٨ .

مجالاتها في الحيز المعرفي والممارسات التفسيرية التي اعتمدت على ذلك التراث ،لذا ولغرض إحكام الطوق على مكانة الإمام التفسيرية فإنه ارتأى أن يعدد مصادر ابن عباس العلمية ويقلل من مكانة الإمام وأثره عليها لذا نراه يقول "وابن عباس يروى عن غير واحد من الصحابة يروى عن عمر وأبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف وعن زيد بن ثابت وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار وروايته عن علي قليلة جدا" (١) .

لا شك أن ابن عباس يروي عن غير الإمام غير أن اعترافه بأن كل ما لديه في مجال التفسير هو عن الإمام يؤكد روايته عنه وانحصارها في مجال التفسير بالإمام علي وعدم تأثرها بأي شخص آخر ، فابن عباس أخبر (أعلم) بمنابعه التي استقى منها علومه أكثر من ابن تيمية ، في المقابل أن ابن تيمية ابتغى الترويج للشخصيات المذكورة إلا أن هذا الترويج يصطدم مع الحقيقة التي تستند على المسلمات الثابتة التي تشير إلى أن أول الشخصيات المشار إليها في كلام ابن تيمية- وهو عمر بن الخطاب - إنما هو الذي يشير ويدلل على أعلمية شخصية ابن عباس و تفوقه عليه إذ يقول " اعلمنا ابن عباس " (٢) ، أضف إلى لجوئه لابن عباس في تبيان تفسير الآيات، مما يجعله تلميذا لا أستاذا .

في حين أن وضوح الأمر مع أبي هريرة لا يحتاج إلا إلى التوجه لترجمة أبي هريرة وابن عباس والتأكد من مدى الإفاضات التي افاضها ابو هريرة في مجال التفسير على ابن عباس وكذلك الكشف عن البعد التفسيري في شخصية و مرويات أبي هريرة حتى نتبين مدى الأثر على ابن عباس ، فلا شك أن من ترجم لابن عباس لم يجعل لأبي هريرة مجال في معارف ابن عباس أو أشار إلى ذلك التأثير الكبير الذي ألقى بضلاله على البعد المعرفي الذي شهد لابن عباس التفوق فيه ، كما أن التراث التفسيري غاصا بما يروى عن ابن عباس وليس هناك أدنى مجال لتسجيل حضور لأبي هريرة فيه بل وجد ما يدل على الاعتراف الصريح من قبل ابو هريرة بعلم ابن عباس (٣) ، نعم وجد حضور لأبي ابن كعب وللأنصار

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٠٧ .

٢ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٣٦٩ .

٣ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٢٦٢ .

منفذ في معارف ابن عباس التفسيرية (١) ، غير أن هذا لا يضر بوجود المصدرية الأساسية لمعارف ابن عباس والتي أشارت إليها جل المصادر.

فضلا عن ذلك أن أبا هريرة لم يقض إلا عاما وتسعة أشهر في صحبة الرسول و ثلاث سنوات على أعلى التقادير (٢) ، فهل سمحت له تلك المدة ان يعي القرآن ويعلمه للصحابة هذا أمر يحتاج إلى دليل ، هذا جانب والجانب الآخر أن أبا هريرة كان متهما من جهة الصحابة في ما يرويه عن النبي حتى ضربه عمر بن الخطاب (٣) ، حتى كانت عائشة الناس انكارا عليه (٤) ، مما يعني تحجيم الأخذ عنه وعدم رواج ما ينقله من مرويات عن النبي لكونه متهما ، وعدم إقبال الراغبين بالاستزادة العلمية عليه والحذر مما ينقله أو يخبر عنه ، وبوجود شخصيات مشهود لها بالاستقامة المعرفية جعل نفوذه العلمي ينحسر قبالة تلك الشخصيات ، ولم يشر العلماء وحسب اطلعنا إلى أن ابا هريرة كان له حظ اقامة الحلقات العلمية في المسجد والتي استقطبت ابن عباس أو غيره مع وجود الصحابة.

كما إن قلة الرواية عن الإمام هي مجرد محض ادعاء فالمصادر تشير صراحة إلى أن من أبرز تلامذة الإمام هو ابن عباس (٥) .

أن وسم الإمام علي (عليه السلام) بوسام إمام المفسرين لم يحض بقبول ابن تيمية ، فهو يرى أن هناك تعددا في مدارس التفسير وأنها لم تقتصر على ابن عباس حتى نقول أن الإمام علي (عليه السلام) إمام المفسرين فالتفسير أخذ عن "غير ابن عباس أخذ عن ابن مسعود وغيره من الصحابة الذين لم يأخذوا عن علي شيئا" (٦) .

١ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٢٦٢ ، الثعلبي ، تفسير الثعلبي ، ١ / ٥٥ .

٢ . الحيدري ، معالم الإسلام الأموي ، ٤٦ .

٣ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ٦٧ .

٤ . ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ٤١ ، ابو رية ، أضواء على السنة المحمدية ، ٢٠٣ .

٥ - ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ١ / ٤١ ، القرطبي ، التفسير ، ١ / ٣٥ ، الزركشي ، البرهان ،

١ / ٨ ، الثعالبي ، التفسير ، ١ / ١٤١ ، الذهبي ، التفسير والمفسرون ، ١ / ٩٠ .

٦ . منهاج السنة ، ٨ / ٤٢ .

إن آية النبي التي يتبناها ابن تيمية لا تكاد تصمد في مواجهة الاعتراف الصريح لابن مسعود بأن معلمه الأول في علوم القرآن إنما هو الإمام علي (عليه السلام) ، إذ روي انه قال: " لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغنيهِ الإبل لأتيته ، قيل : علي ، قال : عليه قرأت وبه بدأت " (١) ، كما يشير الشافعي بأن الإمام كان بمثابة الرافد الذي يستقي منه ابن مسعود علومه إذ قال " انتهى العلم إلى ثلاثة : عالم بالمدينة ، وعالم بالشام ، وعالم بالعراق ، فعالم المدينة علي بن أبي طالب ، وعالم العراق عبد الله بن مسعود ، وعالم الشام أبو الدرداء ، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق عالم المدينة ولم يسألها " (٢) .

أن مثل هذه الدعاوى تجعلنا نتساءل عن السبب الذي أدى بابن تيمية أن يعتمد إلى ذلك النتاج الذي لا يتسم إلا بالإقصاء و التشويش على شخصية الإمام (علي عليه السلام) ؟

يمكن أن يرجع ذلك إلى ما يأتي :

إعتقاد ابن تيمية أن كتب الصحاح قد كانت مستوعبة لكل ما يخص التراث الإسلامي ولم تفرط فيه قيد انملة وأنها تمتلك من السعة والشمول ما يجعلها تتصف بالعصمة من جهة و الاستحواذ من جهة أخرى هو الذي جعله يتوجه هذه الوجهة غير الموضوعية ، فهو يعتقد أن ما ذكر فيها هو التراث الذي ينبغي الاحتجاج والأخذ به وما لم يذكر يجب أن يهمل ويقصى ، فليس لأي تراث خارج نطاق الصحاح أي قيمة علمية ، فضلا عما ذكرناه فيما سبق من عوامل و أسباب .

ففي شتى المواقف يشير إلى الصحاح ويعرض التراث عليها فما جاء فيها وتماشى مع مبتغاه تظاهر بالأخذ به وما لم يكن كذلك اقصاه ، وهذا حاله في تعرضه لشخصية الإمام (عليه السلام) في مجال التفسير فكان بالتلازم مع ما يطرحه يصرح بأن أصحاب الصحاح لم يخرجوا شيئا من حديث ابن عباس عن الإمام علي (عليه السلام)، متناسيا أن هناك أكثر

١. ابن عقدة الكوفي ، فضائل امير المؤمنين ، ٤٥ ، وينظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٠٠ .

٢. أبو إسحاق الشيرازي ، طبقات الفقهاء ، ٤٢ .

من علامة استفهام على أصحاب الصحاح في مجال الرواية عن أهل البيت ومحاولاتهم الإقصائية ورغبتهم الجادة في عدم تضمين تراث شخصيات أهل البيت في تراثهم .

فروايات أهل البيت لم يكن لها إلا نصيب محدود جدا في مدونات أهل الصحاح لا ترقى إلى مكانتهم كونهم عدل الكتاب، وأن البخاري قد نقل عن من هب ودب ، ونقل عن عمران بن حطان الخارجي^(١) ، ولم ينقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) ولا رواية واحدة ولم يحتج به (٢) ، تلك النظرة التي تسربت له من شيوخه و تلاقت مع ميوله ، فيحيى بن سعيد هو شيخ البخاري الذي كان يقول: مجالد أحب إلي من جعفر وفي نفسي منه شيء (٣) حتى كان ابن تيمية من أبرز الناس انتقاعا بالموقف المذكور للبخاري من الإمام الصادق (عليه السلام) فيقول : " و قد استراب البخاري في بعض حديثه لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطان فيه كلام فلم يخرج له" (٤).

١ . الصحيح ، ٧ / ٤٥ ، ٧ / ٦٥ .

٢ . الذهبي ، ميزان الإعتدال ، ١ / ٤١٤ ، وينظر الحيدري ، السلطة وصناعة الوضع ، ١٨٩ .

٣ - الذهبي ، ميزان الإعتدال ، ١ / ٤١٤ ، ويشير السيد كمال الحيدري في كتابه ، السلطة وصناعة الوضع ، ١٨٨ - ١٩٢ ، إلى تطور الموقف من الإمام الصادق (عليه السلام) متأثرا بموقف البخاري ، فتعدها من الارتياب إلى الشك والقبح حتى شكك بتلقيه بالصادق ولعل ابراهيم الجبهان خير من يصور ذلك التوجه فهو يقول : " قرنت أسم جعفر بن محمد بعلامة استفهام في غير موضع - [من كتابه تبديد الظلام وتبنيه الأنام على خطر التشيع على المسلمين و الإسلام]تصحيا للخطأ الشائع الذي وقع فيه كثير من أرباب التصانيف بالصاقهم كلمة الصادق باسم المذكور ، وجعلها لقباً له ، وعلموا عليه ، والواقع أن هذه التسمية أو بالأصح التزكية . ما كان ينبغي ان تطلق على شخص حامت حوله الشبهات ، وكثرت فيه الأقاويل ، ونسبت إليه أقوال مشحونة بالزندقة والإلحاد ، لأنه إذا صح صدورها منه . ونرجو أن لا يصح ذلك . فتسميته بالصادق تعني ضمنا ، تصديق كل ما جاء به من الإفك ، وإذا لم يصح صدورها منه فتسميته بذلك تزكية لا داعي لها ، ولا محل لها من الإعراب ، وتركها أحوط ، زد على ذلك أنني لم أكن أول من شك في سلوكه ، فقد كنت مسبوqa إلى ذلك ممن عاصروه وشاهدوا بذخه وترفه وقبوله العطايا من شيعته ، وهي محرمة عليه ، لأنه لم يكن ممن يستحقونها شرعا ، حتى قيل أنه اشترى دارا في البصرة بمبلغ ثلاثين ألف دينار ، عدا ما كان ينفقه على الدعاة والمبشرين ، والجمعيات السرية التي عاثت في كيان الأمة الإسلامية فسادا وتخريبا" .

٤ . منهاج السنة ، ٧ / ٥٣٣ .

كما لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان أن إلقاء اللائمة على الصحاح هو أسلم السبل التي تبعد شخصية ابن تيمية عن النقد المباشر وبالتالي فسح مجال واسع لرغباته النفسية - بصورة هادئة - في أن تأخذ مأخذها في حيز الوجود .

كما ينبغي الإشارة إلى إن إدراج مجموعة من المسميات وعرضها جنباً إلى جنب مع الإمام ما هي إلا محاولات لبناء شخصية علمية لتلك الذوات وإكسابها وعرضها قيمة معرفية لا يكون لشخصية الإمام علي (عليه السلام) أي تميز عنها ، وهو أمر في غاية الخطورة على شخصية الإمام علي (عليه السلام) كونه يجرها من دائرة الهيمنة الكلية على العلوم و جعلها جزيئة متجزأة من كلية انبثقت منها العلوم ، كما أنه في غاية الأهمية للشخصيات المذكورة لما يغطيه من عجزها العلمي الواضح .

رابعاً : آية النفي و التشكيك بصحة التراث النبوي المعرف بشخصية الإمام علي العلمية حديث " أنا مدينة العلم وعلي بابها" أنموذجاً .

شكل النفي والتشكيك آية بارزة في رد التراث النبوي الدال على مكانة الإمام (عليه السلام) العلمية ، إذ لا يختلف اثنان على أن أبرز الطعون التي يوجهها ابن تيمية ضد كل ما يدل على مكانة شخصية الإمام (عليه السلام) هو الطعن بسند الأخبار والأحاديث ونفي ثباتها عن رويت عنه ، وقد شاع هذا الأمر في كتاب منهاج السنة كثيراً، فهذا المجال لم يكن مغلقاً حتى فتحه ابن تيمية على حديث "أن مدينة العلم وعلي بابها" إذ وسم الحديث بانه " أضعف وأوهى ... ويعد في الموضوعات ... ذكره ابن الجوزي وبين أن سائر طرقه موضوعة " (١) .

وسوف نركز على هذا الحديث لبيان فلسفة تعامل ابن تيمية في هذا الموضوع ، وهذا التركيز ناتج مما يأتي :

١- ذوبان تلك الأحاديث بما سلف عن علمه بالقرآن وإيرادنا لها هناك لما أعطته من دلالة على مكانته السامية في العلوم القرآنية .

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٢ ، وينظر: ابن الجوزي ، الموضوعات : ٣٥٤ .

٢ . إن حديث باب مدينة العلم يمثل الكل وما دونه فهو جزء ، لذا انصب الإهتمام على دراسة فلسفة ابن تيمية ونظرته لهذا الحديث .

٣ . ان ابن تيمية يركز على هذا الحديث ويجعله المرتكز الأساس في النظرة الإسقاطية لعلم الإمام كونه يعرف نتائج ما يترتب عليه من حصر العلم بالإمام علي (عليه السلام) مرجعيته المعرفية التي لا يمكن أن تسبق أو تدرك وهذا يترتب على الفهم الصحيح والواقعي للحديث ، وتقديم صورة وقراءة تفويضية لذلك الفهم يجعل كل ما تواتر من تراث نبوي معرف بمكانة الإمام (عليه السلام) هدفا سهلا ، فضرب التراث الذي يملك من صريح الدلالة والعبارة يسهل الطعن بما عده من الموروث النبوي في الموضوع ذاته .

٤ . ما سيرد في الموضوع اللاحق عن آلية المبالغة في اعلمية الصحابة وكيف كان ينظر للإمام (عليه السلام) جعلنا نوجه بعض الأحاديث للموضوع المذكور ونكتفي بذكر حديث باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الموضوع من البحث .

إن وسم الحديث بهذه الأوصاف يعني عدم ثبوته أو عانديته إلى تراث النبي (صلى الله عليه وآله) ومن ثم يفقد أي قيمة له في ميزان التفاضل ويبقى مجرد كلام ليس له أثر شرعي وعملي هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هو استهداف للغاية المقصودة من هذا الحديث ، فابن تيمية فهم أن هذا يدل على حصر المرجعية العلمية وتلقي العلوم النبوية بشخصية واحدة حددها الحديث ، وتلقي تلك العلوم من مدينة الرسول سيتوجب ولوج المدينة من بابها مما يستدعي المرور بالإمام علي (عليه السلام) ، ومن ثم فأبي متعلم مهما بلغت مرتبته فإنها تبقى قاصرة عن بلوغ مرتبة الإمام (عليه السلام) ، وهذا الأمر يصطدم بتوجهات ابن تيمية سواء كانت الفكرية أو العقيدية والتي ترتكز على أن أبا بكر وعمر وعثمان هم أعلم منه (عليه السلام) وهو مبتنى غير خاف على المطلعين على تراث ابن تيمية .

كما أن هذا الفهم يصطدم مع الطبيعة النفسية والتركيبية السيكولوجية لابن تيمية التي لا تستسيغ أو تتقبل أي ثناء يوجه للإمام (عليه السلام) ولا سيما إذا كان من النبي الذي هو " وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ " (١).

لقد اعتمد ابن تيمية على تجريح ابن الجوزي لهذا الحديث دون أن يدرك عدة أمور منها:

- إن لهذا الحديث طرقاً صحيحة صرح بها الحاكم النيسابوري ، إذ قال بعد أن روى الحديث : " هذا حديث صحيح الاسناد " (٢) .
- إن من العلماء من رفض ان يحكم على الحديث بالضعف فضلا عن أن يكون موضوعا ، إذ أشار الفتني إلى أن العلاني قد أخذ رأي ابن الجوزي وجعله موضع اهتمام غير أنه انتهى إلى أن الحديث ينتهي بطرقه" إلى درجة الحسن فلا يكون ضعيفا فضلا عن أن يكون موضوعا" ثم أشار الفتني بقوله " قلت له متابعات فمن حكم بكذبه فقد أخطأ " (٣).
- إن احد الطرق التي ورد فيها الحديث وقدها ابن الجوزي هو الطريق الذي ورد فيه ابو الصلت الهروي(٤) ، غير اننا نجد من العلماء من يوثق أبو الصلت ويصحح الحديث عنه كما ورد ذلك عن ابن معين ، فقد روى الحاكم رواية جاء فيها " سمعت العباس بن محمد المروزي يقول : سألت يحيى بن معين عن أبي الصلت الهروي فقال : ثقة ، فقلت : أليس قد حدث عن أبي معاوية عن الأعمش : "انا مدينة العلم "فقال: قد حدث به محمد بن جعفر الفيدي وهو ثقة مأمون " (٥) ، هذا التوثيق يرد على طعن ابن

١ . سورة النجم ، الآية : ٣ . ٤ .

٢ . المستدرك ، ٣ / ١٢٦ .

٣ . تذكرة الموضوعات ، ٩٦ .

٤ - عبد السلام بن صالح بن سليمان بن أيوب بن ميسرة القرشي ، أبو الصلت الهروي ، مولى عبد الرحمان بن سمرة ، سكن نيسابور ، ورحل في الحديث إلى البصرة والكوفة والحجاز ، أديب فقيه عالم ، توفي سنة ، ٢٣٦ هـ ، المزي ، تهذيب الكمال ، ١٨ / ٧٣ . ٨٢ .

٥ الحاكم ، المستدرك ، ٣ / ١٢٧ ، السبحاني ، جعفر ، ابن تيمية فكرا ومنهجا ، ٣١٠ .

الجوزي بطريق الحديث الوارد عن أبي الصلت وبالتالي بما اخذه ابن تيمية من وضع لهذا الحديث معتمدا على ابن الجوزي .

فضلا عن ذلك أمر آخر مفاده إن الطعن بشخصية أبي الصلت قد نتج لا لكونه غير ثقة حقا وحقيقة بل جاء الطعن لروايته هذا الحديث ونستنتج ذلك من التناقض الذي وقع فيه الذهبي في تقييم هذه الشخصية ، فهو يصفه " الرجل الصالح ، إلا أنه شيعي جلد " (١) ، غير أنه يزول عن اعتداله عند التعرض لروايته لهذا الحديث فيصف ابا الصلت بأنه " لا ثقة ولا مأمون " (٢) ، والعجيب كيف يكون الرجل عبدا صالحا ثم لا يكون ثقة ولا مأمون؟! ، هذا الأمر يوقع كثير من المحدثين في حرج شديد ، ويجعل كثير من علامات الاستفهام حول منهجهم في توثيق الروايات ، و فعلا قد تتبه الباحثون لذلك فرأوا أن الانتماء المذهبي كان له دور كبير في توثيق الرواة أو القدرح فيهم (٣) .

يضاف إلى ذلك كثرة الإشكالات على كتاب الموضوعات - الذي اعتمده ابن تيمية بوصفه مصدرا لتضعيف هذا الحديث - وعدم التزام صاحبه بما ارتآه من مسمى ، إذ تتبع العلماء ذلك الكتاب وأدلو بأرائهم فيه:

أ / فقد ذكر ابن الصلاح موقفه من الكتاب بقوله : "ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر الموضوعات في نحو مجلدين، فأودع فيها كثيراً ممّا لا دليل على وضعه، وإنما حقّه أن يذكر في مطلق الأحاديث الضعيفة"^(٤) .

ب / أما ابن جماعة الكناني فقد ذكر تقييمه للكتاب بقوله : "وصنّف الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كتابه في الموضوعات، فذكر كثيراً من الضعيف الذي لا دليل على وضعه"^(٥) .

١ . ميزان الاعتدال ، ٢ / ٦١٦ .

٢ . ابن الصديق المغربي ، فتح الملك العلي ، ٨٢ وما بعدها .

٣ . عبد الحميد ، منهج في الإنتماء المذهبي بجميع صفحاته .

٤ . علوم الحديث ٢١٢ .

٥ . ابن كثير ، الباعث الحثيث ، ٧٥ .

ج / وهذه الحال ليس ببعيد عن تقييم ابن كثير الذي قال: "وقد صنّف الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً حافلاً في الموضوعات، غير أنّه أدخل فيه ما ليس منه، وأخرج عنه ما كان يلزمه ذكره، فسقط عليه ولم يهتد إليه"^(١).

د / كما ان ايراد حديث سد الأبواب إلا باب علي (عليه السلام) في الموضوعات قد أثار ابن حجر فعلق قائلاً: "وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات، وأخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم، وأعلّه ببعض من تكلم فيه من رواته، وليس بقادح، لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعلّه أيضاً بأنّه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر، وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر... وأخطأ في ذلك خطأ شنيعاً، فإنه سلك ردّ الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة، مع أنّ الجمع بين القصتين ممكن"^(٢)، ثم أضاف "وقول ابن الجوزي في هذا الحديث إنه باطل وإنه موضوع، دعوى لم يستدل عليها إلاّ بمخالفة الحديث الذي في الصحيحين، وهذا إقدام على ردّ الأحاديث الصحيحة بمجرد التوهم، ولا ينبغي الإقدام على الحكم بالوضع إلاّ عند عدم إمكان الجمع، ولا يلزم من تعدّر الجمع في الحال أنه لا يمكن بعد ذلك، لأن فوق كلّ ذي علم عليم، وطريق الورع في مثل هذا أن لا يحكم على الحديث بالبطلان، بل يتوقّف فيه إلى أن يظهر لغيره ما لم يظهر له، وهذا الحديث من هذا الباب، هو حديث مشهور له طرق متعددة، كلّ طريق منها على انفراده لا تقصر عن رتبة الحسن، ومجموعها ممّا يقطع بصحّته على طريقه كثير من أهل الحديث"^(٣).

فهذا الاعتراض وإن لم يكن على حديث باب مدينة علم الرسول إلا أنه يكشف أن ابن الجوزي قد ضمنه كتابه أحاديث صحيحة وحسنه ووسمها بالوضع وبالتالي يؤدي إلى ضرورة التحقق من أحكامه التي أصدرها بحق الأحاديث.

١. ابن كثير ، الباعث الحثيث، ٧٥ .

٢. ابن كثير ، الباعث الحثيث، ٧٥ .

٣. ابن كثير ، الباعث الحثيث، ٧٥ .

هـ / وعن السخاوي قوله : " ويوجد الموضوع كثيراً في الكتب المصنفة في الضعفاء وكذا في العلل، ولقد أكثر الجامع فيه مصنفاً نحو مجلدين، إذ خرج عن موضوع كتابه لمطلق الضعف، حيث أخرج فيه كثيراً من الأحاديث الضعيفة التي لا دليل معه على وضعها، بل ربما أدرج فيها الحسن والصحيح مما هو في أحد الصحيحين فضلاً عن غيرهما، وهو . مع إصابته في أكثر ما عنده . توسع منكر ينشأ عنه غاية الضرر، من ظن ما ليس بموضوع بل هو صحيح موضوعاً، مما قد يقلده فيه العارف تحسناً للظن به، حيث لم يبحث فضلاً عن غيره، ولذا انتقد العلماء صنيعة إجمالاً، والموقع له استناده في غالبه بضعف راويه الذي رمي بالكذب مثلاً، غافلاً عن مجيئه من وجه آخر... " (١).

و / وقال السيوطي: "وقد جمع في ذلك الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً، فأكثر فيه من إخراج الضعيف الذي لم ينحط إلى رتبة الوضع بل ومن الحسن ومن الصحيح، كما نبه على ذلك الأئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح في علوم الحديث وأتباعه"، وأضاف "واعلم أنه جرت عادة الحفاظ كالحاكم وابن حبان والعقيلي وغيرهم أنهم يحكمون على حديث بالبطان من حيثية سند مخصوص، لكون راويه اختلق ذلك السند لذلك المتن، ويكون ذلك المتن معروفاً من وجه آخر، ويذكرون ذلك في ترجمة ذلك الراوي يجرحونه به، فيغتر ابن الجوزي بذلك ويحكم على المتن بالوضع مطلقاً ويورده في كتاب الموضوعات، وليس هذا بلائق، وقد عاب عليه الناس ذلك، آخرهم الحافظ ابن حجر" (٢).

كما أن ابن تيمية قد اعتمد عليه في الاستدلال على وضع الحديث الخاص بمكانة الإمام غير أنه تجاهل ورود جملة من الأحاديث في كتاب الموضوعات أخذت أثرها عند ابن تيمية واعتبرها من الأحاديث الدالة على فضائل الصحابة التي استشهد فيها لرد فضائل الإمام (عليه السلام)، أي أن النظرة الانتقائية كانت حاضرة في ذلك فهو يعتمد كلام ابن الجوزي فيما يخص تضعيف فضائل الإمام، ويتجاهل كلامه في الأحاديث الخاصة بالصحابة، فالامانة العلمية تحتم عليه أن ينظر بنظرة واحدة لتلك الأحاديث، فكما أطاح بما

١ . السخاوي ، فتح المغيب ١ / ٢٣٦ .

٢ . اللآلئ المصنوعة ١ / ٢ ، النقوي ، عبقات الأنوار ، ١ / ٣٢ .

يخص الإمام كان عليه أن يطيح بما يخص الصحابة ولا يتغافل عنه لورودهما في كتاب واحد وهو كتاب الموضوعات ، مما يدل على وجود هدف وعلّة في هذا الموقف لا تقوم على أساس علمي.

و إذا كان ابن تيمية قد هد الحديث من خلال اسناده ، فإنه تابعه وشكك بصحته من خلال المتن ، فالكذب . حسب ابن تيمية . يتبين من المتن نفسه ف " الأخذ بهذا الحديث والقول بصحته يعني فساد أمر الإسلام فالنبي (صلى الله عليه وآله) إذا كان مدينة العلم ولم يكن له إلا باب واحد ولم يبلغ عنه العلم إلا واحد فسد أمر الإسلام وقد اتفق المسلمون على أنه لا يجوز أن يكون المبلغ عنه العلم واحد " (١).

لابن تيمية مقاسات خاصة تعتمد على تصوراته و طروحاته التي بنى عليها رؤيته وفلسفته لشخصية الإمام علي (عليه السلام) والتي بينها فيما سبق ، إذ لو لم يتجاهل ما توصلنا إليه من أن علم القرآن وعلومه لم يكن الإمام إلا أصلها وأساسها ، وإن الصحابة الذين راجت علومهم وانتشرت انما كان نتيجة لانتمائهم وتلمذتهم على يديه (عليه السلام) الذي قعد لهم قواعد العلم وأسسهم وفسح لهم الباب لينظروا أمور العلم وفقاً لتلك القواعد والأسس ، لذا نراهم يعترفون بذلك الفضل بل إنهم يستمدون العون في تبيان ما اشكل عليهم فهمه منه .

ولو كان ابن تيمية قد توصل إلى تلك النتيجة لما حكم بفساد الإسلام إذا أصل مصدر التعرف عليه ، بل في حقيقة الأمر ان الابتعاد عن ذلك المصدر وذلك الأصل وتعدد وأخذ البعض من منافذ ليست لها اتصال بباب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله) أتى بزيغ علمي واضح وانحراف عقدي وديني و تشويش ذهني كبير ، أنتج نتاجاً ظنت الأمة أنه من المسلمات المتوافقة مع الشرع ولا ينبغ الخدش فيها والتعرض لها و أصبح جزء من ثقافة المجتمع ، فالعمائم المزورة الداعمة للسلطة ، وخصوصاً في العهد الأموي وعهد التدوين أدت دوراً كبيراً في ذلك التشويش الذهني إذ تلققت مناهج السلطة واشتغلت بتدريسها للعامّة مما أدى إلى تخلق الناس بها من جهة وخلقت حاجزاً بوجه علوم باب مدينة علم رسول الله

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٢ .

إذ لم تكن تسمح له بأن يكون جزءاً منها، وبالتالي بقيت آثارها ماثلة حتى اليوم في تصرفات الكثير ممن ينتمون للإسلام ، وهذا الأمر نراه جلياً في كلام أبو جعفر الإسكافي إذ يقول " فأما أهل الحشو من أصحاب الحديث وسائر العوام فعندهم من التعسف في هذا الباب ، والعناية به والانكماش فيه على قدر جهلهم بأوليه وآخره وعلى حسب ما عندهم من قلة المعرفة بالنظر والتمييز بين السنة والفريضة والشرع إلى التقليد والقول بما دعت إليه ملوك بني أمية ، وإن ملوك بني أمية وإن كانت قد بادت فإن عامتها وشيعتها فينا اليوم ظاهرة متعلقة بما ورثوه من ملوكهم الطاغية وأسلافهم الباغية فبلغ من عنايتهم بخطئهم في هذا الباب أن أخذوا معلمهم بتعليم الصبيان في الكتاتيب لينشئوا عليه صغيرهم ولا يخرج من قلب كبيرهم وجعلوا لذلك رسالة يتدارسونها بينهم ويكتب لهم مبتدأ الأئمة أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان ومعاوية بن أبي سفيان ، حتى أن أكثر العامة منهم ما يعرف علي بن أبي طالب ولا نسبه ، ولا يجري على لسان أحد منهم ذكره . ومما يؤكد هذا ما يؤثر عن محمد بن الحنفية عن يوم الجمل ، قال : حملت على رجل فلما غشيته برمحي ، قال : أنا علي دين عمر بن أبي طالب !!! قال : فعلمت أنه يريد علياً ؟ !!! فأمسكت عنه " (١) .

ثم إننا نسأل ابن تيمية ونستفهم منه عن المسلمين الذين اتفقوا على عدم جواز تمثيل الإمام علي (عليه السلام) لمدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفساد الإسلام بذلك التمثيل ؟ ! .

فالحقيقة إن ابن تيمية لم يبين لنا وهو أمر تعودناه منه ، فهو طالما ألقى بضلال آرائه وتوجهاته على عواتق المجهولين بهدف توسيع دائرة التحشيد ضد مناقب الإمام علي (عليه السلام) و الإستقواء برأي هؤلاء الهلامييين الذين لا نجد لهم أثراً" ، وإن وجد فهم على نفس الخطى والشاكلة والروح المريضة المختقة الأنفاس .

١. المعيار والموازنة ، ١٩ .

إن الفهم الطبيعي للحديث يدل بما لا يقبل الشك أن عليا (عليه السلام) هو المنبع العلمي الذي ينبغي أن لا تمر العلوم وتستقى إلا منه ومن خلاله ، وهذا الفهم يؤيده الذين عدو هذا الحديث دلالة على مدى العلم الذي ضمته جوانح الإمام (سلام الله عليه)^(١) .

خامساً : آلية المبالغة في أعلمية الصحابة

من النقاط المفصلية التي وجهها ابن تيمية للإطاحة بمكانة الإمام (عليه السلام) العلمية هي إبراز مكانة علمية مزعومة ل- ابو بكر وعمر وعثمان - وارتقاءها على ما هو متعارف من مكانة للإمام (عليه السلام) ، هذه المكانة تحققت حسب زعم ابن تيمية واتضحت نتيجة لعدة أمور يمكن بيانها خلال ثنايا البحث ، غير أن ما لا يخفى منها ان تلك الشخصيات كانت - حسب ابن تيمية - تمتلك ما نستطيع ان نسميه المؤهلات العلمية المطلوبة في شخصية الصحابي في مجال العلم ، وقد حددها ابن تيمية بأمرين هما: كثرة الرواية والإفتاء وكثرة استعمال النبي (صلى الله عليه وآله) لذلك الصحابي (٢) ، وهذه الأمور وجدت في شخصية ابو بكر فهو قد التصق بالنبي (صلى الله عليه وآله) في كل تحركاته وسكناته فالرسول "قد الزم نفسه في جلوسه ومسامرته وظعنه وإقامته أبا بكر فشاهد أحكامه وفتاويه اكثر من مشاهدة علي لها فصح ضرورة انه اعلم بها فهل بقيت من العلم بقية إلا و أبو بكر المقدم فيها الذي لا يلحق أو المشارك الذي لا يسبق" (٣).

والرسول (صلى الله عليه وآله) قد استعمل ابا بكر على الصلاة والزكاة والحج والجهاد ومحال أن يستعمل من لا علم له بهذه الأمور " وإذا صح التقدم لأبي بكر على علي وغيره في العلم بالصلاة و الزكاة و الحج وساواه في الجهاد فهذه عمدة للعلم" (٤) .

- ١ - للتوسع في بيان ذلك الحديث ومقام الإمام علي (عليه السلام) العلمي ، ينظر: ابن الصديق المغربي ، فتح الملك العلي بجميع صفحاته .
- ٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٤ . ٣٧٥ .
- ٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٤ . ٣٧٥ .
- ٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٤ .

في حقيقة الأمر أن ما بسطه ابن تيمية في هذا المجال هو أمر ينم عن تصور بسيط وغير واقعي إذ أن الكثرة في أي عمل ليست هي الوجه الأسمى والمتكامل أو التام للعمل هذا إذا ثبت القول بالكثرة أصلاً!!! بل إنها قد تفقده من رونقه ومؤهلاته التي تترجمه وتميزه عن غيره ، والرواية من سنخ هذا الموضوع فحفظ الرواية وكثرتها ليست هي المعيار الحقيقي للشراء العلمي والمعرفي بل إن ميزة الإتيان هي الجانب المعبر عن المعرفة ، فإذا فرضنا مثلاً وجود رواية و مفتين قد أتت فتاواهم ورواياتهم تحمل مخالقات وشذوذ لا يمكن القبول بها أو القول بمطابقتها للواقع الشرعي الإسلامي فهل يستساغ أن يقال عنهم أنهم علماء إلا لكثرة روايتهم وفتاواهم؟! ، ومن هنا يقول الإمام علي (عليه السلام) "إعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواية العلم كثير ورعاته قليل" (١) .

إن القول بأهمية الكثير في الرواية أمر لا يقبله ابن تيمية بمجموعه وإنما أخذ بقبوله هنا في انتقائية واضحة دفعه إليها الطعن على الإمام (عليه السلام) ، كون ذلك الأمر -أي أهمية الكثير في الرواية - تصطدم مع مباني ابن تيمية الفكرية ، إذ لو كان الأمر كذلك لكان أبو هريرة أعلم من أبو بكر كونه الصحابي الأكثر رواية على الإطلاق (٢) و هذا الأمر لا يقبله ابن تيمية .

فضلاً عن ذلك أن أكثر من وعى علم النبي هو الإمام علي (عليه السلام) وهذا أمر غير خاف وبديهي ، حتى أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى ذلك عندما تكلم عن الراسخون في العلم مشيراً إلى نفسه : " اين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا ، كذبا وبغيا علينا ، أن رفعنا الله ووضعهم ، وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم . بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى" (٣) ، وقد ورد عنه (عليه السلام) أن رسول الله علمه الف باب من العلم يفتح له منها ألف باب (٤) غير أن الإمام لم يجد من يستوعب ذلك العلم

١ . نهج البلاغة ، ٢٢ .

٢ . الحيدري ، معالم الإسلام الأموي ، ٤٦ .

٣ . نهج البلاغة ، ٢٧ .

٤ - الصدوق ، الخصال ، ٥٧٢ ، النعمان المغربي ، شرح الأخبار ٢ / ٣٠٨ ، الطبري الشيعي ، دلائل الإمامة ، ٢٣٥ .

حتى يبقية بأكمله إليه ، لذا قال (عليه السلام) : " إن ههنا لعلماء جما (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملة ، بلى أصبت لقنا غير مأمون عليه ، مستعملا آلة الدين للدنيا ، ومستظها بنعم الله على عباده ، وبحججه على أوليائه ، أو منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه ، ينقذح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة ، ألا لا ذا ولا ذاك ، أو منهوما باللذة سلس القياد للشهوة ، أو مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء ، أقرب شيء شبها بهما الأنعام السائمة ، كذلك يموت العلم بموت حامله" (١)، وقال (عليه السلام) : " بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيد" (٢) .

ومن جهة أخرى كان للمنع الحاصل من قبل الأمويين أن تتضائل حجم النقول الروائية عنه كما أسلفنا ، إذ كتب معاوية إلى مختلف البلدان الإسلامية " أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته " (٣) مما مهد إلى ضياع الكثير من المعارف العلوية ولم يصل منها إلا النزر اليسير (٤) .

لقد بنى ابن تيمية رؤيته الداعمة لأعلمية أبو بكر علي أمور هي في الحقيقة قيد التداول و فيها مجال واسع للمناقشة ، فاختصاص وملازمة أبي بكر لشخص النبي أمر فيه نظر وطروحات المسلمين لا تتفق معه ، فالتراث الإسلامي منسجم ومتجه مع الرؤية التي تصرح باختصاص الإمام وملازمته لشخص الرسول (صلى الله عليه وآله) (٥) إذ يقول : " وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وأنا ولد يضمني إلى صدره ، ويكفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه . وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه . وما وجد لي كذبة في قول ولا

١ . نهج البلاغة ، ٣٧ .

٢ . نهج البلاغة ، ٤١ .

٣ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١١ / ٤٤ ، و ينظر : سليم بن قيس ، كتاب سليم ، ٣١٤ ، ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٢ / ١٧٤ .

٤ . الجابري ، الدعاية الأموية المضادة للإمام علي (عليه السلام) بجميع صفحاته .

٥ . الايجي ، المواقف ، ٣ / ٦٢٧ ، القاضي الجرجاني ، شرح المواقف ، ٨ / ٣٧٠ .

خطلة في فعل . ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره . ولقد كنت اتبعه إتباع الفصيل اثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاعتداء به . ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري . ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة وأشتم ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الرنة ؟ فقال : هذا الشيطان ايس من عبادته ، انك تسمع ما اسمع وترى ما أرى إلا انك لست بنبي ولكنك وزير ، وانك لعلى خير ^(١) .

يضاف إلى ذلك أن القول بتقديم ابي بكر في العلوم الفقهية الخاصة بالصلاة والزكاة والحج والجهاد أمر يثير الارتباب الذي يرقى إلى تصدع واختلال مثل هكذا دعوى وبالتالي تداعيتها ، فالتدخل في هذه الدعوى يحدث بمجرد تجميع أوصال تلك المواضيع والإطلاع على مدى صدقية حدوثها ، فالاستدلال بإمامة أبي بكر وصحة خلافته باستعمال النبي (صلى الله عليه وآله) له في الصلاة أثناء مرضه أمر فيه نقض كبير لمباني المدرسة التي ينتمي إليها ابن تيمية كونها لا تضع ميزة للصلاة بالمسلمين أو شرطا لإمامتهم لأنها تتبنى حديثا يذكر عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال : "صلوا خلف كل بر وفاجر" ^(٢) ، إذا ما قيمة الإمام الذي ربما يكون فاجرا حسب طرحهم نفسه وهذا تأكيد على الأثر المادي للصلاة وليس المعنوي ، يضاف إلى ذلك أن الرويات تتباين في من أرسل إلى أبي بكر لنصل من خلالها إلى نتيجة أن من استدعى أبي بكر للصلاة ليس الرسول (صلى الله عليه وآله) وإنما هو عائشة واستعمال عائشة لا ينم بالضرورة على أنه موافق لرؤية الرسول (صلى الله عليه وآله) ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الروايات تصرح أن الرسول قد رفض ذلك الاستعمال وأنه قام بنفسه ليعزل أبا بكر عن الصلاة بالرغم من صعوبة قيامه

١ . نهج البلاغة ، ١٥٧ ، وينظر: ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣ / ١٩٧ .

٢ - السرخسي ، المبسوط ، ١ / ٤٠ ، الدارقطني ، سنن الدار قطني ، ٢ / ٤٤ ، الذهبي ، تنقيح التحقيق ، ١ / ٢٥٦ ، العيني ، عمدة القاري ، ١١ / ٤٨ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٦ / ٥٤ .

ووضعه الصحي الصعب ، ومرد ذلك إلى أمر قد ذكر في بعض الروايات من ان الرسول قد أحس بوقوع الفتنة (١).

كما أن القول أن الرسول قد استعمله طيلة علته هو أمر فيه من المبالغة الواضحة والمخالفة للنصوص التي يرويها ابن تيمية فضلا عن غيره ، فالنصوص لم تصرح إلا بصلاة واحدة أمر ابو بكر بتأديتها ولم تكن هناك صلوات متعددة حتى يقول ابن تيمية بصلوات ابي بكر طيلة علة الرسول (٢) .

وأما في ما يخص الحج ، فهو المقصود به تبليغ سورة براءة ، فملاحظ ما تقوله الروايات عن ذلك الأمر يبين أن أبا بكر قد عزل عن ذلك الاستعمال ومن قام بذلك هو الإمام علي (عليه السلام) حتى أن أبا بكر نفسه قد تفاجأ فزعا من ذلك العزل وظن أن قرآنا قد نزل به (٣) .

على أن تلك الأمور لا تمثل إلا جانبا من العلم يمثل الفقه في الأحكام الذي هو جزء من كل العلوم ، وبالتالي فما خفي على أبي بكر أعظم ، ومن ثم فإن الأمور التي ساقها كمعبر عن علمية أبو بكر هي أمور تعبر عن حالة الإتساق الذاتي والميل العقدي لابن تيمية دون أن ترى نور الألتزان العلمي .

وقد يعارض ابن تيمية على ما ورد من استعمال الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام) على اليمن والمدينة ، إلا أن ابن تيمية كان ملتفتا إلى ذلك الأمر ولم

١ . الميلاني ، رسالة في صلاة أبي بكر بجميع صفحاته .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٥٨ .

١- ابو داوود الطيالسي ، مسند أبي داوود ، ٣٣ ، احمد بن حنبل ، المسند ، ٣ / ١ ، ٣٣١ / ١ ، ابو يعلى الموصلي ، المسند ، ١٠٠ / ١ ، الطبري ، التفسير ، ٤٧ / ١٠ ، ابن حبان ، الصحيح ، ١٥ / ١٧ ، الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٣ / ١٦٥ ، المعجم الكبير ، ١٢ / ٧٧ ، الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١ / ٣٠٦ - ٣١٦ ، ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ١٠١ ، ٤٢ / ١١٧ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ١٦٨ ، ١٦ / ٢٩١ ، الإيجي ، المواقف ، ٣ / ٥٩٨ ، ٣ / ٦٠٩ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٣ / ٢٣٩ ، ٩ / ١١٩ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٨ / ٢٣٩ ، وغيرها من التفاسير والمصادر .

يكن يغفل عنه ، فهو وإن اعترف بذلك الاستعمال إلا أنه قد أطرهما بأمرين أديا إلى توهينهما ،الأول المقابلة مع مشاهد أبي بكر لقضاء الرسول(صلى الله عليه وآله) وحضوره معه ،التي هي - وحسب ابن تيمية - " أقوى في العلم وأثبت مما عند علي وهو باليمن " (١) ، والثاني هو المشاركة إذ كان مع الإمام في اليمن معاذ وأبي موسى ، وهذا ينتج انفراد ابو بكر في العلم (٢).

إن اعتقاد ابن تيمية بحقيقة ملازمة ابو بكر للنبي(صلى الله عليه وآله) هي التي جعلته يقول بأفضلية علم ابي بكر ، و ذلك ناتج من إقصاءه لاتفاق المسلمين على أن الشخصية الأولى التي لازمت الرسول(صلى الله عليه وآله) طيلة حياته هي شخصية الإمام علي (عليه السلام) لم يكن يطرح مثل هكذا طرح .

على أن الإيقاع المتصاعد في طروحات ابن تيمية يرتفع ويرتقي إلى مصاف أن يشكل ابو بكر وعمر مصدرا من مصادر علوم الإمام علي (عليه السلام) ، إذ أشار بقوله "وعمر قد استفاد منه علي أكثر مما استفاده عمر من علي" (٣).

في حين أنه يضيف منبعا معرفيا إلى المنابع التي استقى منها الإمام علومه ، إذ أنه كرر أخذ الإمام علمه من ابي بكر ،ولعل من المفيد أن نشير إلى تلك الموارد بنصوصها:

- " فعلي تعلم من أبي بكر بعض السنة و أبو بكر لم يتعلم من علي شيئا " (٤).
- "والمعروف أن عليا أخذ العلم عن أبي بكر كما في السنن عن علي قال كنت إذا سمعت من النبي صلى الله عليه و سلم حديثا نفعتني الله به ما شاء أن ينفعتني وإذا حدثني غيره حديثا استحلفته فإذا حلف لي صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٥ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٥ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٥٤٢ .

٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٦٩ .

سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلّي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له" (١) .

• " و كان علي و غيره يروون عن أبي بكر كما في السنن عن علي قال كنت إذا سمعت من النبي صلى الله عليه و سلم حديثاً نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه فإذا حدثني غيره فاستحلفه فإذا حلف لي صدقته حدثني أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما من مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ و يصلي ركعتين يستغفر الله تعالى إلا غفر له " (٢)

• فأما أبو بكر رضي الله عنه فما ينقل عنه احد أنه استفاد من علي شيئاً من العلم والمنقول أن علياً هو الذي استفاد منه كحديث صلاة التوبة وغيره (٣) .

• "وعلي قد روى عنه واحتذى حذوه واقتدى بسيرته" (٤) .

على الرغم من تكرار العبارات التي حاول ابن تيمية أن يستدل من خلالها على مدى الانتفاع العلمي من أبي بكر إلا أنها في الحقيقة تدور حول أمر واحد ، استطاع ابن تيمية أن يقطع أوصاله وينشره وينثرها على طول منهاج السنة وكأنه ينم على كثرة من الموارد التي دلت على استقاء الإمام (عليه السلام) علومه من أبي بكر ، في محاولة خداع وإيهام للمتلقي لا يشك في وضوحها .

مدار هذا الأمر- الذي جعله ابن تيمية دليلاً على استقاء الإمام (عليه السلام) علومه من أبي بكر . هو حديث صلاة التوبة الذي لم يرو الإمام (عليه السلام) عن أبي بكر غيره ولم ترو كتب السنن غير تلك الرواية التي رواها الإمام عن أبي بكر وعلى الرغم من ذلك جعله ابن تيمية مصدراً معرفياً لتعلم الإمام (عليه السلام) (بعض السنة منه ، استفادة من أبي بكر ، والرواية عنه ، والافتداء به، واخذ العلم منه).

١ . منهاج السنة ، ٣ / ٥١٣ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٦٤ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٤١٦ .

٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٥٤٢ .

يضاف إلى ذلك أن هذا الحديث إنما يروى عن أسماء بن الحكم الفزاري وهو شخص ليس له رواية غير هذا الحديث وإنما عرف به (١) ، إلا أن ابن تيمية جعله معروفاً دون أن يشير إلى حقيقة الراوي واسناد الرواية ذلك الأمر الذي كان يتشدد فيه في المواطن التي تخص الإمام علي (عليه السلام).

والعجيب أن ابن تيمية يأخذ برواية أسماء بن الحكم الذي يستنكر البخاري روايته (٢) وهو المتشدد في قبول رواية ما قبله البخاري ورفض ما رفضه ، ولكن عدم سير ابن تيمية على منهجيه واحدة والإقدام الارتجالي دون اعتماد ضوابط محدده جعله تارة يمجّد البخاري وأخرى يغض الطرف عن قيمته العلمية التي أخذت مأخذها عند ابن تيمية وفي تراثه .

على أن محاولات ابن تيمية الهادفة إلى استعراض الأدلة على أعلمية أبي بكر وعمر لم تقف عند حد معين بل راح يخلق لها مجموعة جديدة من الأدلة والتي تتراوح بين أدلة ذاتية كانت متوافرة في شخصية أبي بكر وعمر تنم عن مدى علميتهما والتي من أهمها ممارسة الإفتاء والقضاء والإشارة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) برأيهما وانحصار ذلك بهما ، ورد الشكوك التي انتابت الأمة في موارد محرجة جدا من أهمها وفاة الرسول و مدفنه وقتال مانعي الزكاة وتفسيره الكلاله (٣) .

وبين أدلة تعتمد على التراث النبوي الذي صرح به النبي (صلى الله عليه وآله) بأعلمية أبي بكر وعمر واعتماد أحاديث مروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) تشير إلى مدى الشخصية العلمية لأبي بكر وعمر ، اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر (٤) .

- ١- ابن عدي ، الكامل ، ١ / ٤٣٠ ، الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ١ / ٢٥٦ ، الزيلعي ، تخريج الأحاديث والآثار ، ١ / ٤٢٩ ، الميلاني ، دراسات في منهاج السنة ، ٢٢٧ .
- ٢ . البخاري ، التاريخ الكبير ، ٢ / ٥٤ ، الزيلعي ، تخريج الأحاديث والآثار ، ١ / ٤٢٩ .
- ٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٦٣ وما بعدها .
- ٤ . ابن أبي شيبة ، المصنف ، ٧ / ٤٧٣ ، أحمد بن حنبل ، المسند ، ٥ / ٣٨٢ ، الترمذي ، السنن ، ٥ / ٣٣٦ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٥ / ٢١٢ ، ابن قدامة ، المغني ، ٣ / ٥٣٥ .

ومنها الاعتماد على روايات نسبت إلى الإمام علي تبين أعلميتهما من أهمها قوله (عليه السلام) "خير الأمة بعد نبيها أبي بكر وعمر" (١) ، ومنها الاعتماد على أجماع الأمة الذي يقول أن أبو بكر أعلم من الإمام علي (٢).

يمكن الإجابة على ذلك بعدة مستويات :

١ - إن ممارسة الإفتاء والإشارة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تكن حكرا على أبي بكر وعمر فقد كان الإمام علي يفتي بحضور رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وكان صحابة آخرين يشورون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يرد الرسول مشورتهم كما هو حال الحباب بن المنذر في معركة بدر، حتى قال له الرسول (صلى الله عليه وآله) : " الرأي ما أشار به الحباب بن المنذر ... يا حباب أشرت بالرأي " (٣) ، في حين أن هناك من الأمور التي أشار فيها أبو بكر وعمر وقضيا بها في حضرة النبي (صلى الله عليه وآله) فرفضها أو تجاهلها ، كما في رواية البخاري التي تقول : " كاد الخيران ان يهلكا أبو بكر وعمر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم أشار أحدهما بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع وأشار الآخر بغيره فقال أبو بكر لعمر إنما أردت خلافي فقال عمر ما أردت خلافك فارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ " (٤) (٥) .

كما أنه ليس كل مشورة أو افتاء ينم عن علم صاحبها وموافقة الرسول له ، فقد ورد أن عمر افتى وأشار بقتل حاطب في قضيته المشهورة غير أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عارضه كما في الرواية أن عمر قال : " يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" (٦) ، وفي

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٧٠ .

٢ منهاج السنة ، ٤ / ٣٦٤ . ٣٦٥ .

٣ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٥٦٧ .

٤ . سورة الحجرات ، الآية : ٢ .

٥ . صحيح البخاري ، ٦ / ٤٦ ، ٨ / ١٤٥ .

٦ . احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٨٠ ، البخاري ، الصحيح ، ٤ / ١٩ ، ٥ / ٨٩ ، مسلم ، الصحيح ، ٧ / ١٦٨ .

وفي قضية أخرى حصلت بين المهاجرين والأنصار قام عمر فقال: "يا رسول الله ، دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعه ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه" (١) .

بل أن الرواية التالية تشير صراحة إلى مدى الاعتراض والمعارضة التي رفعها عمر بوجه الرسول صلى الله عليه وآله وأن أحكام الرسول كانت بخلاف ما حكم أو اقترح عمر ، فقد ورد أن الحكم بن كيسان (٢) ، جيء به أسيرا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الاسلام فأطال فقال عمر علام تكلم هذا يا رسول الله لا يسلم هذا آخر الأبد دعني أضرب عنقه ويقدم إلى أمه الهاوية فجعل النبي (صلى الله عليه وآله) لا يقبل على عمر حتى أسلم الحكم فقال عمر فما هو إلا أن رأيته قد أسلم حتى أخذني ما تقدم وما تأخر وقلت كيف أرد على النبي صلى الله عليه وسلم أمرا هو أعلم به مني ثم أقول إنما أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله فقال عمر فأسلم والله فحسن إسلامه وجاهد في الله حتى قتل شهيدا ببئر معونة ورسول الله صلى الله عليه وسلم راض عنه ودخل الجنان" (٣) .

والمعروف أن ابن تيمية يعتمد البخاري ولا يشكك به ابد ، ولكن في ذلك الموضوع تجاهل روايات البخاري التي تقول بعدم توافق ابو بكر وعمر مع الرسول وعدم علمهما ورد مشورتها ، وهذا يدل على حجم الإغفال والتغافل المتعمد عن عدم انطباق التعميم الذي ذكره من أن لا أحد يفتي ويقضي ويخطب بحضرة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلا ابو بكر وعمر ، وبالتالي فهو يكشف عن تضائل مكانة الدليل الذي ساقه لبيان علمهما وأرجحيته على علم الإمام علي (عليه السلام) .

١ . احمد بن حنبل،المسند، ٣ / ٣٩٣ ، البخاري، الصحيح، ٦ / ٦٦ . ٦٧ ، مسلم ، الصحيح ، ٨ / ٩ .

٢ . مولى لبني مخزوم أسر في سرية نخلة فأسلم ، ثم قتل يوم بئر ، ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤ / ١٣٧ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٢ / ٣٨ .

٣ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤ / ١٣٧ .

٢- إن ابن تيمية قد أعطى موقف ابا بكر من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) أهمية كبرى جعله أمرا كاشفا عن مدى الشخصية العلمية التي يتحلى بها ، ولكن عند استعراض ذلك الموقف فإننا لا نجد لأبي بكر دورا إلا في قوله من كان يعبد محمدا فإن محمد قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت (١)، وبالتالي هو أمر لم يكن كاشفا عن معضلة علمية كبرى جاء حلها على يد أبي بكر حتى يعطى هذه المكانة ، كما أنه وحسب الروايات ليس مخاطبة أو إزالة لشك كل الأمة بل إن المخاطب به كان شخص واحد وهو عمر بن الخطاب لإصابته بقصور علمي عن فهم وتدبر آيات القرآن النازلة مسبقا والمؤكد على بشرية النبي (صلى الله عليه وآله) وتعرضه للموت (٢) ، وبالتالي فإن جعله أمرا عاما وشاملا لكل الأمة أمر ليس له وجه حق ، وكيف يكون كذلك وإن من الأمة من فاضت روح الرسول بينهم وهو الذي عرفهم بأنه صائر إلى ربه وهذا الأمر ينطبق على أقل تقدير بالإمام وبني هاشم ، فإن كان يشمل فلا يشمل إلا من شك بوفاة الرسول وقد تثبت علمية أبو بكر على القائل أما من لم يقلها فإن ذلك الأمر لا يمكن أن يشملها.

٣- إن ما استدل به ابن تيمية على أهمية ابو بكر وعمر من تراث للنبي ، تراث في من مواطن الخلل الشيء الذي يفقده قيمته العلمية ، فأما حديث الإقتداء فإن أهم ما فيه أن أصحاب الصحيحين البخاري ومسلم لم يخرجاه في مسنديهما وتجاهلاه ، مما يعني أن أصلا مهما من الأصول التي يعتمدها ابن تيمية في معرفة الحديث الصحيح قد انتفى ، لذا لم نر ابن تيمية يذكر وجوده في الصحاح مع العلم أنه كان يركز في رده لمناقب الإمام على الوجود في تلك الصحاح ، هذا أولا ،

وثانيا : أن ابن تيمية قد تناسى الخلل الحاصل في سلسلة سند هذا الحديث ، فالحديث عليه عدة ملاحظات من جهة السند أهمها وجود عبد الملك بن عمير في سنده وهو رجل قد صرح ابن حنبل أنه " مضطرب الحديث جدا مع قلة حديثه ، ما أرى له خمسمائة حديث ،

١. احمد بن حنبل ، المسند ، ٦ / ٢٢٠ ، البخاري ، الصحيح ، ٥ / ١٤٣ .

٢ . احمد بن حنبل ، المسند ، ٦ / ٢٢٠ ، البخاري ، الصحيح ، ٥ / ١٤٣ .

وقد غلط في كثير منها" (١) ثم أضاف الرازي أن أحمد بن حنبل قد "ضعف عبد الملك بن عمير جدا" (٢) ، كما أن يحيى بن معين قد وصفه بأنه مخط الحديث (٣).

وأنه من الذين بان هواهم للأمويين وبوضوح فقد كان في الكوفة أبان قدوم عبد الله بن يقطر مبعوث الإمام الحسين (عليه السلام) إليها ، وما ان القي القبض عليه ورمي من أعلى الدور حتى نزل عبد الملك بن عمير إليه و احتز رأسه وعندما سئل عن ذلك أجاب قائلاً " أردت أن أريحه" (٤) ، كما أنه كان من ضمن الجيش الأموي الذي قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) يوم كربلاء وتشير بعض المدونات إلى أن وظيفته في ذلك الجيش كانت مختصة بحز رؤوس أصحاب الإمام (سلام الله عليه) .

فضلا عن ذلك أن في سند الحديث المروي عن حذيفة ، ربعي بن خراش ، وهو شخص لم يسمع عن حذيفة ، كما أن عبد الملك بن عمير لم يسمع مباشرة من ربعي (٥) ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ان التقييم العلمي لربعي يتضمن عبارات عدم القبول لروايته وبشكل واضح إذ أن أكثر طرقه قد وفد إلى التراث الإسلامي عن طريق مولى ربعي وهو شخص مجهول لا وجود له ولم يروي عنه إلا عبد الملك بن عمير (٦).

أما موقف العلماء من هذا الحديث فقد أنكره العقيلي وصرح بأنه "حديث منكر لا أصل له" (٧) ، وقد استهجنه ابن حزم بقوله : " لو أننا نستجيز التدليس والأمر الذي لو ظفر

١ . الرازي ، الجرح والتعديل ، ٥ / ٣٦١ .

٢ . الرازي ، الجرح والتعديل ، ٥ / ٣٦١ ، وينظر: ابن المبرد ، بحر الدم ، ١٠٢ .

٣ . الرازي ، الجرح والتعديل ، ٥ / ٣٦١ .

٤ . ابو مخنف ، مقتل الحسين ، ٧٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤ / ٣٠٠ ، المفيد ، الإرشاد ، ٢ ،

٧١/ ، القتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، ١٧٨ ، ابن الأثير ، ، الكامل في التاريخ ، ٤ / ٤٣ .

٥ . المناوي ، فيض التقدير ، ٢ / ٧٣ .

٦ . ابن عبد البر ، جامع بيان العلم ، ٢ / ١٨٣ ، ابن حزم ، الاحكام في أصول الاحكام ، ٦ / ٨٠٩ ،

الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٤ / ٣١٧ .

٧ . الضعفاء ، ٤ / ٩٥ .

به خصومنا طاروا به فرحا ، أو ألبسوا أسفا لاحتجنا بما روي : (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر) ولكنه لم يصح ويعيدنا الله من الاحتجاج بما لا يصح ^(١).

في حين صرح الذهبي بعدم الاعتماد على رواته بقوله : " أحمد بن صالح عن ذنون المصري عن مالك عن نافع عن ابن عمر ، بحديث (اقتدوا . الحديث) وهذا غلط وأحمد لا يعتمد عليه " ^(٢) ، كما رواه من طريق محمد بن عبد الله بن عمر بن القاسم عن مالك عن نافع عن ابن عمر ، قائلا فيه : " العمري - يعني محمد بن عبد الله المذكور - يحدث عن مالك بأباطيل " ^(٣) ، بل أنه صرح في تلخيص المستدرک بأن هذا الحديث يرتكز على "سند واه جدا " ^(٤) ، وتابعه على ذلك ابن حجر إذ يقول : "واه جدا " ^(٥)

والعجيب أن من قدح هذا الحديث هم اناس قد روج ابن تيمية لآرائهم وعلميتهم ومكانتهم في العلم ، وأخذت آرائهم صداها عن ابن تيمية في منهاج السنة ، ولكن كان ذلك في المواقف التي تقدح بالإمام عليه السلام) وتتسجم مع التوجه الذي يسير عليه ، ولكن تجاهل سمة الحفظ والصدق والاتقان التي اعطاها لهم وتناسى رؤيتهم في هذا الحديث لكون آرائهم لم تنصهر في بوتقة واحدة مع ما يريد ، فهؤلاء الذين وصفهم ب" جهابذة ونقاد وأهل معرفة بأحوال الإسناد " ^(٦) تجاهل حفظهم هذه المرة واتقانهم كونه حين قيمهم تقيمه المذكور كان موقفه ناقدا للشيعة ^(٧) أما في هذا الموقف فالأمر مختلف .

سادساً : آلية إدعائه تأليف مؤلفات في التناقض العلمي عند الإمام (عليه السلام)

يعد عدم الثبات والتذبذب في الرأي العلمي من بين الأمور التي تشير إلى مدى ضعف الفهم الكامن في الشخصية خصوصا إذا أتت بقولين أو برأيين في مسألة واحدة

١ . ابن حزم ، الفصل في الملل ، ٤ / ١٠٨ .

٢ . ميزان الاعتدال ، ١ / ١٠٥ .

٣ . ميزان الاعتدال ، ٣ / ٦٦١ .

٤ . ٣ / ٧٥ .

٥ . لسان الميزان ، ١ / ١٨٨ . وينظر : الميلاني ، رسالة في حديث الاقتداء بجميع صفحاته .

٦ . منهاج السنة ، ١ / ٤٢ .

٧ . منهاج السنة ، ١ / ٤٢ .

متشابه في الظروف والملابسات والتفاصيل ، وهذا الأمر حاول ابن تيمية أن يؤسس لوجوده في الشخصية المعرفية للإمام علي (عليه السلام) فهو يرى أن الإمام " كان يقول القول ويرجع عنه " (١) .

وحقيقة أن ابن تيمية لا يتحفظنا عن مثال واحد عن رجوع الإمام (عليه السلام) في الأحكام التي حكم بها بل ان كلامه يدل على كثرة الرجوع عن أحكامه وهذا لم نجد له أثرا في واقع التراث الإسلامي .

ولو تسائلنا عن السبب الذي أدى بابن تيمية أن يورد مثل هكذا ادعاء لوجدنا أن محاولة عرض الخلفاء بإطار التكامل من جهة وأخرى للتغطية على الإخفاق العلمي الذي عرف وشاع عنهم أدى به أن يولج نفسه بمثل هكذا أمر كوننا نجده يشير صراحة إلى إخفاق عمر وحكمه في مسألة واحدة بحكمين مختلفين ، إذ أورد ابن تيمية " أن الناس إنما نقلوا عن عمر في فريضة قضائين قضى في المشركة ... مرة بعدم التشريك ... وقضى في نظيرها في العام الثاني بالتشريك وقال ذلك على ما قضينا وهذا على ما نقضى " (٢) ثم أتبع ذلك بقوله " والمسائل التي لعل فيها قولان وأكثر كثيرة " (٣) .

على أن هدف الدفاع عن الصحابة قد يكون له نصيب من الحقيقة غير أنه لا يمثل الحقيقة كلها ، فكثير من الناس قد اندفعوا نحو الصحابة أبي بكر وعمر وقالوا بأعلميتهم ، غير أنهم لم يجرعوا على ان يروجوا لوجود تناقض علمي لدى الإمام علي (عليه السلام) أو أنهم استباحوا شخصيته بهذه الطريقة بل اعترفوا بأفاقه العلمية التي لا يرقى إليها أحد ، فيا ترى ما هو الدافع الذي جعل ابن تيمية يعيش هذه المفارقة التي تخالف ارباب العلم .

قد ترتبط الإجابة على ذلك بالتعرف على المناهج التي صاغت أفكار ابن تيمية من جهة ، او على البيئة التي ولد فيها ابن تيمية ، أو على عامل نفسي خفي تميز فيه

١ . منهاج السنة ، ١ / ٤٢ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٧٦٥ .

٣ . منهاج السنة ، ٣ / ٧٦٥ .

المنحرفون عن الإمام علي (عليه السلام) حدده الرسول (صلى الله عليه وآله) بقوله: "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" (١) .

إن ما يلاحظ على ما سبق هو ان موقف عمر في مسألة الرجوع عن الفتيا هو الموقف الأصرح والذي راج وشاع في الفقه حتى لا تجد مؤلفا فقهيا لا يتناول مسألة التشريك أو ما يسمى بالمسألة الحمارية (٢) التي استدرك عمر حكمه السابق وابدله بحكم جديد كون من حازه كان أقوى حجة ودليلا (٣) .

بل أن عبيدة السلماني (٤) وهو من كبار الفقهاء قد صرح وبشكل واضح أن عمر بن الخطاب كانت لديه تناقضات أهمها في مسألة الجدة حتى ذكر على لسانه أنه قال " إنني لا

١- احمد بن حنبل ، المسند ، ٩٥/ ١ ، ١٢٨/ ١ ، الترمذي ، ٣٠٦ / ٥ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ٨ / ١١٦ ، ابو يعلى الموصلي ، المسند ، ٢٥١/ ١ ، الطبراني ، المعجم الوسيط ، ٣٣٧/ ٢ ، الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، ١٨٠ ، ابن عبد البر ، الاستذكار ، ٤٤٦ / ٨ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤١٦ / ٨ ، ٤٢٦/ ١٤ ، ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٣٤٩ / ٣٨ ، ٢٧١/ ٢ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٢٦ / ٤ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٨٩ / ٥ ، ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ٤٦٨ / ٤ .

٢- المسألة الحمارية نسبة إلى الحمار : المسألة الحمارية في باب ميراث ذوي الفرائض هي : ماتت امرأة وتركت : زوجها وأمها ، وإخوتها لامها ، وإخوتها لأبيها وأمها ، وسميت بذلك لان عمر حرم ولد الأبوين ، فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حمارا أليست أمنا واحدة ؟ !! ابن قدامه ، المغني ، ٧ / ٢٢ ، ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ١٩ / ٢ ، ابن حجر العسقلاني ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، ٢٩٨ / ٢ ، الفخر الرازي ، المحصول ، ٣٩٠ / ٥ ، الشرييني ، مغني المحتاج ، ١ / ٣٩٧ .

٣- ابن قدامه ، المغني ، ٢٢ / ٧ ، ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز ، ١٩ / ٢ ، ابن حجر العسقلاني ، الدراية ، ٢٩٨ / ٢ ، الفخر الرازي ، المحصول ، ٣٩٠ / ٥ ، الشرييني ، مغني المحتاج ، ١ / ٣٩٧ .

٤ . عبيدة السلماني بن عمرو وقيل : عبيدة بن قيس الكوفي أحد الأئمة وكبار الفقهاء بالكوفة أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله روى عن الإمام علي كان من أهل العلم والقضاء، وكان شريح القاضي إذا اشتد عليه الشيء قال : إن هاهنا رجلا من بني سلمان فيه جرأة فيرسل إلى عبيدة ، مات ٧٢ هـ وقيل ٧٣ هـ ، العجلي ، معرفة النقات ، ٢ / ١٢٤ ، السمعي ، الأنساب ، ٢٧٦ / ٣ ، الذهبي ، الكاشف ، ١ / ٦٩٤ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ١٩ / ٢٧٨ .

حفظ عن عمر في الجد مائة قضية كلها ينقض بعضها بعضاً" (١) ومن ثم هو محاولة من ابن تيمية للتغطية على تقييم عبيدة السلماني وغيره لأحكام عمر من جهة ، ومن جهة أخرى إغفال رأي عبيدة في أحكام عمر فادعى وألصق ذلك الأمر بالإمام علي (عليه السلام) .

لقد استنتج ابن تيمية نتيجة لما قاله من تناقض علمي في شخصية الإمام (عليه السلام) أن انحسر من تبني فقهه ، مما دفع العلماء حسب ابن تيمية إلى أن يؤلفوا كتباً في ذلك التناقض العلمي والمخالف لسنة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، وقد أوردها ابن تيمية بعدة صيغ نذكرها تباعاً :

١- قال ابن تيمية " المسائل التي خالف علي سنة الرسول كثيرة ذكرها الشافعي في كتاب اختلاف علي وعبد الله وذكرها محمد بن نصر في كتاب رفع اليدين في الصلاة" (٢) .

٢ - وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي المسائل التي تركت من قول علي وابن مسعود فبلغت شيئاً كثيراً وكثير منها قد جاءت السنة بخلافه كالمتموفى عنها الحامل فإن مذهب علي رضي الله عنه أنها تعتد أبعد الأجلين وبذلك أفتى أبو السنابل بن بعكك في حياة النبي صلى الله عليه و سلم فلما جاءته سبيعة الأسلمية وذكرت ذلك له قال كذب أبو السنابل بل حللت فانكحي من شئت^(٣) وكان زوجها قد توفي عنها بمكة في حجة الوداع" (٤) .

٣ - وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي كتاباً كثيراً فيما لم يأخذ به المسلمون من قول علي لكون قول غيره من الصحابة أتبع للكتاب والسنة وكان المرجوح من قوله أكثر من

١- البيهقي ، السنن الكبرى ، ٦ / ٢٤٥ ، ابن حجر العسقلاني ، تغليق التعليق ، ٥ / ٢١٩ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١١ / ٥٨ ، المناوي ، فيض القدير ، ١ / ٢٠٥ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٣٧ .

٣ . ينظر : الشافعي ، المسند ، ٢٤٤ ، الرسالة ، ٥٧٥ ، عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ، ٦ / ٤٧٤ ، أحمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٤٧٧ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٧ / ٤٢٩ ، معرفة السنن والآثار ، ٦ / ٤٨ .

٤ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٨٥ .

المرجوح من قول أبي بكر وعمر وعثمان والراجح من أقوالهم أكثر فكيف أنهم كانوا يلتجئون إليه في أكثر الأحكام" (١)

٤- وقد جمع الشافعي في كتاب خلاف علي و عبد الله من أقوال علي التي تركها الناس لمخالفتها النص أو معنى النص جزءا كبيرا وجمع بعده محمد بن نصر المروزي أكثر من ذلك فإنه كان إذا ناظره الكوفيون يحتج بالنصوص فيقولون نحن أخذنا بقول علي وابن مسعود يحتج بالنصوص فيقولون نحن أخذنا بقول علي وابن مسعود فجمع لهم أشياء كثيرة من قول علي وابن مسعود تركوه أو تركه الناس يقول إذا جاز لكم خلافهما في تلك المسائل لقيام الحجة على خلافهما" (٢) .

٥ - وقد جمع الشافعي من ذلك كتابا فيه خلاف علي وابن مسعود لما كان أهل العراق يناظرونه في المسألة فيقولون قال علي وابن مسعود ويحتجون بقولهما فجمع الشافعي كتابا ذكر فيه ما تركوه من قول علي وابن مسعود وجمع بعده محمد بن نصر المروزي كتابا أكبر من ذلك بكثير ذكره في مسألة رفع اليدين في الصلاة لما احتج عليه فيها بقول ابن مسعود" (٣) .

والحقيقة أننا في موقف ينبغي فيه ملاحظة عدة أمور أهمها موضوع الكتاب الذي ألفه الشافعي و تابعه عليه محمد بن نصر المروزي ، فهل يا ترى هو إحصاء وجرّد للمسائل التي خالف فيها الإمام (عليه السلام) وابن مسعود السنة والنصوص الشرعية ، أم ان موضوعه يتعلق بالمسائل التي تركها المسلمون من أحكام الإمام (عليه السلام) ، أولا هي المسائل التي خالف أهل الكوفة فيها الإمام (عليه السلام) وابن مسعود وأن الشافعي و المروزي ونظرا لمعرفتهم بتبني أهل الكوفة لفقهِ الإمام أراد أن يعرفهم ما خالفوا به الإمام (عليه السلام) من المسائل وذلك من باب ألزومهم بما ألزموا به أنفسهم ، أو ان موضوعه ومحتواه شيء آخر .

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٥٤٣ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٥٥٣ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٤٠ . ٤٣ .

ويبدو أن ابن تيمية قد فقد الأمانة العلمية في هذا العرض ، إذ من المؤسف أن نجده يموه على حقيقة الموضوع ويستغله استغلالاً يتمشى مع ما يلائم مبتغاه ورؤيته ، وفي المقابل يؤدي ذلك إلى إسقاطه في تناقضات و اختلافات ، فهو لم يحسم أمره في موضوع ذلك الكتاب فتارة يكون مخالقات الإمام (عليه السلام) وابن مسعود للسنة ، وأخرى ما تركه الناس أو المسلمون من مسائل الإمام وابن مسعود ، وهذا كله في جانب وحقيقة موضوع الكتاب في جانب آخر ، فهو قد ادعى أن الشافعي قد ألف كتاباً في هذه المواضيع غير المحسومة عنده ثم تابعه المروزي على ذلك ، في حين ينبغي التفرقة بين ما يخص الشافعي والمروزي ، إذ ذكر البيهقي أن هناك مجموعة من المسائل أوردها الشافعي واحتج بها على العراقيين وذلك تعريفاً منه لخلافهم للإمام وعبد الله بن مسعود كمسألة تقبيل الصائم والميراث والزنى والمرأة المتوفى عنها زوجها ومسائل أخرى أشار إليها البيهقي في كتابه معرفة السنن والآثار (١) وهو ليس مختص بتناقضات الإمام (عليه السلام) في الأحكام ومخالفة السنة .

ثم إن ما وجدناه عن الكتاب المزعوم لمحمد بن نصر المروزي يختلف اختلافاً جذرياً لما روج له ابن تيمية وادعاه ، إذ صرح البعض أن للمروزي كتاب ألفه في مخالقات أبو حنيفة للإمام علي (عليه السلام) وابن مسعود (٢) ، وليس له أدنى علاقة في مخالفة الإمام للنصوص الشرعية .

وبالتالي فإن حصيلة هذين المؤلفين لا تعدو أن تخرج مواضيعهما عن المخالقات التي وقعت فيها الأمة نتيجة لتركها أحكام الإمام علي (عليه السلام) ولا تتدرج تحت مخالقات الإمام للسنة والتي عبر عنها ابن تيمية بأنها كثيرة ، فشتان ما بين مخالفة النصوص الشرعية ، وبين ما خالفته أو تركته الأمة من أحكام الإمام ، إذ إن هذا الأمر يعد منقصة على الأمة لا على الإمام (عليه السلام) لذا كان على ابن تيمية أن ينتقد الأمة ويوجه أشد الانتقادات كونها قد خالفت باب علم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعلم الناس بعد

١. ٢ / ٣٢٩ ، ٢ / ٣٥١ ، ٢ / ٥٢٣ ، ٣ / ٣٨٤ ، ٥ / ٦٥ ، ٥ / ٢٧٩ ، ٥ / ٤٧٦ .

٢. ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٥٦ / ١١٠ ، الذهبی ، سير اعلام النبلاء ، ١٤ / ٣٨ .

رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا سيما وأن ابن تيمية وضع مقياس للفقهاء الذي ينتمي إليه ومن ثم فإن تناقض هذا الفقه مع أحكام الإمام (عليه السلام) عدّه مخالفات للإمام (عليه السلام نفسه) ، لأنه . أي ابن تيمية . أراد من الإمام (عليه السلام) أن يتبع سنة عمر بن الخطاب وإلا فهو مخالف (للسنة) !! .

الفصل الثالث

فلسفة التعامل مع الشخصية العسكرية للإمام علي (عليه السلام)

أخذ التعامل مع الجانب العسكري من شخصية الإمام علي (عليه السلام) جانباً مهماً من مناقشات الباحثين من فقهاء ومؤرخين وغيرهم ، حتى عدت شخصيته (سلام الله عليه) شخصية قد فاقت كل الشخصيات باستثناء شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فالمكانة الجهادية للإمام في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يضاهيها أحد ولا يمكن حصرها ، كون كل وجوده الشريف جهاد ودفاع عن الإسلام .

ولم يشك أحد أن علياً (عليه السلام) كان أتقى وأبر من أن يريق محجمة دم بغير حق أو غضباً لنفسه ، لذا صححوا حروبه الثلاث مستندين تارة على تقواه ، وأخرى على اختصاص النبي (صلى الله عليه وآله) له بقتال الناكثين والقاسطين و المارقين ، وهذا ما سيأخذ حيزاً واسعاً من هذا الفصل .

لكن ما يلفت الانتباه في هذا الجانب هو الموقف المنتسج الطاعن و الرؤية الضبابية والمنهج الإقصائي الذي سار عليه ابن تيمية والذي وجهه لمكانة و مشروعية جهاد الإمام علي (عليه السلام) وأثره العسكري ، لذا سنحاول التعرف على الكيفية التي تعرض ابن تيمية من خلالها لجهاد الإمام (عليه السلام) ومكانته.

أ - مكانة الشخصية الجهادية للإمام علي (عليه السلام) حتى وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)

أولاً : المبيت على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) .

قلنا أن الحركة الجهادية للإمام علي (عليه السلام) برزت مع بدايات الدعوة الإسلامية ، إذ تجلت للأنظار أولى تلك الحركات في ليلة الهجرة ، فقد عد مبيت الإمام (عليه السلام) على فراشه (صلى الله عليه وآله) من الحوادث التي ميزت التاريخ الإسلامي وصبغته بصبغة الوفاء والإيثار والفاء إذ رأى الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يكمل مهمة الدفاع عن الإسلام

المتمثل بشخصه الشريف في هذه الليلة إلى الإمام علي (عليه السلام) ، وذلك بتركه في منامه ويخرج هو مهاجراً إلى المدينة ، فعلاً نفذت هذه المهمة بأكمل وجه^(١) .

ولنحاول أن نستعرض الرؤية الكلية لهذا الأمر لبيان أهميته وموقف ابن تيمية في التعامل معه .

أجمعت المصادر الإسلامية من كتب تاريخ و فقه وتفسير وأدب ولغة أن الرسول قد تلقى الأمر من الله سبحانه وتعالى بالخروج من مكة بعد أن فقد الدعامة الدفاعية التي كان يستند إليها في دعوته وذلك على إثر وفاة أبي طالب والسيدة خديجة (رضوان الله عليهما) فقرر الخروج تاركاً أخيه وابن عمه في فراشه بعد أن أخبر أن قريش تعد العدة لقتله ، واستطاع النبي (صلى الله عليه وآله) أن يخرج بعد أن حوصرت داره إذ أعمى الله أبصار المشركين عنه ، فلما أصبح الصباح هرعوا إلى فراشه كي يجهزوا عليه غير أنهم تفاجئوا بوجود أمير المؤمنين عليه السلام في فراشه^(٢) ، وفي طريق الرسول (صلى الله عليه وآله) نزل عليه الوحي شاكراً لأمير المؤمنين ذلك الفداء مبلغاً قوله تعالى " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ " (٣) .

ولكن شد ابن تيمية في تعامله مع هذه الميزة الجهادية للإمام علي (عليه السلام) معلقاً عليها بما نصه " المطالبة بصحة هذا النقل ومجرد نقل الثعلبي وأمثاله لذلك بل روايتهم ، ليس بحجة باتفاق طوائف أهل السنة و الشيعة لان هذا مرسل متأجر ، و لم يذكر إسناده ، وفي نقله من هذا الجنس للإسرائيليات والإسلاميات أمور يُعلم أنها باطلة و أن كان هو لم يتعمد الكذب... إن هذا الذي نقله من هذا الوجه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث و السيرة و

١ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢ / ٢٩١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٢١٢ ، أحمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٣٤٨ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢ / ٥٢٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٩٩ - ١٠١ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٣ / ٢٩٠ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٣ / ١٩١ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٤٢ .

٢ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢ / ٢٩١ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ١ / ٢٢ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢ / ٥٢٩ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٣ / ١٩١ .

٣ . سورة البقرة ، الآية ٢٠٧ .

المرجع إليهم في هذا الباب" (١)، و" الوقاية لو كانت صحيحة فغير واحد من الصحابة قد وقى النبي بنفسه" (٢).

إذا أمعنا النظر في السطور السابقة وجدنا أن ابن تيمية لغرض الطعن بهذه الحادثة ذهب إلى الطعن بالثعلبي وعدم حجية النقل عنه و أن ذلك من الأمور المتفق عليها بين طوائف المسلمين ، وان نقله من جنس نقل الإسرائيليات الباطلة في محاولة لخلق رؤية تشكيكية وهي رؤية سائدة في فلسفة ابن تيمية في تعامله مع حادثة المبيت في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) ، وذلك عن طريق التشكيك بصحة النقل وصحة الحادثة بشكل تام ، وتأكيد على اتفاق أهل العلم على تكذيب نقل الرواية بهذا الوجه .

وقبل أن نجيب على ذلك ننقل نص الرواية التي نقلها الثعلبي بخصوص هذا الموضوع والتي شكك فيها ابن تيمية :

قال الثعلبي : " ورأيت في الكتب إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الهجرة خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديونه ورد الودائع التي كانت عنده فأمره ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه صلى الله عليه وسلم وقال له : (اتشح ببردي الحضرمي الأخضر ، ونم على فراشي ، فإنه لا يخلص إليك منهم مكرهه إن شاء الله ، ففعل ذلك علي ، فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالبقاء والحياة ؟ فاختر كلاهما الحياة فأوحى الله تعالى إليهما : أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يفديه نفسه ويؤثره بالحياة ، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه ، فنزلا فكان جبرئيل عند رأس علي وميكائيل عند رجليه ، وجبرئيل ينادي : بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب ، وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ " (٣)، قال ابن عباس : نزلت في علي بن أبي طالب حين هرب النبي صلى الله عليه وسلم من

١ . منهاج السنة ، ٤ / ١٣٠ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ١٣٠ .

٣ . سورة البقرة ، الآية ٢٠٧ .

المشركين إلى الغار مع أبي بكر الصديق ونام علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم
 (١).

فالثعلبي يؤكد هنا أنه قد رأى هذه الرواية في الكتب مما يدل على وجود جذر معرفي نقل عنه ولم يكن النقل منقطعاً أو من وحي خياله ، كما انه يدل على تعدد المصادر التي نقلت هذه الرواية وإلا لما قال "ورأيت في الكتب" وهو يعارض كلام ابن تيمية الذي نقض الرواية بمجملها و اعتبر تلك الحادثة من الحوادث العابرة التي ليس لها مكانه أو قيمة أو وجود في التراث الإسلامي .

فقد عد ابن تيمية هذه الرواية من هذا الوجه من الروايات المرسلة المعدومة السند التي انحصر وجودها برواية الثعلبي المجمع على عدم حجية روايته والتي يجمع على كذبها أهل العلم بالحديث و السيرة و المرجع إليهم في هذا الباب ، ولكن هل يصمد كلام ابن تيمية هذا بخصوص الرواية وراويها ، أما فيما يخص القيمة العلمية للثعلبي فهي واضحة في المصادر الإسلامية ، ونقتصر هنا على نماذج من الأوصاف التي نعت بها فهو (الإمام الحافظ العلامة ، شيخ التفسير ، أحد أوعية العلم ، كان صادقاً موثقاً ، بصيراً بالعربية ، طويل الباع في الوعظ، الرجل الصالح ، أوحده زمانه في علم القرآن والتفسير عالماً بارعاً في العربية حافظاً موثقاً ، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير ، صحيح النقل موثوق به ، إماماً في اللغة والنحو ، (٢) .

هذه أهم الصفات العلمية لهذا الرجل غير أن ابن تيمية طعن فيه وجرحه وعده مرسل متأجر لا لشيء إلا لأنه قد ذكر مبيت الإمام علي فراش النبي بتفاصيل لا تروق لابن تيمية ، ومن ثم فهو يستخدم آلية التجريح في رواة مناقب الإمام علي (عليه السلام) وفضائله كون ما يأتون به لا يتناغم مع مبتغاه .

١ . تفسير الثعلبي ، ١٢٦/٢ .

٢ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٦١/١ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٧ / ٤٣٧ ، السيوطي ، طبقات المفسرين ، ١ / ١٧ ، السبكي ، طبقات الشافعية ، ٥٨/٤ ، السيوطي ، طبقات المفسرين ، ٦٥/١ .

والشيء الآخر ادعى أن أهل العلم بالحديث و السيرة و المرجع إليهم في هذا الباب يكذبون هذه الرواية ، مع أن الواقع يشير إلى عكس مدعاه فبعد أن عرفنا مكانة الثعلبي العلمية نقض ذلك الأمر أو على الأقل قلة قيمة كلام ابن تيمية بخصوصه ، كما انه في الحقيقة لم يعتمد إلى ذكر ولو أسم واحد من أهل العلم الذين ادعى إجماعهم ولكن لغرض إكساب ذلك الإدعاء أكبر قدر من القوة عمد إلى التكذيب على أهل العلم .

ولا نراه إلا وهو يسعى جاهدا في التعمية على المتلقين كي يوهمهم بأن لا وجود لإسناد ولا وجود لمصادر تذكر هذه الرواية بالنص المتقدم، ولكننا نلاحظ أن الحاكم الحسكاني يذكر هذه الرواية بنصها وسندها دون أن ينقص منها شيء (١) .

على أن دعوى ابن تيمية بعدم وجود مصادر أخرى ذكرت هذه الحادثة ما هي إلا دعوى باطلة وكاذبة إذ هناك العديد من المصادر قد صرح بذكرها ولكن تماشياً مع ابن تيمية حصرتنا النقاش في التأكيد على رواية الثعلبي (٢) .

ولأن ابن تيمية لا يروق له أن تكون هذه الجنبه الجهادية مسطورة في تاريخ أمير المؤمنين نجده لا يكتف بالطعن والتشكيك بصحتها بل يحاول بكل ما أوتي من فكر أن يلتف عليها ويصورها إن اقتنع بوجودها بأنها من الأمور التي لا تحمل أي مكانة أو ثقلا في ميزان التفاضل الجهادي عند الله سبحانه وتعالى فينصب نفسه مترصدا لها حاكما عليها ، ليسحب تصوره عليها ويضعف من مكانته (سلام الله عليه) ، وذلك بعدة أمور أهمها :

(١) لا يوجد في المبيت فداء بالنفس ولا إيثار بالحياة ، وإذا سلم بأن هذا فداء فغير علي من الصحابة قد فدى النبي في مواطن الحروب ، ولو قدر هذا لكان من الفضائل المشتركة ، وان الذي كان يفديه في هذه الحادثة هو أبو بكر إذ كان يذكر الطلب فيكون خلفه ويذكر الرصد فيكون أمامه.... (٣)

١ . شواهد التنزيل ، ١/ ١٢٣ .

٢ . أحمد بن حنبل ، المسند ، ١/ ٣٤٨ ، الطبري ، التفسير ، ٩/ ٣٠١ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ١١/ ٣٢٢ .

٣ . منهاج السنة ، ٤/ ١٣٠ .

٢) لم يكن هناك خوف على علي إذ لم يتعرضوا له ، ولم ينقل أن علياً أُوذي في ميّته على الفراش، وهناك من أُوذي في فدائه للرسول (صلى الله عليه وآله) ومن فداه وأُوذي أعظم ممن فداه ولم يؤذ ، وان كل ما فعله المشركون أنهم سئلوا علياً فأخبرهم بأن لا علم له بالنبى (صلى الله عليه وآله) (١).

٣) كان ترك علي في البيت لأجل التمويه و أن مطلوب المشركين هو النبي (صلى الله عليه وآله) و أبي بكر لذا عمدوا إلى إعطاء دياتهم لمن ظفر بهما (٢) .

٤) إن علياً كان مطمئناً بأنهم لن يصلوا إليه وذلك لقول الرسول (صلى الله عليه وآله): "انتشح ببردي هذا الأخضر فم فيه فانه لن يخلص إليك منهم رجل بشيء تكرهه فوعده و هو الصادق انه لا يخلص إليه مكروه و كان طمأنينته بوعده الرسول صلى الله عليه و سلم" (٣)

إن حقيقة ما صوره القرآن عن هذه الليلة هو ما جاء في قوله سبحانه وتعالى : "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِيَنَّكَ أَوْ يُقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (٤) فالآية قد صورت لنا الجو المحيط بالرسول (صلى الله عليه وآله) لذا جاء الوحي أمراً له (صلى الله عليه وآله) بأن يخرج ولكي يؤمن خروجه عليه أن يأمر الإمام بالبيات على الفراش لأنه لم يجد من بديل لهذا الإجراء ، ولو كان هناك أمر يمكن أن يدفع به الضرر عن رسول الله غير هذا الإجراء لتوجب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) الإقدام عليه كي لا يلقي أخيه وابن عمه في هذا الموقف الذي لا تحمد عقباه ، ولكن انحصرت الأمور بأن يقدم علياً لهذه المهمة ، هذا جانب ومن الجانب الآخر إن هناك من العلماء من وصف ميّته الإمام في فراش النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه مكر الله في قبالة مكر الكافرين (٥) دلالة

١ . منهاج السنة ، ٤/ ١٣٠

٢ . منهاج السنة ، ٤/ ١٣٠ .

٣ . منهاج السنة ، ٤/ ١٣٠ .

٤ - سورة الأنفال ، الآية : ٣٠ ، وينظر : الطبري ، التفسير ، ٩ / ٣٠٠ ، ٩ / ٣٠٢ ، ابن أبي حاتم الرازي ،

التفسير ، ٥ / ١٦٧٨ ، الزمخشري ، الكشاف ، ٣ / ٣٠٣ .

٥ . أبو جعفر الإسكافي ، المعيار والموازنة ، ١٨٦ .

على القيمة الجهادية لهذه الحادثة على عكس ما ذهب إليه ابن تيمية من تضعيف لمكانة ذلك الأمر .

لقد صور ابن تيمية حادثة المبيت على الفراش ما هي إلا نزهة وقعت في ليلة اعتيادية كان عليا مختاراً لها ، ولم يكن هناك من خوف عليه ، ولم يحصل له أي إيذاء ، بل إن هذا الفداء لا يرتقي إلى فداء الصحابة في العصر الإسلامي فيما بعد ففداء علياً لم يحصل معه إيذاء في حين هناك من الصحابة من فدى وأوذى بل وقتل وكان ذلك لم يحصل لعلي .

ولكن المصادر الإسلامية المعتبرة تخالف طروحات ابن تيمية ورؤيته وترى أن علياً قد شرى نفسه لله وأنه قد تحمل عناء وألماً شديداً لم يكن يتحمله إلا هو أو النبي ، فقد روي عن إمام الحنابلة أحمد بن حنبل قوله : " شرى علي نفسه لبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضور قد لف رأسه في الثوب لا يخرج حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا انك للئيم كان صاحبك نراميه فلا يتضور وأنت تتضور وقد استكرنا ذلك" ^(١) ، وقد قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ^(٢) ، وشرى هنا تعني باع ومعناه أن عليا كان موطن نفسه على الفداء هذا شيء .

والشيء الآخر هو أن عليا لم يكن بمعزل عن فداء الصحابة و دفاعهم عن الإسلام مع الرسول حتى يحتج ابن تيمية بذلك بل يمكننا القول أن عليا كان هو صاحب الباع الأعظم وقطب الرحى الذي حسمت به المعارك فما من وقعة من وقعات المسلمين إلا ولعلي النصيب الأكبر فيها .

كما إن الجهاد الحقيقي لا يقاس بعدد الجراحة أو حتى القتل ، وإنما تقاس القيمة الجهادية بمقدار الإخلاص ، إذ لو كان كل مقتول من المسلمين أعظم أجراً من غيره من المجاهدين لكان كل من أستشهد في ساحة المعركة أعظم من النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا لم يقله أحد من المسلمين .

١. المسند ، ١/٣٣١ .

٢. المستدرک ، ٣/٤ .

وبالتالي فالقيمة الجهادية تكون بتماس مباشر مع الإخلاص ،بل إننا نؤكد أن مبيت الإمام علي (عليه السلام) على فراش النبي هو فضيلة جهادية لم يشارك فيها في حين أنه قد شارك الآخريين في المناسبات الجهادية الأخرى.

كما إن مسألة الطمأنينة الحاصلة بالانتشاح ببرد الرسول (صلى الله عليه وآله) وإن كان له قيمة إلا أنه لا ينبغي أن يعطى كل القيمة بمعزل عن الشخصية المحورية في هذا الحدث ألا وهي شخصية الإمام علي (عليه السلام) ،ولو كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يدرك أن للبرد خاصية الوقاية بمعزل عن مبيت الإمام علي (عليه السلام) في مكانه للبيه هو (صلى الله عليه وآله) وهاجر دون ان يترك عليا في الفراش .

إن ما أراد ابن تيمية أن يوهم به الآخريين من أن أي أذى لن يحصل للإمام (عليه السلام) كلام لم يرد في قول الرسول (صلى الله عليه وآله) بل أنه قال "لا يصلون إليك" وقد يعني أن الرسول (صلى الله عليه وآله) عنى بأنه لن يقتل ولم يقل بأنه لن يؤذى والرواية تؤيد هذا المعنى، وفي الحقيقة نستغرب من تركيز ابن تيمية على مكانة البرد في حماية الإمام وتشويهه وطعنه وتضعيفه لمكانة مبيت الإمام وحفظه للنبي (صلى الله عليه وآله) .

ثم أن ابن تيمية لم يستسغ الرواية في مقطعها القائل بنزول جبرائيل وميكائيل لحماية الإمام فشرع برد ما جاء فيها من كلام الله سبحانه وتعالى مع جبرئيل و ميكائيل وذلك لتضعيف تلك المكانة من خلال طرحه مجموعة من الأمور منها:

- ١) الطعن بالمؤاخاة التي حدثت بين جبرائيل و ميكائيل^(١) .
- ٢) عدم جوع الملائكة حتى يؤثر صاحبه بالطعام^(٢) .
- ٣) عدم وجود خوف فيؤثر أحدهما صاحبه بالأمن^(٣) .
- ٤) لا أصلاً للمؤاخاة بين الملائكة بل جبريل له عمل يختص به دون ميكائيل و ميكائيل له عمل يختص به دون جبريل^(٤) .

١ . منهاج السنة ، ٤ / ١٣٢ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ١٣٢ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ١٣٢ .

٤ . منهاج السنة ، ٤ / ١٣٢ .

٥) كيف يليق بحكمة الله و رحمته أن يحرش بينهما و يلقى بينهما العداوة^(١) .
 ٦) كما أن هبوط جبريل و ميكائيل لحفظ واحد من الناس من اعظم المنكرات فان الله يحفظ من شاء من خلقه دون هذا و إنما روي هبوطهما يوم بدر للقتال وفي مثل تلك الأمور العظام و لو نزلوا لحفظ واحد من الناس لنزلاً لحفظ النبي صلى الله عليه و سلم و صديقه اللذين كان الأعداء يطلبانها من كل وجه و قد بذلوا في كل واحد منهما ديتة و هم عليهما غلاظ شداد سود الأكباد^(٢) .

هذه أهم المباني التي اعتمدها ابن تيمية للطعن بهذا الجزء من الرواية لغرض هد الرواية من جميع أركانها وإزاحة أي قيمة لها في ميزان الفضائل ،وسد الباب أمام أي شخص يحاول أن يجعل منها رواية داله على مكانة الإمام علي وأفضليته في قيادة الأمة فيما بعد.

وفي مورد الإجابة نتساءل على ماذا اعتمد ابن تيمية في إبطال ما جاء في هذا الجزء من الرواية ،فنحن قد نقلنا إسناد هذه الرواية ، والقيمة العلمية لراويها ،كما إن ابن تيمية لم يقدم لا دليلاً نقلياً ولا علمياً يرد به الرواية وإن كل ما صدر بحقها هو من وحي خياله الذي لا يكاد يعرف الاتزان و التمييز أمام أي منقبة للإمام علي ويحاول الطعن بسندها إن استطاع وإن لم يستطع عمد إلى تأويلها فإن لم يجد ما يشفي غيظه عمد إلى تسطير الكلمات لغرض إيهام المتلقي وإبعاده عن الحقيقة، وهذا ما يحدث هنا فعلاً ، لكن وعلى الرغم من ذلك نجد المفارقات وخلق الزيادات على هذه الرواية وتقويلها مالم تقله وتحميلها مالا تحتمل ، فالرواية لم تقل بجوع الملائكة أو خوفهم حتى يرد ابن تيمية بأن الملائكة لا تجوع ولا تخاف لذا لا يوجد إثارة ، كما ان المؤاخاة المقصودة في الرواية ليست من جنس المزوجة بين أعمال جبرئيل وميكائيل حتى يذهب ابن تيمية إلى تعداد مهام جبرئيل وميكائيل وأن هذا له الوحي و النصر وذاك له الرزق و المطر، كما أن ابن تيمية حين اعتبر ذلك الأمر يؤدي إلى التحارش والعداوة، فهل سأل نفسه عن طبيعة وخصائص الملائكة وهل هي من جنس

١ . منهاج السنة ، ٤ / ١٣٢ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ١٣٢ .

البشر حتى يقع بينها التحارش والعداوة أم أنها خلق خاص له مواصفات التي تختلف جملة وتفصيلاً عن صفات البشر .

إن ابن تيمية قد راح بعيداً في نقده ونقضه لهذه الرواية وكان المفروض به أن يتوقف قليلاً ليفهم أن كل الذي جاء عن جبرئيل وميكائيل هو إخضاع لاختبار كان المبتغى منه إعلامهما وغيرهما أن هناك أشخاص لديهم من الإيثار والفداء ما لا تصله حتى الملائكة المقربون ، فالبشر قد يصبحون أفضل من الملائكة في حالات كثيرة والتي لا يشك أحد أن من أهم تلك الحالات هي مسألة توطين النفس وبيعها في سبيل الله ، وحقيقة أن ابن تيمية لم يكن غافلاً عما ذكرناه ولكنه يحاول أن يتوسل بشتى الأمور . حتى لو كان يعلم بسهولة ردها - لكي لا يبقى هذه المنقبة وغيرها للإمام والإفان تيمية ليس بجاهل بحقيقة الملائكة والمقصود من مؤاخذتهم ونزولهم إلى الدنيا .

إن النتيجة التي يمكن الوصول إليها من حادثة المبيت هي

١. أن الوحي الإلهي لم يكن بمعزل عن هذه الحادثة بل نرى الآيات القرآنية تصرح بمكانتها المرموقة والسامية عند الله سبحانه وتعالى ، ومع ذلك ينقضها ابن تيمية .
٢. أن المصادر مجمعة على حدوث ذلك الأمر ولا يستطيع أحد أن يمر على ليلة الهجرة إلا و يذكر مبيت الإمام على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) ويستذكر فيه منابع الفداء والإيثار.
٣. لم يشك أحد أن هذا من فضائل الإمام التي ميزته عن غيره من المسلمين في تلك المدة ، بل وما بعدها أيضاً .
٤. ولكن ابن تيمية استخدم آلية تغييب العقل والحجة المنطقية السليمة في الرد على تلك الحادثة وذلك لغرض تضييق مكانة الإمام الجهادية .

ثانياً : شجاعة الإمام علي (عليه السلام)

قبل الولوج في مكانة الإمام وإمكانياته الجهادية سلط ابن تيمية الضوء على شجاعة الإمام وقيمتها والنتائج المترتبة عليها^(١) .

إن أول ما بدء ابن تيمية بتوهيم الناس بأنه يمتدح شجاعة الإمام علي (عليه السلام) فهو من شجعان الصحابة وممن نصر الله بهم الإسلام^(٢) ، ولكن ابن تيمية لا يوافق على كلام ابن المطهر من أن الإمام علي (عليه السلام) كان أشجع فيرد على ذلك بقوله "هذا كذب" ، معللاً ذلك بأن الرسول كان هو الأول في هذا الجانب^(٣) .

وحقيقة إن هذا تغافل من ابن تيمية عن المعنى الحقيقي لابن المطهر في مقصوده من أن علياً أشجع من الصحابة وليس من الرسول (صلى الله عليه وآله) فابن المطهر لم يكن بعيداً عن رأي الإمام في شجاعة النبي وأنه إذا ما أشدت القتال لاذو برسول الله^(٤) ، أضف إلى ذلك أن ما وجدناه في تراث ابن المطهر يؤيد مقصوده من أن علياً أشجع من الصحابة ، إذ يقول : " وقد أجمع الناس كافة على أن عليا عليه السلام كان أشجع الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله " ^(٥) هذا فيه رد كاف على ابن تيمية .

ولنتساءل هل إن رده لذلك كان بداعي الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله) ومكانته ، أم هو رد للنتيجة التي توصل إليها ابن المطهر أم كان لغاية في نفس ابن تيمية ، يمكن معرفة ذلك من خلال التعرف على رأي ابن تيمية فيمن يخلف النبي في المرتبة الثانية على سلم الشجاعة ، علياً أم غيره وما رتبته ابن تيمية على ذلك ؟.

١ . جاء ذلك في معرض رده على ابن المطهر حين قال " أنه كان أشجع الناس وبسيفه ثبتت قواعد الإسلام وتشيدت أركان الإيمان ما انهزم في مواطن قط ولا ضرب بسيف إلا قط طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم " منهاج الكرامة ، ١٦٤ .

٢ . منهاج السنة ، ٤/٢٦٤ .

٣ . منهاج السنة ، ٤/٢٦٤ .

٤ . أحمد بن حنبل ، المسند ، ٢/٢٢٨ .

٥ . نهج الحق ، ٢٤٤ .

عند استعراض رأي ابن تيمية نجد أن علياً لا يحتل إلا مرتبة متأخرة في سلم تصنيف الشجعان التيمي " فلا ريب أن أبا بكر أشجع من عمر وعمر أشجع من عثمان وعلي وطلحة والزبير وهذا يعرفه من يعرف سيرتهم وأخبارهم "(١).

ولكن على ماذا اعتمد ابن تيمية في تضعيفه هذا ، وما هي المؤهلات والمقومات التي جعلت أبا بكر يحتل مركز الصدارة في ذلك السلم في حين تأخر علياً كثيراً؟!، يوجد في ذلك مسلكان سلكتهما ابن تيمية :

(١) محاولة ابن تيمية استعراض أقسام الشجاعة .

(٢) الاتكاء على أحداث تاريخية يعتقد أنها من أدل الأدلة على شجاعة أبي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة .

في ما يخص النقطة الأولى قسم ابن تيمية الشجاعة إلى :

- شجاعة بدنية :وهي التي تعني أن شدة القتال ناتجة عن القوة البدنية التي يحملها المقاتل فيقتل بها كثيراً ، وليس بالضرورة أن يكون صاحب هذه المواصفات قوي القلب وقد يصاب صاحب القوة البدنية بالخوف والجبن وانخلاع القلب ، وإن ضعف قلب صاحب الشجاعة البدنية يؤدي إلى ذله وعدم إقدامه^(٢).

- شجاعة قلبية وتعني "قوة القلب وثباته عند المخاوف" واعتبر أن هذه هي الشجاعة وصاحبها حتى لو لم يقتل كثيراً لكنه ثابتاً في المخاوف مقدماً على المكاره ، كما أن هذه الشجاعة تتعلق بأمرء الحروب وقوادها "فإن المقدم إذا كان شجاع القلب ثابتاً أقدم وثبت ولم ينهزم فقاتل معه أعوانه وإذا كان جباناً ضعيف القلب ذل ولم يقدم ولم يثبت ولو كان قوي البدن"^(٣) ، ويؤكد ابن تيمية على أن هذه الشجاعة هي الشجاعة المطلوبة في الأئمة وهي "لم تكن في

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٢٧ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٢٧ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٣٠ .

أحد بعد رسول الله أكمل منها في أبي بكر^(١)، كما أن شجاعة أبي بكر هذه كانت معززة بشجاعة دينية قائمة على قوة اليقين بالله عز وجل والثقة بنصره للمؤمنين وهي " لا تحصل لكل من كان قوي القلب لكن هذه تزيد بزيادة الإيمان واليقين وتنقص بنقص ذلك فمتى تيقن أنه يغلب عدوه كان إقدامه بخلاف إقدام من لم يكن كذلك وهذا كان من أعظم أسباب شجاعة المسلمين وإقدامهم على عدوهم"^(٢) فأبو بكر كان أشجع من عمر وعمر أشجع من عثمان وعلي وغيرهم بهذه الأمور .

حدد ابن تيمية في ما سبق ما يأتي :

- إن الشجاعة شجاعة القلب وأما قوة البدن فليست شجاعة ، وبالتالي إن من وجدت فيه قوة القلب كان هو الشجاع .

- إن شجاعة القلب هي الشجاعة المطلوبة في الأئمة ، فمن كان صاحب شجاعة قلبية هو الأحق بتولي منصب الإمامة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وقد اعتقد ابن تيمية بوجودها في أبي بكر لذا استدل بها على إمامته وإمامة عمر .

- إن علياً لم يكن يتمتع بها كونه كان يتمتع بقوة بدنية بمعزل عن القوة القلبية وهذه موجودة عند كثير من الصحابة فهي غير مؤهلة لعلي لتولي منصب الإمامة ، وبالتالي فقد اعتبر إن هذه الرؤية الكلية للشجاعة كافية للرد على ابن المطهر الذي جعل شجاعة الإمام من ضمن الأدلة على إمامته .

ولكن كيف استدل على شجاعة أبي بكر القلبية التي رجحته على غيره في تولي الخلافة، وما موقفه إذا لم يثبت ذلك التظهير لأبي بكر وثبت لغيره فهل يقر له بصحة الإمامة والخلافة للرسول (صلى الله عليه وآله)، وفي المقابل كيف استدل على عدم شجاعة الإمام علي (عليه السلام) القلبية.

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٣٠ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٢٧ .

يرى ابن تيمية أن هناك مجموعة من الأحداث التي دلت على شجاعة أبي بكر القلبية نحاول تلخيصها بما يأتي

١. إيراده للرواية التي تقول إن أشد ما لقي النبي من قومه هو ما قام به عقبة بن أبي معيط حين وضع الرداء في عنق النبي الأكرم وخنقه خنقاً شديداً وهو يصلي ، فعمد أبو بكر إلى دفعه وهو يقول : " أَنْقُلُونِ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ" (١) وقد صرح ابن تيمية أن هذا موجود في الصحيحين عن رواية عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمر بن العاص (٢).

إن أهم ما يمكن طرحه على هذا الرواية هو الآتي :

- إن هذه الآية خاصة بقصة مؤمن آل فرعون ودفاعه عن موسى بعدما أراد فرعون قتله وليس لها علاقة بالرسول (صلى الله عليه وآله) ولا دفاع أبي بكر عنه ، فابن تيمية قد اعتمد التغافل عن الآية بتمامها وأورد ما يمكن أن ينتفع به كي يدل على شجاعة أبي بكر القلبية ، فنص الآية وما قبلها لا ينم لامن قريب ولا بعيد على ذكر أبي بكر فضلا عن شجاعته القلبية (٣) .

١ . سورة غافر، الآية : ٢٨ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٣١ .

٣ - سورة غافر ، الآية : ٢٣ . ٢٨ " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ

فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا

كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ

يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ * وَقَالَ مُوسَى إِنَّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ *

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ

- هل يستطيع ابن تيمية أن يحدد لنا ما الشجاعة المستخدمة هنا هل شجاعة البدن ؟ أم شجاعة القلب ؟ فالظاهر استخدامه للبدن في الدفاع عن الرسول وهو عكس ما ذهب إليه ابن تيمية من إن شجاعة البدن ليست ذات قيمة في الجهاد والدفاع ، كما أن شجاعة البدن هنا أظهر من شجاعة القلب ، وهو رد على اختصاص أبي بكر بالشجاعة القلبية .

- لقد كال ابن تيمية بمكيالين وميز تميزاً كبيراً بين الإمام وبين أبي بكر فبينما اعتبر دفع الخنق عن رسول الله من الشجاعة الكبرى التي ميزت أبو بكر ، نراه يعتبر مبيت الإمام في فراش الرسول وتحمله ما تحمل من الأمور البسيطة التي ليس فيها فداء ، وهذا ضرب للمنهج العلمي إن كان هناك منهج علمي يسير عليه .

- إن ابن تيمية كثيراً ما اهتم بصحة الإسناد وطالب بأحوال الرواة ووثافتهم وهذا ما لا نجده هنا ، وعند رجوعنا للمصادر نجد أن في سند هذه الرواية ، محمد بن يزيد الكوفي ، قال عنه الرازي : "سمعت أبي يقول : هو مجهول لا أعرفه" (١) .

- إن ابن تيمية ادعى وجودها في الصحيحين (مسلم والبخاري) وهي في الحقيقة موجودة في صحيح البخاري فقط مروية عن عروة ابن الزبير الذي رواها عن عبد الله بن عمر بن العاص (٢) .

- ركز ابن تيمية للتدليل على شجاعة ابي بكر على هذه الرواية كونها تقول أن أشد ما لقي الرسول هو ذلك الخنق ولكن في الحقيقة وجدنا من يقول بمعارضته بحديث عائشة وسؤالها النبي عن أشد ما لقي من قومه فذكر قصته بالطائف مع تقيف والتي أجمعت

وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ

١ . الجرح والتعديل ، ١٢٨/٨ .

٢ . البخاري ، الصحيح ، ٨٣ /٤ .

مصادر المسلمين على أنها أشد مالقي (صلى الله عليه وآله)^(١) ، كما ان هناك روايات تعرضت لذكر أشد ما لقي النبي ، فمنها من قال أن حصار الشعب هو أشد ما لقي النبي وأهل بيته^(٢) ، ومنها من قال إن يوم نزول سورة المدثر هو أشد ما لقي النبي إذ خرج يومها "للم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فتدثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه : " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ " (٣)(٤) .

٢. أما الحادثة الثانية التي يسخرها ابن تيمية لتعضيد قوله في شجاعة ابي بكر فهي حادثة وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) فهو يسوق الرواية التي تقول باضطراب المسلمين بوفاة الرسول وارتداد البوادي عن الدين وذلة المسلمين " فقام الصديق رضي الله عنه بقلب ثابت وفؤاد شجاع فلم يجزع ولم ينكل قد جمع له بين الصبر واليقين فأخبرهم بموت النبي صلى الله عليه و سلم وأن الله اختار له ما عنده وقال لهم من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ " (٥) فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية حتى تلاها الصديق فلا تجد أحدا إلا وهو يتلوها ثم خطبهم فثبتهم وشجعهم^(٦) هذا الدليل الثاني على الشجاعة .

(١) تجهيز جيش أسامة ، وقتاله المرتدين وهذه هي الحادثة الثالثة .

١ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣/٣٧٨ ، البخاري ، الصحيح ، ٤/٨٣ ، مسلم ، الصحيح ، ١٨١/٥ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ٤/١٤ ، ابن حبان ، الصحيح ، ١٤/٥١٦ ، الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٨/٢٧٠ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٧/١٢٥ .
٢ . ابن اسحاق ، السير و المغازي ، ١٦٠ .
٣ . سورة المدثر ، الآية : ٢ .١ .
٤ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ١/١٨٨ .
٥ . سورة آل عمران ، الآية : ١٤٤ .
٦ . منهاج السنة ، ٤/٣٢٩ . ٤٣٠ .

٢) إيراد لرأي ابن حزم في جهاد الإمام علي (عليه السلام) وتقسيمه الجهاد لأنواع، الجهاد بالدعاء الى الله باللسان وهو من مختصات ابي بكر " فإن أكابر الصحابة أسلموا على يديه فهذا أفضل عمل وليس لعلي من هذا كثير حظ وأما عمر فإنه من يوم أسلم عز الإسلام وعبد الله علانية وهذا أعظم الجهاد وقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين اللذين لا نظير لهما" ، والجهاد بالرأي والتدبير ، والجهاد باليد في الطعن والضرب ، " فأما القسمين الأولين فهما خاصين لأبي بكر وعمر ، ولاحظ لعلي فيهما ، أما الطعن والضرب فهو أقل مراتب الجهاد ، وهذا النوع من الجهاد لم يلحق ابو بكر وعمر فيه بحظ الصحابة الآخرين " لشغلها بالأفضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه و سلم ومؤازرته في حين الحرب وقد بعثها على البعث أكثر مما بعث عليا وقد بعث أبا بكر إلى بني فزارة وغيرهم وبعث عمر إلى بني فلان وما نعلم لعلي بعثا إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحها فحصل أرفع أنواع الجهاد لأبي بكر وعمر وقد شاركا عليا في أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم"^(١).

إن أهم ما يمكن ملاحظته هو ما يأتي :

- إن ابن تيمية قد استثمر كلام ابن حزم في غير مقصود قائله ، فابن حزم كان كلامه عن أنواع الجهاد وليس في الشجاعة .

- ولو تنزلنا عن الأمر الأول ، وقلنا أن مقصود ابن حزم الشجاعة ، وإنها شجاعة بالدعاء إلى الله باللسان ، وأن حقيقتها قد تجلت بإسلام كثير من الصحابة على يدي أبي بكر ، فلماذا لم يكتف الرسول بالدعوة إلى الله بلسانه فقط ولا يستخدم السيف ويجيش الجيوش ويريق الدماء فإن هذا أفضل.

وإذا كانت الدعوة باللسان تحقق هذا الأمر ، وأن الطعن والضرب أقل مراتب الجهاد ، فلماذا أنزل الله سبحانه وتعالى الملائكة في معركة بدر ، ولماذا طلب الإثخان في القتل لكسر

١ . منهاج السنة ، ٤/٤٣٢-٤٣٣.

شوكة المشركين ولوم المسلمين على ما أقدموا عليه من الأسر " مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ " (١)

ولو لم يستخدم المسلمون السيف هل كسرت شوكة المشركين وهل ترك المسلمون
يمارسون الدعوة إلى الله باللسان و بالتالي هل حقق الهدف من نشر الإسلام ، كما إنه يخالف
المنطق القرآني فلو كانت الدعوة إلى الله باللسان هي أحمد السبل وأوحدها وكان القتال أقل
مراتب الجهاد ، لما كان هناك من داع أن يذكر الله إذن قتال المسلمين للمشركين بقوله " أَدْنُ
لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ " (٢) وهذا الإذن هو إذن بالجهاد
العسكري وليس الدعوي كونه ابتداءً ببداية الدعوة الإسلامية ، وأن أبرز مصاديق النصر
المذكور في الآية تلك هو النصر العسكري ، كما أنه يخالف ما جاء من أن كثير من
الأنبياء قد قاتلوا وقاتل معهم أصحابهم " وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا
أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ " (٣).

والشيء الآخر في ذلك هو أن دعوة أبي بكر إلى الله قد أنتجت إسلام الكثير من
الصحابة على يديه ، فهلا عدد لنا مجموعة منهم حتى يؤكد ما ذهب إليه ، وأما ترك الأمور
على عواهنها دون تأكيدها فهو أمر مردود على ابن حزم وابن تيمية فالمفروض بهما بيان كم
من المسلمين قد هداهم الله بدعوة أبي بكر ، وكذلك الحال مع عمر فلو بين لنا ابن تيمية
وابن حزم كيف عز الإسلام بعمر و ما هو ثقل عمر في الدعوة الإسلامية ، فإننا لا نجد ذكره
في مواقف الإسلام المكية ، إلا ما دل من تعذيبه لضعاف المسلمين ، وفي الحقيقة نجد أنهما
قد نسيا قول الله سبحانه وتعالى : " يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ
يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (٤) فهل يصح القول أن الإسلام عز بعمر .
!!!!؟

١ سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

٢ . سورة الحج : الآية : ٣٩ .

٣ . سورة آل عمران : ١٤٦ .

٤ . سورة الحجرات : ١٧ .

أما قوله وشجاعة بالرأي والتدبير، فإنه يقصد وجود أبي بكر مع الرسول في العريش في معركة بدر تلك القصة التي أخذ صداها كثيرا في الروايات والتي حاكها الخيال والميل عن الحق والبعد عن المنطق العسكري الصحيح، إذ لا يعقل أن ينأى الرسول بنفسه ويضن بها عن ساحة القتال وعن المسلمين في أول مواجهة لا تحتاج إلا إلى الحسم لا غيره، تحتاج إلى القائد الذي يجود بنفسه ويدفعها ما بين الصفوف كي يثير عزيمة الأبناء المقاتلين ليبعث لهم ما تطمئن به القلوب من حقيقة المشاركة وبذل النفس، كيف لقائد تتعرض له قوة العدو الأول الذي لا يسعى إلا لستئصاله أن يقف في الخط الخلفي للمعركة، هو واشجع أصحابه إلا ليدعو ربه وينجو بنفسه وأي شجاع هذا الذي يكتف بالدعاء ولا يكون إلا مع حراسة أشجع جيشه؟!، ألا يصح الدعاء إلا بعيدا عن جو المعركة وصخبها، أم إن من أهم مضان الدعاء هو عند الكرب والشدة عندما تدرك النفس عجزها حينها لا تجد إلا الالتجاء إلى بارئها، وكيف له أن يحرم الجيش من أشجع مقاتليه هل يؤدي ذلك إلى استقرار الجيش أم إلى إرباكه، كل هذه الأمور وكثير غيرها تقف حائلا بين صحة القصة وتقبل العقل لها.

كما استند في إثبات شجاعة أبي بكر وعمر القلبية في إرسالهما على البعوث "وقد بعثهما على البعوث أكثر مما بعث علي فقد بعث أبا بكر إلى بني فزارة وغيرهم، وبعث عمر إلى بني فلان، وما نعلم لعلي بعثا إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحها فحصل أرفع أنواع الجهاد لأبي بكر وعمر وقد شاركا عليا في أقل أنواع الجهاد مع جماعة غيرهم"⁽¹⁾.

ولكن ابن تيمية حتى مع كثرة البعوث التي بعث فيها أبي بكر لم يستطع أن يذكر إلا بني فزارة وغيرهم فهلا عرفنا منهم المقصودين ب(وغيرهم)، كما كان عليه وحفظا للأمانة العلمية أن يعلمنا عن بني (فلان) الذين أرسل إليهم عمر، ما اسمهم، وما ديارهم وما نتيجة هذه البعوث، لقد أنتجت محاولة ابن تيمية للرد على كثرة بعوث الإمام من جهة، ورغبته في التدليل على الشجاعة البدنية لأبي بكر ومحاولة خلق منقبة جهادية له قبالة جهاد الإمام أن يدخل نفسه في أمور غير محمودة، ومنها عدم الدقة في النقل واستخدام أسلوب التدليس حين قال "وغيرهم - وبني فلان" ولم يبين من هم، فهذا الأسلوب غير مقبول من أبسط الباحثين

فكيف بشخص يدعى ويلقب (بشيخ الإسلام) ولكن الهدف والقصد واضح وهو الإيتاء بأكبر قدر من المناقب للتقليل من أهمية ومكانة الإمام (عليه السلام) ، كما إن محاولة تحجيم وتقليل أهمية بعوث الإمام وفتوحه هو أمر مرفوض ايضاً ، فخيبر تلك التي يستصغر شأنها ويقلل من أهمية كان أثرها في نفس النبي كبيراً جداً ، فهي التي قال عنها الرسول (صلى الله عليه وآله) : " ما أدري بأيهما انا أشد فرحاً بقدم جعفر أم بفتح خيبر " (١) غير ان ابن تيمية نظر لها بعين مزدرة لها في موقف يخالف تمام المخالفة موقف الرسول من هذا الجهد العظيم الذي بذله الإمام علي (عليه السلام) .

كانت هذه أهم الأدلة التي ساقها ابن تيمية في إثبات شجاعة أبي بكر القلبية وقد بينا مواقف الضعف والخلل الحاصل فيها .

إن ابن تيمية قد نفى وجود الشجاعة القلبية عند الإمام (عليه السلام) وجعلها من مختصات أبي بكر التي أهلته مع باقي ميزاته لتولى خلافة الرسول ، ولكن في المقابل هل يوجد ما يدل على وجود هذه الشجاعة القلبية . بالإضافة إلى الشجاعة البدنية التي أثبتها ابن تيمية- عند الإمام علي (عليه السلام) أم أن الأمر محصور فعلاً بأبي بكر ؟ .

تعرضت مجموعة من المصادر إلى أشجع الناس ، وجاء ذلك موافقاً للواقع الذي لا يحجبه الرأي والهوى لتثبت أن أشجع الناس قلباً هو الإمام علي (عليه السلام) ، فقد روي عن الشعبي قوله " ان علي أشجع الناس تقر العرب بذلك " (٢)

في حين روى ابن عباس و سلمان المحمدي وجابر وأبي ذر الغفاري و الزبير عن النبي قوله أن الإمام علي " اشجع الناس قلباً" (٣) وذلك في عدت روايات راج ذكرها في المصادر الإسلامية من بينها ما رواه الفقيه ابن المغازلي والموفق الخوارزمي إذ روى عن ابن عباس من " أن فاطمة أتت الرسول وهي تبكي فقال: لا أبكى الله عينيك فقالت : يا أبا

١ . ابن الأثير ، اسد الغابة ، ٢٨٧/١ .

٢ . البلاذري ، انساب الأشراف ، ١٢١ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ٣٦٣/٣ .

٣ - سليم بن قيس ، كتاب سليم ، ٧٠ ، ٩٣ ، ابن المغازلي ، المناقب ، ١٥١ / ١٨٨ ، الخوارزمي ، المناقب ، ٢٩٠ / ٢٧٩ ، الصدوق ، الأمالي ، ٥٢٤ .

ومالي لا أبكى ونساء قريش قد غيرتني فقلن لي : ان أباك زوجك من رجل معدم ، لا مال له ، قال : فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تبكى يا فاطمة ، فوالله ما أنا زوجتك ، بل الله زوجك من فوق سبع سماواته ، وشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، ثم إن الله عز وجل اطلع إلى أهل الأرض ، فاختر من الخلائق أباك فبعثه نبيا ، ثم اطلع الثانية إلى أهل الدنيا ، فاختر من الخلائق عليا ، فزوجك إياه ، واتخذته وصيا ، فعلي منى وأنا من علي ، **فعلي أشجع الناس قلبا** ، واعلم الناس علما " ، واحلم الناس حلما " ، وأقدم الناس سلما (١) .

هذا نموذج من الروايات التي تدلل على امتلاك الإمام للشجاعة القلبية على عكس ما ذهب إليه ابن تيمية ، وهي حقيقة لم تحد بزمان معين أو بشخص معين أو مذهب معين بل شملت أزمان مختلفة ومذاهب مختلفة ، وبالتالي يمكننا أن نستنتج ، أن الشجاعة سواء كانت قلبية أو بدنية هي أمر ثابت للإمام علي على عكس ما ذهب إليه ابن تيمية .

غير أن الرؤية السلبية لشجاعة الإمام لم تتوقف عند الطعن بالشجاعة القلبية بل تعدتها إلى التشكيك حتى بالشجاعة البدنية وذلك من خلال :

(١) إن ابن تيمية يرى أن الشجاعة لا تقوم بقوة البدن ، وهذا أول تضعيف لشجاعة الإمام علي (عليه السلام) في الناحية البدنية .

(٢) يرى بأنه إذا قيل عن علي بأنه أشجع وذلك لكثرة القتلى ، فهناك من قتل أكثر من علي " فالبراء بن مالك قد قتل مائة شخص مبارزة غير من شرك في دمه ، وخالد بن الوليد قتل ما لا يحصى عدده إلا الله وقد انكسر في يده في غزوة مؤتة تسعة أسياف ولا ريب أنه قتل أضعاف ما قتله علي" (٢) ، وبالتالي يستلزم أن يكون أشجع من الإمام علي (عليه السلام) . وهذا يعني طعناً واضحاً في شجاعة الإمام البدنية ، إذن فهؤلاء وغيرهم من الصحابة كثير هم أرقام قد سبقوا الإمام علي (عليه السلام) في هذا السلم التفاضلي .

١ . المناقب ، ١٥١ ، المناقب ، ٢٩٠ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٣٠ .

إننا نلاحظ أن ابن تيمية قد أدخل خالد بن الوليد بوصفه شخصية تُساوي أو ترتقي على شخصية الإمام علي (عليه السلام) من الناحية العسكرية فتعامل تعامل خاص مع سمته العسكرية، و أعطاه وسيفه حيزاً واسعاً وكبيراً في سماء الإسلام في حين أن "كثير من الوقائع التي ثبت بها الإسلام لم يكن لسيف علي فيها تأثير كيوم بدر كان سيفاً من سيوف كثيرة"^(١) ، والسؤال المطروح هنا كيف تعامل مع مكانة خالد بن الوليد العسكرية؟! وما سبب ذلك؟! وما النتيجة التي توصل إليها؟ .

يرى ابن تيمية أن لخالد مكانة واسعة ومهمة في الجهاد الإسلامي قد فاقت غيرها من المسلمين فهو قد "قتل ما لا يحصى إلا الله ... وأنه لم يزل منصوراً ... وقد تكسرت بيده تسعة أسياف ... هو سيف من سيوف الله سلة الله على أعدائه ... والنبي صلى الله عليه وسلم هو أول من سماه بهذا الاسم كما ثبت في صحيح البخاري من حديث أيوب السخيتاني عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرًا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيه خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذها سيف من سيوف الله"^(٢) ... أن خالدًا قتل من الكفار أكثر مما قتل غيره ... وكان سعيداً في حروبه ... نصر الله لخالد على الكفار أعظم من نصره لعلي والله سبحانه وتعالى عدل لا يظلم واحداً منهما فيكون ما استحقه خالد من النصر أعظم مما استحقه علي فيكون أفضل عند الله منه"^(٣) .

هذا نموذج من كلمات ابن تيمية في حق خالد وهو يدل على عظم المكانة التي أعطيت لهذه الشخصية ، ولكن هل التراث الإسلامي يؤيد رؤية ابن تيمية تلك!!؟

في الحقيقة إن ابن تيمية قد نسب لخالد من القتل ما لا يحصى إلا الله ، والتساؤل المطروح هنا عن مناسبة هذا القول ، ومتى صدر من النبي ، وهل عرف به خالد في

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٣١ .

٢ . ٤ / ٢١٨ ، ٥ / ٨٧ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٣٠ .

عهد الخلفاء ، و هل يوجد من المؤرخين من قال بذلك ، في الحقيقة لم نجد إلا ابن تيمية يقول بذلك ، هذا جانب ، والجانب الآخر هو متى أسلم خالد ، وهل الوقائع التي شارك فيها حصل فيها قتال عظيم حتى يقتل ما لا يحصي إلا الله .

لقد أسلم خالد بن الوليد في سنة ٨ هـ^(١) ، ونحن نعلم أن أعظم وقائع الإسلام كانت قد حصلت قبل ذلك التاريخ ، وتحول موقف الدعوة الإسلامية من الموقف المدافع إلى الموقف المنفتح الذي بدا يسيطر شيء فشيء على مجمل الأوضاع في الجزيرة العربية ، ولم يكن بعدها إلا فتح مكة التي عالج الرسول (صلى الله عليه وآله) موقفها فكان دخوله لها أقرب إلى السلم منه للحرب ، و حنين التي انهزم فيها المسلمون ولا يوجد أي تميز لخالد فيها ، ومؤتة التي يدعي خالد تكسر تسعة أسياف بيد ، كان قادتها معروفين ولم تكن هناك حرب كبيرة كوّن من قتل فيها من المسلمين لا يتجاوز ١٢ شهيدا^(٢) مما يستدعي القول من أنها أقرب إلى المناوشات منها إلى الحرب ، ليفر المسلمون بعد استشهاد القادة ، وبالتالي فإن القول بقتله ما لا يحصي إلا الله فيه مبالغة كبيرة جدا وهو محاوله للتضخيم في شخصية خالد وصفها جنبا إلى جنب مع الشخصيات الإسلامية التي تميزت في جهادها للكفار وعلى رأس هؤلاء الإمام علي (عليه السلام) .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تكسر الأسياف لم يتكلم به أحد من المسلمين وإنما هو منقبة ادعاها خالد لنفسه وتلقاه ابن تيمية بالقبول ولم يشكك فيه ، مع ملاحظة ان خالد ابن الوليد قد فر بالمسلمين في مؤتة مباشرة بعد مقتل القادة الثلاث حتى سماهم المسلمون بالفرار^(٣) ، فمتى تكسرت تلك الأسياف بيده ولماذا تلقى ما ادعاها خالد لنفسه برحابة صدر ، في حين أنه تعامل بكثير من الشك مع قول الإمام عن نفسه من أنه سيف الله وسهمه إذ قال: "علي سيف الله وسهم الله فهذا الحديث لا يعرف في شيء من كتب الحديث ولا له إسناد معروف ومعناه باطل فإن عليا ليس هو وحده سيف الله وسهمه وهذه العبارة يقتضي ظاهرها الحصر... فإن أريد بذلك أن علي وحده سيف الله وسهم الله

١ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤ / ٤٤٦ .

٢ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٤ / ١٤٠ .

٣ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ١٢٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٣٢٣ .

فهذا باطل وإن أريد به أنه سيف من سيوف الله فعلي أجل من ذلك وأفضل وذلك بعض فضائله وكذلك ما نقل عن علي رضي الله عنه أنه قال على المنبر أنا سيف الله على أعدائه ورحمته لأوليائه^(١) فهذا لا إسناد له ولا يعرف له صحة لكن إن كان قاله فمعناه صحيح وهو قدر مشترك بينه وبين أمثاله قال الله تعالى فيهم : " أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ " ^(٢) وقال " أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ " ^(٣) ، وكل من المهاجرين المجاهدين كان سيفاً على أعداء الله ورحمة لأولياء الله ولا يجوز أن يريد أني أنا وحدي سيف الله وأنا وحدي رحمة على أولياء الله فإن هذا من الكذب الذي يجب تنزيه علي عن أن يقوله وإن أريد أنه في ذلك أكمل من غيره فالحصر للكمال فهذا صحيح في زمنه وإلا فمعلوم أن عمر كان قهره للكفار أعظم^(٤) .

هذا المقطع يدل على مدى الطعن بكل رواية تقول بأن الإمام علي (عليه السلام) سيف الله فقد اعتبر أن هذا القول "معناه باطل فإن علياً ليس هو وحده سيف الله وسهمه وهذه العبارة يقتضي ظاهرها الحصر... فإن أريد بذلك أن علي وحده سيف الله وسهم الله فهذا باطل"^(٥) ولكنه لم يقل ببطلان من قال بأن خالد سيف الله بل إنه رد على العلامة الحلي الذي قال " وسموا خالد بن الوليد سيف الله عنادا للأمير المؤمنين الذي هو أحق بهذا الاسم "^(٦) ، دون أن يوجه أي كلمة لمن حصر ذلك بخالد ، كما أنه قد شك بما نسبته الإمام لنفسه من أنه سيف الله فطالب بصحة الإسناد ، بينما لم يطلبه ذلك مع حديث " خالد سيف من سيوف الله " ، وتماشياً مع مطلبه نقوم بدراسة لكلا الحديتين .

(١) خالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين : لقد أدى تعصب ابن تيمية ضد الإمام علي (عليه السلام) ورغبته في خلق منافس له في السلم الجهادي وفي الحضوة بثناء الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يقول أن خالد سيف من سيوف الله سله على

- ١ . القمي ، مائة منقبة ، ٥٩ ، الكراجكي ، الاستنصار ، ٢٢ ، ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٣٠٦/٢ .
- ٢ . سورة الفتح ، الآية : ٢٩ .
- ٣ . سورة المائدة ، الآية : ٥٤ .
- ٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٨٣ .
- ٥ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٨٣ . ٤٨٤ .
- ٦ . منهاج الكرامة ، ٧٩ .

المشركين مستنداً في ذلك إلى رواية البخاري التي يروونها عن أحمد بن واقد عن حماد بن زيد عن أيوب السخيتاني عن حميد بن هلال عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله ، دون أن يشير إلى اختلاف الآراء الواردة في وثاقة رواة هذا الحديث فأحمد بن واقد قيمه الباجي بقوله : " متروك الحديث... فتركت حديثه"^(١) ، كما ذكره ابن حجر في مقدمة فتح الباري بقوله " تكلم فيه أحمد لدخوله في عمل السلطان"^(٢) .

وأما حميد بن هلال ، فقد أورده العقيلي في ضعفائه والمزي وكذلك الذهبي وقالوا عنه : " كان محمد بن سيرين لا يرضى حميد بن هلال "^(٣) أضف إلى ذلك أن ذيل الرواية القائل (سله على المشركين)^(٤) غير موجود في هذه الرواية ومع ذلك ادعى وجوده في الرواية .

يضاف إلى ذلك أن بعض المصادر قد حددت سبباً لتلقيب خالد غير السبب المذكور في رواية البخاري ، بل وحددت من الذي لقبه بهذا اللقب ، فأحدى الروايات تقول أن لرسول لما خرج إلى الحج في سنة ٦ هـ تلك السنة التي حدثت فيه صلح الحديبية كان عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة فانتدب الرسول له خالد بن الوليد لكونه ابن عمه حينها قال خالد : " أنا سيف الله وسيف رسوله يا رسول الله ارم بي إن شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة"^(٥) .

ولعل أهم الملاحظات على ذلك ، أن التلقيب لم يأت من الرسول (صلى الله عليه وآله) بل أن خالد هو الذي أضفاه على نفسه ، كما أن خالداً لم يكن مسلماً في صلح الحديبية بل

١ الباجي ، التعديل والتجريح ، ٣١٠/١ .

٢ . ٤٦١ .

٣ . ١ / ٢٦٦ ، المزي ، تهذيب الكمال ، ٧ / ٤٠٥ ، الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ٥ / ٣١٠ .

٤ . نص رواية البخاري ليس فيها أي وجود لهذه الزيادة ، ينظر: البخاري ، الصحيح ، ٤ / ٢١٨ ، ٥ / ٨٧ .

٥ . الطبري ، التفسير ، ٢٦ / ١٢٣ ، ابن أبي حاتم ، التفسير ، ٣٣٠ ، الثعلبي ، التفسير ، ٩ / ٥٤ ،

القرطبي ، التفسير ، ١٦ / ٢٨٢ .

أكدت المصادر أنه قد أسلم سنة ٨ هـ^(١) ، وأن الحديبية لم يحدث فيها قتال حتى يخلق مثل هكذا دور بطولي اسطوري لخالد بن الوليد ، وهذا ما دعا ابن كثير ان يصرح بعدم مصداقية هذا الخبر بقوله : " وهذا السياق فيه نظر فإنه لا يجوز أن يكون عام الحديبية لان خالدا رضي الله عنه لم يكن أسلم بل قد كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لانهم قاضوه على أن يأتي في العام القابل فيعتمر ويقوم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم صلى الله عليه وسلم لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه فإن قيل فيكون يوم الفتح فالجواب لا يجوز أن يكون يوم الفتح لأنه لم يسق عام الفتح هديا وإنما جاء محاربا مقاتلا في جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شيء"^(٢).

(٢) حديث علي سيف الله : روي بنص العبارات:

- عن أنس بن مالك قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر ، فذكر قولاً كثيراً ، ثم قال : أين علي بن أبي طالب ؟ فوثب إليه فقال : ها أنا ذا يا رسول الله ، فضمه إلى صدره وقبل بين عينيه وقال بأعلى صوته : معاشر المسلمين ، هذا أخي وابن عمي وختني ، هذا لحمي ودمي وشعري ، هذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، هذا مفرج الكرب عني ، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه"^(٣)

- كما روي عن جابر بن عبد الله أنه قال : " قال النبي صلى الله عليه وسلم : ما استعصى علي أهل مملكة قط إلا رميتهم بسهم الله تعالى . قيل : يا رسول الله ، وما سهم الله تعالى ؟ قال : علي بن أبي طالب . ما بعثته في سرية قط إلا أني رأيت جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملكا أمامه وسحابة تظله حتى يعطي الله النصر والظفر " . هذا ، وقد نقل عن الحسن البصري وصفه الإمام عليه السلام بـ " السهم " إذ أخبر بأنه ينسب إلى تنقص الإمام عليه السلام ، فقال : " كان - والله - سهما صائبا من مرامي الله عز وجل على عدوه ، ورباني هذه الأمة ، وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم

١ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤ / ٤٤٦ .

٢ . التفسير ، ٤ / ٢٠٧ .

٣ . المحب الطبري ، ذخائر العقبى ، ٩٢ .

- لم يكن بالنؤمة عن أمر الله ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ، ذاك علي بن أبي طالب ، يا لكع "(١) .

أضف إلى ذلك أن السيرة الجهادية العملية للإمام علي تؤيد ذلك المعنى ، فليس خافيا ما لسيف علي (عليه السلام) من أثر ومنادات السماء خير شاهد على ذلك وما سنعرضه في معركة بدر و أحد والخندق من أدل المصاديق العملية من كون الإمام علي (عليه السلام) هو سيف الله وسيف رسوله .

ثالثاً: نفي الإمكانات والمكانة

كانت شخصية الإمام علي (عليه السلام) تمتلك مواصفات عسكرية لا تصل إليها إلا مواصفات الرسول القائد ، وقد كانت إمكاناته إمكانات منقطعة النظير ، شهدت لها حنكته العسكرية وجهوده التي بذلها دفاعاً عن الإسلام فمعارك الإسلام الأولى تشهد بذلك.

فقد شكلت معركة بدر علامة فارقة في تاريخ الإسلام فهي أولى المواجهات التي جعلت قوة المسلمين أمام الاختبار الجهادي الحقيقي، فالرسول (صلى الله عليه وآله) كان يرى أن مصير الدولة الوليدة يتوقف على النصر في هذه المعركة، لذا لم يدخر شيئاً إلا وجنده في لصالحها، فهو من ناحية أخذ يرسل البعوث ويستطلع الأمر ، ووكل مهمة القيادة إلى أهل بيته وجعلهم على مقدمة جيشه فكان علياً و الحمزة وعبيدة هم أول من بارز قريش، لذا أنزل الله سبحانه وتعالى فيهم " هَذَا نِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن تَارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ "(٢).

والسؤال المطروح هنا هو ما موقف ابن تيمية من جهود الإمام المبذولة في هذه المعركة

؟

١ . ينظر عن تفاصيل هذه الروايات ، السيد المرعشي ، شرح احقاق الحق ، ٤ / ٢٢٥ وما بعدها ، ١٥ /

٤٣٦ ، ١٥ / ٤٧٠ ، ٢٠ / ٢٥٠ ، ٢٢ / ٢٨٠ .

٢ . سورة الحج ، الآية : ١٩ .

على عادته يبدأ بإسلوب التوهيم المادح لعلي (عليه السلام) فهو يعترف بأن هذه الآية قد شملت عليا ، ولكن إمكانات عليا في المعركة كانت محدودة كونه قد قاتل أصغر المبارزين^(١) ، فهو قد برز إلى الوليد في حين برز الحمزة وعبيدة إلى كل من عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، ومكانتهما ليست كمكانة الوليد ، وهذا أول تضعيف لإمكانات الإمام الجهادية في هذه المعركة ، في حين أن المعروف والمعلوم إن الحروب تبدأ بتقديم أقوى وأشجع الرجال ، ولذا قالوا اخرجوا لنا أكفأنا من قريش^(٢)

والشيء الآخر عمد إلى التقليل من أهمية مكانة الإمام وسيفه في هذه المعركة وغيرها من الوقائع الأساسية في تاريخ الإسلام فقد اعتبر أن " كثر من الوقائع التي ثبت بها الإسلام لم يكن لسيفه فيها تأثير كيوم بدر كان سيفا من سيوف كثيرة"^(٣) ، ولغرض إكساء هذا القول حلة من الرجحان والقطع عمد إلى التشكيك بالقدرة الجهادية للإمام في محاولة لإكسابه الدرجة القطعية ، وذلك من خلال :

(١) **طريقة التعامل مع جهود الإمام في تغيير نتيجة المعركة** : ففي هذا الجانب طعن ابن تيمية بما قيل من أن الإمام قد قتل ٣٦ شخصا من المشركين وذلك بقوله "أن هذا من الكذب البين المفترى باتفاق أهل العلم العالمين بالسير و المغازي ولم يذكر هذا أحد يعتمد عليه في النقل وإنما هو من وضع جهال الكذابين وقيل إن عليا لم يقتل ذلك اليوم إلا نفرا دون العشرة أو أقل أو أكثر وغاية ما ذكره ابن هشام وقبله موسى بن عقبة جميع ما ذكروه أحد عشر نفسا واختلف في ستة أنفس هل قتلهم هو أو غيره وشارك في ثلاثة هذا جميع ما نقله هؤلاء الصادقون"^(٤).

والعجيب إننا حتى لو سلمنا بتلك النتيجة فإن هذا يدل على مدى حقه على الإمام علي (عليه السلام) ويناقض كلامه الذي يقول " وكثر من الوقائع التي ثبت بها الإسلام لم

١ . منهاج السنة ، ٨ / ٩٤ .

٢ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٢ / ٤٥٦ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ١٤٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣ / ٣٣٣ .

٣ . منهاج السنة ، ٨ / ٨٩ .

٤ . منهاج السنة ، ٨ / ٩٥ .

يكن لسيفه فيها تأثير كيوم بدر" فكيف لم يكن له تأثير وهو قد قتل حسب ابن تيمية ١١ شخص واختلف في ٦ أقتلهم هو أم غيره وشرك في ثلاثة ، هذا يعني أن الإمام قد بذل الجهد في قتل ٢٠ شخصا من أصل ٧٠ على أقل تقدير ، أي إن خمسين شخصا اشترك في قتلهم الملائكة و عددهم خمسة آلاف^(١)، والمسلمين الباقين البالغ عددهم ٣١٢ شخصا ، وهذا الأمر في العرف العسكري إنجاز نوعي يسجل للإمام علي (عليه السلام) ، هذا من جهة ومن جهة أخرى إن هناك من ذكر أن الإمام قد قتل ٢٠ شخصا من أصل نيف وأربعون غير من اشترك في قتلهم^(٢)، إذا كم سيكون عدد المقتولين بيده إذا كان عدد قتلى المشركين ٧٠ ،أضف إلى ذلك أننا إذا تعرفنا على الشخصيات التي قتلها الإمام يتبين لنا أنها من النوعية بمكان وأن سيفه كان له أبلغ التأثير وليس كما يدعي ابن تيمية^(٣) .

وفي الحقيقة ان رؤية ابن تيمية هذه تتعارض مع تقييم علماء المسلمين لجهود الإمام(عليه السلام) في هذه المعركة ، فهي لا تتماشى مع النتيجة التي توصل لها ابن تيمية من أن سيفه لم يكن له تأثير في بدر ،بل على العكس تماماً نجد غاية الثناء والإطراء على جهود الإمام مبنوثة في تراث علماء المسلمين، ونورد هنا مجموعة من الرويات لا على سبيل المثال :

- قال ابو جعفر الاسكافي واصفا حال أمير المؤمنين "كانت نكايته في أكثر الحروب ، وبأسه أشد ممن ذكرنا من أهل النجدة فهذه فعله مشهور يوم بدر ، كان عدد القتلى فيه نيفا وأربعين كان له عشرون خاصا وشاركهم في البقية"^(٤) .

- ومنهم العلامة ابن أبي الحديد إذ قال : " وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وأشدها نكاية في المشركين بدر الكبرى قتل فيها سبعون من المشركين قتل علي عليه السلام نصفهم وقتل المسلمون والملائكة النصف الاخر وإذا رجعت إلي مغازي محمد

١ . سورة آل عمران ، الآية : ١٢٥ .

٢ . أبو جعفر الإسكافي ، المعيار والموازنة ، ٩٠ .

٣ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣/٦٧١ وما بعدها .

٤ . المعيار والموازنة ، ٩٠ .

بن عمر الواقدي وتاريخ الاشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك دع من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما^(١) .

- ابن سعد " وقال أحد الصحابة فيما بعد : ان الأمر كان لعلي بن أبي طالب ، فزحزحوه عنه لحدائثة سنه ، والدماء التي عليه"^(٢) .

فكلام هؤلاء الأعلام يشير إلى حقيقة ثابتة مفادها أن علياً (عليه السلام) قد حاز على قدم السبق من حيث الإمكانات والمكانة في معركة بدر ، وتميز على كافة المسلمين حتى اعتبر العلامة ابن أبي الحديد أن هذا الأمر "من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما"^(٣) ، إلا أننا نرى ابن تيمية ونتيجة لرؤيته المتشددة إلى بخس الإمام علي حقه الثابت في تراث المسلمين .

(٢) المحاولة الثانية التي تبناها ابن تيمية في ضرب القيمة الجهادية هي الطعن بما ورد من مكانة ضربته (عليه السلام) وأنه ما ضرب إلا قط ، واعتبار أن هذا القول بخالد بن الوليد أليق منه في الإمام فهذا الأمر " لا يعلم ثبوته ولا انتفاؤه ، وليس معنا في ذلك نقل يعتمد عليه ، ولو قال قائل في خالد والزبير والبراء بن مالك وأبي دجاجة وأبي طلحة ونحوهم إنه ما ضرب بسيفه إلا قط كان القول في ذلك كالقول في علي بل صدق هذا في مثل خالد والبراء بن مالك أولى فإن النبي صلى الله عليه و سلم قال خالد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين فإذا قيل فيمن جعله الله من سيوفه إنه ما ضرب إلا قط كان أقرب إلى الصدق مع كثرة ما علم من قتل خالد في الحروب وأنه لم يزل منصوراً"^(٤) .

فهو هنا يشير إلى رؤيته التشكيكية بهذه الأمر عن طريق عدم المقدرة على اثبات ذلك أو نفيه وهو في الحقيقية تهرب من الموضوعية الى جانب التعمية اذ كان عليه أن يوسع نَفْسَه و يستجلى الأمور من مضانها في المصادر الإسلامية ليؤكد أو ينفي ذلك كما هو

١ . شرح نهج البلاغة ، ١ / ٨ .

٢ . الطبقات الكبرى ، ٣ / ١٣٠ .

٣ . شرح نهج البلاغة ، ١ / ٨ .

٤ . منهاج السنة ، ٨ / ٩٠ . ٩١ .

أسلوبه في تتبع فضائل الإمام علي التي يبتغ نقضها، ولكن "فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّ مَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ" (١) ، لذا عمد إلى هذا الأسلوب كونه سيوقع نفسه في حرج شديد إذا ما اعتمد التوثيق وجعل التراث الإسلامي هو الحاكم والفيصل في ذلك لا الهوى فمبتغاه ليست الحقيقة ، لذا صرح بما خالف فيه تراث المسلمين جميعا والذي أكدت فيه تلك الحقيقة الثابتة عن جهاد الإمام (عليه السلام) ، ولعلنا نشير هنا إلى ابرز تلك المصادر التي أكدت ما أدعاه ابن تيمية عدم المقدره على اثباته للإمام في حين اثبته لغيره:

- قال ابن الصباغ المالكي " فكان علي (رض) خائضا لجح غمراته بقلب لا ينحرف ، وقدم إقدام لا ينصرف ، يقط بشبا سيفه رقاب الهام قط الأقالام" (٢) .

- ابن حاتم العاملي : " وأما الفضائل البدنية : فمنها : القوة والشدة ، وكان فيها عظيم الدرجة حتى قيل إنه كان يقط الهام قط" (٣) .

- قطب الدين الراوندي قال : " وإذا فكر فيه المفكر ولم يدر أنه كلام علي عليه السلام لا يشك أنه كلام من لا شغل له بغير العبادة ، ولاحظ له في غير الزهادة ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من يقط الرقاب ويجدل الابطال ، وهو مع ذلك أزهد الزهاد ، وهذا من مناقبه العجيبة التي جمع بها بين الأضداد" (٤) .

- ابن الأثير : "وفي حديث علي رضي الله عنه كان إذا علا قد ، وإذا توسط قط أي قطعه عرضا نصفين" (٥) . وفي مورد آخر يقول " كانت ضربات علي مبتكرات لا عوناً ، أي إن ضربته كانت بكرة يقتل بواحدة منها لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانيا ، يقال : (ضربة بكر) إذا كانت قاطعة لا تثنى ، والعون : جمع عون وهي في الأصل الكهلة من النساء ، ويريد

١ . سورة الأنعام ، الآية : ١٢٥ .

٢ . الفصول المهمة ، ١ / ٣٠٤ .

٣ . الدر النظيم ، ٢٧١ .

٤ . الخرائج والجرائح ، ٢ / ٥٤٢ - ٥٤٣ .

٥ . النهاية في غريب الحديث ، ٤ / ٨١ .

بها ههنا المثناة ، وقال أيضا : (إن عليا حمل على عسكر المشركين فما زالوا يبقطون ، أي يتعادون إلى الجبل متفرقين ، بقط الرجل إذا صعد الجبل ، والبقط : التفرقة"^(١)).

- اليعقوبي قال نقلا عن ابن عباس وهو يحاور عمر بن الخطاب : قلت : يا أمير المؤمنين . هلا استحدثتم سنة يوم الخندق إذ خرج عمرو بن عبد ود ، وقد كعم عنه الابطال ، وتأخرت عنه الأشياخ ، ويوم بدر إذ كان يقط الاقران قطا "^(٢).

- الزمخشري يقول : " علي رضي الله تعالى عنه : كانت له ضربتان ، كان إذا تطاول قد ، وإذا تقاصر قط . اي قطع بالعرض "^(٣) .

- ابو هلال العسكري : "وفي الحديث أن عليا عليه السلام كان إذا علا بالسيف قد وإذا اعترض قط"^(٤).

- محمد بن طلحة الشافعي "كان علي (عليه السلام) خائض لجج غمراته بقلب قلب لا يجف وجري جنان لا يقف مشمرا عن ساق شجاعة لا تتصرف وقدم أقدام لا تتحرف ومقدما بعضد عزم لا يضعف وساعد حزم لا يرجف ومسفرا عن بارق همة لا تخلف وسابق قوة لا يقرف يقط بشبا سيفه رقاب الهام قط الأقلام ويحط الرؤوس عن الجثث إلى مصافحة الاقدام ويفجر من مجاري الطلا ينابيع دماء يسقى بها عطاش الرغام"^(٥)

هذه أهم النماذج التي تؤكد على مدى انطباق الوصف الذي صرح به العلامة الحلي مع شخصية الإمام علي (عليه السلام) والتي تعاكس ما افترضه ابن تيمية من عدم المقدرة على إثبات ذلك ، فالمصادر هنا قد تنوعت من مصادر أدب ولغة وتاريخ وغيرها .

١ . النهاية في غريب الحديث ، ١ / ١٤٥ .

٢ . تاريخ اليعقوبي ، ٢ / ١٥٩ .

٣ . الفائق في غريب الحديث ، ٣ / ١٦٦ .

٤ . معجم الفروق اللغوية ، ٤٣٣ .

٥ . مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، ١٩٩ .

لقد نفى اتصاف الإمام بذلك في حين أثبتته لخالد ابن الوليد وأن صدقه في خالد أولى منه في الإمام لا لشيء إلا لكون خالد قد قال فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) هو سيف من سيوف الله ، وكثرة قتلاه ولانتصاره في الحروب ، ولكن بعد سقوط هذه الدعوى والتيقن من أن حديث خالد سيف من سيوف الله حديث مردود و عدم وجود الدليل على كثرة من قتل ، وتصريح المصادر الإسلامية بنعت الإمام بهذه الخصلة وإحجامها عن نسبتها لخالد وتفرّد ابن تيمية بها يدل على أنها من الثابتات لعلي دون غيره من المسلمين جميعاً ، ولكن تبنيه رؤية تسقيطية ادت به الى نسبة هذه الأمور إلى أناس هم أبعد ما يكون عنها .

٣- التكذيب لما ورد من امتداح للإمام علي (عليه السلام) من أنه "لا فتى إلا علي ولا

سيف إلا ذو الفقار" : أذ عمد ابن تيمية إلى الطعن بها قائلاً :

- أن هذه المناداة يوم بدر كذب كون ذا الفقار لم يكن لعلي وإنما كان سيفاً من سيوف أبي جهل غنمه المسلمون منه يوم بدر فلم يكن يوم بدر ذو الفقار من سيوف المسلمين بل من سيوف الكفار كما روى ذلك أهل السنن فروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد^(١).

لقد نفى ابن تيمية حدوث المناداة على اعتبار أن هذا السيف قد نفعه الرسول في معركة بدر وعادة ما توزع الغنائم بعد انتهاء المعركة ، وقد يكون هذا الأمر له نصيب من الصحة ، ولكن ليس مستبعداً أن يكون ذلك السيف قد أخذه الإمام وقاتل به أثناء المعركة بعد مقتل صاحبه ونتيجة لما بذل حامل ذلك السيف من جهد صُرح بهذا النداء الذي لا يتوقع صدوره في بداية المعركة ، خصوصاً ونحن نجد أن من قتل صاحب هذا السيف هو الإمام علي (عليه السلام) وأن صاحبه هو المنبه ابن الحجاج وليس كما ذكر ابن تيمية من أنه سيف أبي جهل نفعه المسلمون بعد قتله إذ ورد أن ذو الفقار كان سيف منبه بن الحجاج قتله علي ثم

١ . منهاج السنة ، ٧٠/٥، وعن تنفل الرسول (صلى الله عليه وآله) لذو الفقار في يوم بدر ينظر : أحمد ابن حنبل ، المسند ، ١ / ٢٧١ ، الترمذي ، السنن ، ٣ / ٦١ .

أعطاه للرسول الذي أهداه للإمام علي (عليه السلام)^(١)، فإذا كان ذلك الإهداء في بدر وفي أثناء المعركة أمكن أن يأتي النداء في نهاية المعركة ، وهذا يتوافق مع الروايات التي تصرح بأن هذا النداء قد كان في بدر ، والبعض يشير إلى تعدد مناسبات صدوره ، وبالتالي فإن قول ابن تيمية من أنه سيوف من المشركين في هذه المعركة وبسببه رد المناداة أمر له وجه معارض قد يضعفه .

ولابد من التأكيد هنا على أن ابن تيمية يمارس أسلوب التعمية مرة أخرى فهو يصرح بعائدية هذا السيف لأبي جهل وأن المسلمون قد نفلوه بعد أن قتلوا صاحبه دون أن يحدد من المسلمين فعل ذلك ، وهو بالتالي يصادر جهود الإمام الجهادية مرة أخرى كونه لا يستطيع أن يصرح بالحقيقة التي تسالم المسلمون عليها من أن علياً هو من قتل صاحب السيف ونفله منه هذا أولاً.

وثانياً إن إجابة ابن تيمية تحصر الأمر بمعركة بدر وإن هذا السيف كان في المعركة لأبي جهل ولكن ما موقفه من الروايات الأخرى التي صرحت بأن هذا السيف وهذا النداء قد كان في معركة احد^(٢)، وبالتالي لا يبقى الإشكال الذي طرحه وارداً فهل تعامل بإيجابية مع المعطيات التي تقول بسماع النداء في أحد وأيد وجودها أم كان مصراً على نفيها حتى مع زوال ما احتج به.

في الحقيقة إن ابن تيمية قد صرح بالتكذيب المطلق لهذه المناداة ونفى نفيها قاطعاً أن يكون ذو الفقار سيف للإمام علي (عليه السلام) إذ قال^(٣): " لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي كذب باتفاق الناس فإن ذا الفقار لم يكن لعلي ولكن كان سيفاً لأبي جهل غنمه

١ . ابن حبيب ، المنمق ، ٤١١ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٣٧/٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،

٣٣٠/٦ ، الزرندي الحنفي ، نظم درر السمطين ، ١٢١ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٧٢ / ٧ ، المقرئزي ، إمتاع الأسماع ، ١٣٦/٧ ، ابن الصباغ ، الفصول المهمة ، ٣٢٧/١ .

٢ . ابو جعفر الاسكافي ، المعيار والموازنة ، ١٤٨ ، الكوفي ، المناقب ، ٤٩١/ ١ ، النعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ٣٨١ / ٢ ، ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٣٢٨ / ٢ ، ابن حاتم ، الدرر النظيم ، ٣٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٥٤ / ٢ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ٢٩١/ ٢ .

٣ . جاء هذا رداً على قول العلامة الحلي من ان هذه المناداة قد تكررت في معركة أحد .

المسلمون يوم بدر فروى الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس قال تنفل رسول الله صلى الله عليه و سلم سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد قال رأيت في سيفي ذي الفقار فلا فأولته فلا يكون فيكم ورأيت أني مردف كبشا فأولته كبش الكتبية ورأيت أني في درع حصينة فأولتها المدينة ورأيت بقرا تذبح فبقر والله خير فكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ، وهذا الكذب المذكور في ذي الفقار من جنس كذب بعض الجهال أنه كان له سيف يمتد إذا ضرب به كذا وكذا ذراعا فإن هذا مما يعلم العلماء أنه لم يكن قط لا سيف علي ولا غيره ... (١)

إن ابن تيمية هنا يدعي اتفاق الناس على كذب المناداة ، ولفظة الناس تشمل أهل العلم في مختلف اختصاصاتهم إذ من المستبعد أن يعضد رأيه برأي الجهلة وإنما كان مقصوده العلماء، والعجيب أن ابن تيمية لم يذكر لنا اسم واحد من هؤلاء وإنما أطلق اللفظة دون بيان مصداقها ، هنا لابد من الإشارة إلى حقيقة أساسية ينبغي الالتفات إليها وهي أن ابن تيمية لا يعطينا مقياس معلوم وآلية واضحة ومحددة لمعرفة أهل العلم ، فهو لا يمتلك منهجية ثابتة في تحديد الشخصية العلمية ، وما يمكن استنتاجه في ذلك ، إن كل من ذكر فضيلة لعلي (عليه السلام) تخالف هوى ابن تيمية وما يتبناه من فكر لا يعد من أهل العلم ، وأن كل من رد مناقب الإمام أو جعله سواء بمنزلة الصحابة وصرح بمناقب بني أمية أو خلق لهم المناقب يعد من أهل العلم ، وبالتالي فليس من المستبعد أن يطلق لفظة جاهل على عالم أو عالم على جاهل لا لشيء إلا لكونه قد اختلف أو توافق مع آرائه أو منهجه فلا توجد وسطية في التقييم ، ولكن حتى هذا الأمر لا نجد له وجود في كثير من ردوده في منهاج السنة فلم يأت بذكر شخص واحد قد وافقه في ذلك، ولو تساءلنا عن سبب ذلك لوجدنا إن ابن تيمية يعتمد هذا الأسلوب في المواطن التي لا يستطيع أن يرد فيها على ما ورد من أحاديث مادحة للإمام علي (عليه السلام) أما لصحة سندها أو لكثرة الذاكرين لها من العلماء والباحثين وتواتر النقول في أنها من مختصات الإمام (عليه السلام)، وهذا ما فعله في مسألة المناداة التي قال باتفاق الناس على كذبها وأن سيف ذو الفقار لم يكن للإمام علي (عليه السلام).

١ . منهاج السنة ، ٨ / ١٠٢ . ١٠٣ .

إن ما يتوجب علينا في هذا الجانب هو استقصاء أمران : الأول حقيقة المناداة وهل لها وجود في معركة احد ، والثانية ذو الفقار وعائديته بعد معركة بدر وهل هو سيف للإمام أم لغيره وكيف حصل عليه الإمام .

أما فيما يخص المناداة فإننا وجدنا أن المسلمون بمختلف توجهاتهم العلمية يسطرون هذا في كتبهم دلالة على مكانة الإمام الجهادية ويعدونه من الأمور المتسالم عليها دون أن يشكوا في الحديث أو يكذبوه (١)، ولكنهم يختلفون في المناسبة التي جاء فيها كما صرح بذلك السيد المرعشي (٢) .

ولو طالعنا المصادر المذكورة لوجدنا أنها تفرز جملة من النتائج هما :

١. أن أهل العلم والمعرفة يجمعون على صحة هذا الحديث وعدم كذبه وهذا يفند كلام ابن تيمية السابق.
٢. امتداد رواة الحديث على طيلة العهد الإسلامي ، ولو أردنا التدقيق لوجدنا أنه ما من قرن من القرون إلا ووجد من قد روى ذلك الأمر فيها حتى وقتنا الحالي.

١- ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣ / ١٦٥ ، أبو جعفر الاسكافي ، المعيار والموازنة ، ١٤٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٢ / ١٩٧ ، الفاضلي النعمان ، شرح الأخبار ، ١ / ٢٨٢ ، ابن عدي ، الكامل في الضعفاء ، ٥ / ٢٦٠ ، الطبري الشيعي ، المسترشد ، ٣٤٨ ، الفتحال النيسابوري ، روضة الواعظين ٤٧٦ ، السهيلي ، الروض الأنف ، ٢ / ٢٨٨ ، ابن شهر آشوب ، المناقب ، ٢ / ٣١٦ ، ابن البطريق ، العمدة ، ٣٢٨ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٣٩ / ٢٠١ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ١٥٤ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧ / ٢١٩ ، ١٠ / ١٨٢ ، ١٣ / ٢٩٣ ، ١٤ م ٢٥١ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ١٧٣ ، ابن مردويه ، المناقب ، ٣٠١ ، الكوفي ، المناقب ، ١ / ٤٩١ ، محمد بن طلحة الشافعي ، مطالب السؤل ، ٢٠٢ ، ابن حاتم ، الدر النظيم ، ١٦٠ ، الذهبي ، لسان الميزان ٣ / ٣٢٤ ، ابن كثير ، البداية و النهاية ، ٤ / ٥٤ ، ٦ / ٦ ، السيرة النبوية ، ٣ / ٩٤ ، ٤ / ٧٠٧ ، الخطيب التبريزي ، الإكمال في أسماء الرجال ، ٦٧ ، الزرندي الحنفي ، نظم درر السمطين ، ١٢٠-١٢٢ ، سبط ابن العجمي ، الكشف الحثيث ، ٢٠٥ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٥ / ٧٢٣ ، وللاستزادة ، ينظر : الأميني ، الغدير ، ٥٩ / ٥٤ .

٢. شرح إحقاق الحق ، ٦/٢٢.

٣. التنوع المعرفي في الرواة ومصنفاتهم فمنهم من كان محدثاً ومنهم من كان لغويًا ومنهم من كان حافظًا ومنهم من كان فقيهاً ، وقد تنوعت نتاجاتهم التي ذكروا تلك المناداة فيها فمنها كتب أدب ولغة وكتب تاريخ وسير ومغازي ومناقب .
٤. وثيقة الناقلين لهذا الحديث بحيث لا يستطيع احد أن يقدر فيهم ، ومنهم من وثقه ابن تيمية نفسه كما في أحمد بن حنبل و ابن هشام و الطبري وغيرهم .
٥. انتماء بعض الناقلين لهذا الحديث لمدرسة ابن تيمية واعتبارهم من تلامذته والمحسوبين عليه كما هو حال الذهبي وابن كثير ، وان كان الذهبي قد غمز الحديث لوجود عيسى بن مهران في سنده ولكن بعد التعرف على سبب الطعن بعيسى بن مهران تبين أن مرد ذلك لكونه رافضي محترق بالرفض^(١) ، ولعل الغمز بسبب هذا الأمر قد انسحب على كلا من ابن الجوزي^(٢) و ابن حجر^(٣) والسيوطي وابن العجمي^(٤) ، مما يشير إلى أن التقييم العلمي لدى هؤلاء في هذا الجانب قد جاء متأثر بالميول المذهبية العقديّة ولا دخل له بالحقيقة العلمية .

و حتى مع ما قام به ابن كثير من تلاعب برواية ابن هشام للحديث في احدى موارده بقولة "نادى مناد يوم أحد لا سيف إلا ذو الفقار"^(٥) دون أن يشير إلى المقطع الثاني من رواية ابن هشام والخاص بالإمام علي ، إلا أنه ذكر ذلك الحديث بنصه في مورد آخر^(٦) .

٦. تنوع انتماء المؤلفين من حيث المذهب والبلد ، فمنهم من كان شيعياً ومنهم من كان شافعيًا ومنهم من كان مالكيًا ، ومنهم من كان مشرقياً ومنهم من كان مغربياً .
٧. صدور هذا الحديث في أكثر من مناسبة فهو قد سمع في بدر^(١) ، وسمع في احد ، ومن الرواة من رواه بشكل عام دون أن يشير إلى مناسبة صدوره كما صرح بذلك السيد

١ . ميزان الاعتدال ، ٣ / ٣٢٤ .

٢ . الموضوعات ، ١ / ٣٨٢ .

٣ . لسان الميزان ، ٤ / ٤٠٦ .

٤ . الكشف الحثيث ، ٢٠٥ .

٥ . البداية والنهاية ، ٤ / ٥٤ ، السيرة النبوية ، ٣ / ٩٤ .

٦ . البداية والنهاية ، ٦ / ٦ ، السيرة النبوية ، ٤ / ٧٠٧ .

المرعشي مما قد يدل على تعدد مرات النداء وبالتالي يمكننا القول أن النداء ب) لا فتى إلا علي (قد سمع في بدر وأحد والخندق ولم يقتصر سماعه في بدر أو أحد وبالتالي هذا يدعونا إلى القول أن تعدد مناسبات النداء جعلتنا نتخيل وجود تضارب واختلاف في تحديد المناسبة ولعل ما يعضد رأينا هو أننا نجد من رواة ذلك الأمر من جعله في بدر ثم رواه مرة أخرى في احد، وقد التفت السيد المرعشي إلى ذلك وصرح به^(٢).

٨. كما تعدد الروايات في من أطلق هذا النداء ، فمنها من قال إنه جبرئيل ومنها من قال انه رضوان ومنها من لم يحدد واكتفى بالقول وسمع مناد ينادي.

إن اثبات ذلك الأمر ومناقضته لما صرح به ابن تيمية يجعلنا نشكك بكل ما يورده ويدعي كذبه ، فهو حقا يمتلك من الجرأة الكبيرة التي تسمح له أن يصادر هذا الأمر ويمحوه من مصادر المسلمين التي ذكرته ، وأن حاول البعض أن يعتذر له بالقول من أن سبب ذلك راجع إلى أن ابن تيمية اعتمد على حفظه ولم يستطع وقت تأليف المنهاج أن يستخرج الأمور من مضانها وبالتالي قد رد كثير من الأحاديث الجياد والأمور الثابتة بسبب ذلك لا معاداة للإمام علي (عليه السلام)^(٣).

بعد أن تبثت تلك المناداة ، كان من ضمن اشكالات ابن تيمية عليها لغرض تضعيفها وبالتالي الطعن بمكانة الإمام الجهادية وإمكاناته هو أن ذو الفقار " لم يكن لعلي " فهل من المصادر من صرح بعائدية ذلك السيف بعد معركة بدر لمن كانت ؟

إن المصادر التي اثبتت المناداة هي نفسها من أثبت أن ذو الفقار سيف الإمام علي عليه السلام ولكن نشير إلى نصوص صريحة في ذلك:

- ١ . ابن حبيب ، المنمق ، ٤١١ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ١٦٧ ، ابن أبي حاتم ، الدر النظيم ، ١ / ١٦١ ، ابن الدمشقي ، جواهر المطالب ، ١ / ١٨٩ .
- ٢ . شرح إحقاق الحق ، ٢٢/٦ .
- ٣ . صاحب هذه المقالة هو ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ، ٦/٣٢٠ .

- "أن هذا السيف لمنبه بن حجاج السهمي كان مع ابنه العاص بن منبه يوم بدر فقتله علي (عليه السلام) واتى به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بعد ذلك فقاتل به دونه يوم أحد" (١) .

- "سيف رسول الله صلى الله عليه وآله كان للفقار كان للعاص بن منبه بن الحجاج بن عامر السهمي فقتله علي رضي الله عنه يوم بدر وجاء بسيفه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فنقله إياه" (٢) .

- "العاص ابن نبيه قتل مع أبيه وكان له ذو الفقار قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم بدر وأخذ منه وقال غير ابن الكلبي إن ذا الفقار أعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي رضي الله عنه" (٣) .

. تتفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيفه ذا الفقار يوم بدر ثم وهبه لعلي بعد ذلك (٤) .

- "وذكر الزبير بن بكار ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعطى ذا الفقار علي بن أبي طالب يوم أحد ، ويقال إن ذا الفقار كان لنبيه بن الحجاج ، وقال الكلبي : كان للعاص بن منبه بن الحجاج" (٥) .

وبعد هذا هل تشدد ابن تيمية في طرح الاشكالات على غير الامام علي (عليه السلام) من الصحابة في هذه المعركة أم أنه عمد إلى خلق المناقب لإعطاء قيمة جهادية لتلك الشخصيات ، في الحقيقة نراه لا يجد ما يمجد به الصحابة إلا ومجدهم به دون أن يعمل آليات التمهيص أو التدقيق التي استخدمها مع الإمام علي (عليه السلام) بل يأخذ ما نسب لهم من المآثر على أنها من المسلمات التي لا تحتاج إلى أدنى إحكام للعقل أو للفكر فيها ، وهذا ما لاحظناه في إعطائه قيمة عليا لوجود ابو بكر مع الرسول في العريش ، إذ يقول:

١ . الزرندي الحنفي ، نظم درر السمطين ، ١٢١ ، ابن الصباغ ، الفصول المهمة ، ٣٢٧/١ .

٢ . ابن حبيب ، المنمق ، ٤١١ .

٣ . ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٣٣٠/٦ .

٤ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٣٧/٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٧٢ / ٧ .

٥ . المقرئ ، امتاع الأسماع ، ١٣٦/٧ .

- " كان هو وحده معه في العريش يوم بدر^(١)... كذلك لما كان يوم بدر لما صنع له عريش كان الذي دخل معه في العريش دون سائر الصحابة أبو بكر^(٢)... و يوم بدر لم يبق معه في العريش غيره... وكان يوم بدر مع النبي صلى الله عليه و سلم في العريش مع علمه بأن العدو يقصدون مكان رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو ثابت القلب ربيط الجأش يظهر النبي صلى الله عليه و سلم ويعاونه ولما قام النبي صلى الله عليه و سلم يدعو ربه ويستغيث ويقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذا العصاة لا تعبد اللهم جعل أبو بكر يقول له يا رسول الله هكذا مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك وهذا يدل على كمال يقين الصديق وثقته بوعد الله وثباته وشجاعته شجاعة إيمانه إيمانية زائدة على الشجاعة الطبيعية^(٣).

- " أن يقال من المعلوم لعامة العقلاء أن مقدم القتال المطلوب الذي قد قصده أعداؤه يريدون قتله إذا أقام في عريش أو قبة أو حركاه أو غير ذلك مما يجنبه ولم يستصحب معه من أصحابه إلا واحدا وسائرهم خارج ذلك العريش لم يكن هذا إلا أخص الناس به وأعظمهم موالاة له وانتفاعا به وهذا النفع في الجهاد لا يكون إلا مع قوة القلب^(٤).

كل هذه الأمور ولم نجد لأبن تيمية ولو كلمة واحدة ناقدة أو فاحصة لصحتها أو كذبها فهو قد أخذها أخذ المسلم بها دون أن يعاملها بالطريقة نفسها التي عامل بها ما جاء من مناقب للإمام علي (عليه السلام) وإمكاناته الجهادية في هذه المعركة وغيرها ، فهو لم يكلف نفسه أن يستقصي صحة سند هذه الرواية ذلك الأمر الذي شغله كثيراً عندما يتعرض لجهاد الإمام علي ، كما إنه لم يستشهد بإتفاق العلماء عليها ذلك الأمر الذي اعتبره مصدر اساسي في تضعيف مناقب الإمام ، فهلا استشهد به ليكون مصدر له في ابراز قوة مناقب أبي بكر ، فلماذا يا ترى تركها ابن تيمية هنا وأكد عليها في مواضع خاصة بجهاد الإمام علي (عليه السلام) ، ألا يعني ذلك غياب الموضوعية في الطرح والكيل بمكيالين مختلفين والنظر بعين

١ . منهاج السنة ، ٣ / ٢١٦ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٧٦ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٢٢٨ .

٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٦٨٥ .

عمياء تارة وأخرى بصيرة متتبعة ، ألا يعني ذلك غياب الفلسفة الثابتة في النظر للمواضيع وعدم اعتماد منهجية موحدة يخضع كلا الطرفين لها دون الابتعاد كل البعد عن الحيادية في دراسة هذه المواضيع .

رابعاً : الدور المحوري للإمام علي (عليه السلام) في المعارك ومعالجات ابن تيمية .

لا يمكن لمعركة أحد وما جرى فيها من إمكانات علوية أن تعالج من قبل ابن تيمية معالجة هادئة يضبطها الإيقاع العلمي المبني على أساس الحقيقة لتتخذ نمطاً مغايراً عن النمط الذي خضعت له معركة بدر ، فالذي يبدو أن هناك منهجية ثابتة ومتماثلة في الطروحات التي أُخضع لها كل ما نُسب للإمام علي (عليه السلام) ، إلا أن المواضيع التي عالجها تماشت مع الجوانب الجهادية التي برزت ، فكان أن عالجها وفقاً لرؤيته الخاصة التي يمكن حصرها باتجاهين هما:

١. استعراض جهود الصحابة قبالة جهود الإمام وتقديم الاعتذار للمقصرين منهم .

لقد أثارت الروايات التي طرحها العلامة ابن الحلي والدالة على جهود الإمام المبذولة في معركة أحد ابن تيمية لذا عمد أن يستعرض ما للصحابة من جهود ، فمنهم من دافع عن النبي حتى قتل هو وأصحابه وهذا حال زياد بن السكن^(١) ، ومنهم من اتقى الضربات الموجهة للرسول بيده فشلت يده ومنهم من اتقى النبال بظهره وهذا حال أبو دجاجة^(٢) في حين قد جمع

١ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣ / ٥٩٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ١٩٨ ، ابن الأثير ،

أسد الغابة ، ٤ / ٤٩ ، ٥ / ١١٣ .

٢ . البخاري ، الصحيح ، ٥ / ٢٣ ، مسلم ، الصحيح ، ٥ / ١٩٦ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ /

١٤٨ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١ / ١٦٦ .

الرسول أبويه لسعد بن ابي وقاص حين رمى السهام بين يدي رسول الله^(١) ، وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت فردها الرسول فكانت أحسن عينيه^{(٢)(٣)} .

وحقيقة أن جهود الصحابة المبذولة للدفاع عن الإسلام والنبى (صلى الله عليه وآله) في هذه المعركة هي جهود مشكورة لهم ومحفوظة عند الله سبحانه وتعالى ولكن أن يستعرضها ابن تيمية لغرض المتاجرة والطعن بجهود صحابي قد فاقهم جمعياً في ذلك الدفاع هذا هو الأمر المرفوض ، فالذي يتبين من استعراض ما أورده من أمثله أنه يحاول أن يوهم المتلقي من أن علياً لم يكن صاحب جهد في هذه المعركة وان كان بذل جهداً فالصحابه قد بذلوا أكثر منه فمنهم من قتل ومنهم من جرح ومنهم من أصيب بعاهة لازمته طوال حياته في حين لم يكن ذلك له ، والغريب أن ابن تيمية يثبت ما تعرض له الصحابة من جراحات ويعتمد على ما نقله ابن إسحاق ولا يطالب بصحة الإسناد الذي كثيراً ما طالب به ، كما أنه ينفي تعرض الإمام علي لمثل هذه الجراحات ، فلو اثبت لعلي ما اثبت للصحابه لنفينا أن تكون تلك المحاولة مقصودة ولكن أن يجرد الإمام من ابسط الجهود فهذا ما يدعونا إلى القول أن ابن تيمية يعتمد الصحابة كمطية يسوق من خلالها منطلقاته وآرائه الفكرية التي عالجت بسلبية مكانة الإمام علي (عليه السلام) في الإسلام وهذا ما نجده ماثلاً للعيان وبشكل أكثر وضوح عند التعرض لشخصية أبو بكر وعمر وعثمان فهو يجعل منهم سبيلاً "سالكا وله من المقبولية الشيء الكثير ليطعن بالإمام علي ، وهو في الحقيقة قد لا يبتغي الدفاع أو إظهار مناقبهم بقدر ما يهدف إلى ضرب شخصية الإمام علي من خلالهم هذا بالدرجة الأولى ثم قد يكون القصد هو إثبات صحة الخلافة لهؤلاء بالدرجة الثانية.

وبالتالي فإننا قد نصل إلى نتيجة مفادها أننا إذا وجدنا ابن تيمية يقارن بين الإمام وغيره من الصحابة ويرجحهم عليه فعلينا أن نعرف أن المقصود هو استهداف الإمام أولاً وقبل

١ . احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ١٣٧ ، البخاري ، الصحيح ، ٣ / ٢٢٨ ، مسلم ، الصحيح ، ٧ / ١٢٥ .

، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ١٩٨ .

٢ . ابن سعد ، الطبقات ، ٣ / ٤٥٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ١٩٨ ، ابن عساکر ، تاريخ

دمشق ، ٤٩ / ٢٨١ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٤ / ١٩٥ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٣٩ . ٤٤٠ .

كل شيء ومن ثم قد يكون دفاعاً عن الصحابة أو إظهاراً لمناقبتهم وخلق مناقب غير موجودة أو النفخ في جهود مبذولة والاستفادة منها في شرعنة تشنيعه على الإمام وتضعيف مكانته، وهذا ما نجده ماثلاً وبصورة واضحة في قوله " فهذا جيش المشركين إذ ذاك . يعني في معركة احد . لا يسأل إلا على النبي صلى الله عليه و سلم و أبي بكر و عمر فلو كان القوم خائفين من علي أو عثمان أو طلحة أو الزبير أو نحوهم أو كان للرسول تأييد بهؤلاء كتأييده بابي بكر و عمر لكان يسأل عنهم كما يسأل عن هؤلاء " (١) .

فهو هنا يشير إلى المناداة التي أطلقها أبو سفيان بعد المعركة في محاولة منه للاستعلام عن حال الرسول (صلى الله عليه وآله) أقتل أم لازال حياً ويجعلها دليلاً على مكانة ابو بكر وعمر ؟ ! .

وحقيقة أن كلام ابن تيمية هذا يثير الاستغراب فهو تارة يشيد بموقف طلحة وأنه قد بذل من الجهد الكبير في الدفاع عن النبي ، ولكن يصبح جهد طلحة في هذا الموقف أقل بكثير من جهد أبو بكر إن لم يكن له أي جهد وهذا يعني أن ابن تيمية قد يناقض نفسه في الموقف الواحد لا لشيء إلا للطعن بالإمام من جهة وأخرى خلق جهود للخلفاء وإلا فهو قبل قليل يذكر جهود طلحة ويثني عليها ويورد رواية ابن إسحاق الدالة على ذلك ، وكان هدفه من ذلك هو الطعن بالإمام ، ولكن جهاد طلحة قد تغيرت قيمته كون الأسماء قد تغيرت هنا .

من جهة أخرى أن ابن تيمية قد صرح بتأييد الرسول (صلى الله عليه وآله) بأبي بكر وعمر دون الباقيين ، ولكن لم يصرح لنا عن كيفية ذلك التأييد ولماذا ظفروا به ؟! هل بجهود قدموها قد فاقت جهود الصحابة الباقيين كان عليه أن يذكرها ؟! ، أم أخذاً بمقولة مشرك كافر قد صرح بها ، وحقيقة لا أعتقد أنه يقبل أن يكون دليله على عظم تأييدهما للرسول (صلى الله عليه وآله) قائماً على قول ذلك المشرك ، وحتى لو كان ذلك المشرك قد قال ذلك ألا يجدر بابن تيمية أن يبحث في مضان الكتب الإسلامية ليثبت دعوته تلك خيراً له من أن يعتمد على قول أبي سفيان ، ولكن إدراكه بأن المصادر الإسلامية لا تسعفه في إيجاد أدله على اختصاصهما بتأييد الرسول اضطره أن يعتمد قول ذلك المشرك ، وهو بالتالي كما قال

١ . منهاج السنة ، ٣ / ١٩٧ .

الحصيني في نقده لمنهجية ابن تيمية "إن وجد شيئاً يوافق هواه وخبث طويته ذكره ووسع الكلام فيه وزخرفه" (١) حتى ولو كان كلام كافر مشرك.

كما أنه مما يؤشر على ابن تيمية هنا انه يجعل من ذكر اسمهما من قبل أبو سفیان دلالة على عظم تأييدهما للرسول (صلى الله عليه وآله) ، دون ان يشير إلى ذيل الرواية والذي يذكر من أن أحدهما وفي الموقف المذكور نفسه قد عمد إلى عصيان الرسول (صلى الله عليه وآله) وعدم الامتثال لأمره (٢) ، فلو أتى بموقف آخر وجعله دليلاً على عظم تأييدهما للرسول لكان أليق و أما أن يستدل على عظم التأييد من موقف ثبت فيه عصيان أحدهما هذا مما لا يقبله العقل ولا المنطق .

ومما يلفت الانتباه هنا أن ابن تيمية يخرج عما عهد عنه من أنه يؤخر اسم الإمام فنراه هنا يقدمه على عثمان " فلو كان القوم خائفين من علي أو عثمان أو طلحة أو الزبير أو نحوهم" (٣) وهذا الأمر غير وارد عند ابن تيمية فلماذا يا ترى قدم اسم الإمام ؟ .

لا يوجد تفسير لذلك إلا لكون الموقف المذكور سلبي لذلك فليس عند ابن تيمية شخص من المذكور اسمائهم يتصف بالسلبية بالدرجة الأولى أكثر من علي فهو رجل سلبي في كل مواقفه وقد فاقت سلبيته كل الصحابة لذا قدمه ، وإن ما نراه من أسماء ذكرها ابن تيمية ما هي إلا محاولة لذر الرماد في العيون كما يعبر وإلا فالحقيقة إن المقصود من ذلك هو الإمام علي لا غيره غير أنه اضطر أن يأتي بأسماء هؤلاء للتغطية على مقصده الحقيقي.

إن ابن تيمية لم يكتف باستعراض جهود الصحابة وجعلها في مقابل جهود الإمام (عليه السلام) في هذه المعركة بل أقدم على تقديم العذر حتى للصحابة الذين قد ثبت عصيانهم وتقصيرهم في هذه المعركة ، والمثاليين الأبرز في ذلك هما عمر وعثمان:

١ . الحصيني ، دفع شبه من شبه ، ١٠٥ .

٢ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٠٩/٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٢٠٦ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ١٨٢ .

فأما عمر فقد ذكر ابن تيمية نفسه أن أبا سفيان قد نادى المسلمين بعد هزيمتهم في أحد "أفيكم محمد فقال النبي صلى الله عليه و سلم لا تجيبوه فقال أفيكم ابن أبي قحافة فقال النبي صلى الله عليه و سلم لا تجيبوه فقال أفيكم ابن الخطاب فقال النبي صلى الله عليه و سلم لا تجيبوه فقال أما هؤلاء فقد كفيتموهم فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت عدو الله إن الذين عدت لأحياء وقد أبقى الله لك ما يخزيك"^(١)

فهو هنا وبصريح القول يؤكد أن عمر قد عصى أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بعدم الإجابة ، ولكن لغرض تبرئة ساحة عمر من هذا العصيان لأمر الرسول (صلى الله عليه وآله) أيد ما كان قد تماشى عليه الأقدمون من الذين اعتذروا لعمر عن هذا العصيان بأنه كان نتاج لعدم تمالك النفس ، ولكن الذي يثير الفضول العلمي هنا هو لماذا كان الرسول مصراً على عدم إجابة أبو سفيان ، أهو بدافع الخوف أم لشيء آخر ، ولماذا أجاب عمر أبو سفيان من أن الرسول موجود هاهنا^{(٢)؟!}

في الحقيقة إن من بين استراتيجيات الرسول (صلى الله عليه وآله)^(٣) عند تعرض المسلمين إلى هزيمة أن يقرأ الواقع بعين ثاقبة وبصيرة نابغة من روح القائد العسكري المحيط بظروف الهزيمة وأسبابها ومدى الأذى الذي لحق بالمسلمين منها ، فإن أيقن أن قدرة المسلمين العسكرية تتناسب مع ما موجود من معطيات على أرض الواقع ولها الإمكانية على تغيير النتيجة لصالح المسلمين فإنه يعاود كرة القتال وتكون النتيجة كما أراد وهذا ما حصل في معركة حنين^(٤)، فإن عنصر المباغته الذي حصل حينها جعل جيش المسلمين ينهزم ، ولكن

١ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٦٠٩/٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٢٠٦ ، منهاج السنة ، ٥ / ٢٠ .

٢ . ابو داود الطيالسي ، المسند ، ٩٩ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ٥ / ١٩٠ .

٣ . ينظر عن استراتيجيات الرسول العسكرية ، الدكتور حميد سراج الأسدي : الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول بجميع صفحاته .

٤ . ابن سعد ، الطبقات ، ١٥١/٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٣٤٨ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤ / ١٥ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٢٦٤ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢ / ٥٧٩ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤ / ٣٥٧ .

الرسول كان متيقن من أن الإمكانيات موجودة لذا صمد في المعركة وجعل يشير إلى نفسه ومكان تواجدته و فعلا تحقق النصر .

ولكن الأمر كان مختلفا في أحد إذ أصيب المسلمون بانتكاسة مروعة سقط خلالها مجموعة من أهم القادة صرعى في ساحة المعركة وما تبقى فإن قسم منه قد أصيب بجراحات بالغة جدا وقسم منهم قد عاش حالة من الانهزام النفسي ، مما حتم على رسول الله أن يتوارى عن الأنظار والحفاظ على ما تبقى من المسلمين كوّن النزول بهم في هذا الظرف سوف لن يغير من الأمر شيئا إن لم يؤد إلى فقدان ما تبقى من المقاتلين ، ولكن عمر لم يكن مدركاً لذلك الحس العسكري والنابع من رؤية قيادية كان يتحلى بها النبي (صلى الله عليه وآله) ، فدفعه تهوره إلى أن يصرح بما عاكس به مبتغى الرسول القائد ،وكاد بسببها أن يلحق ابلغ الضرر بالمسلمين وقائدهم.

والمثال الثاني الذي قدم ابن تيمية له الأعذار هو عثمان فقد صرحت المصادر الإسلامية بأنه قد فر من معركة أحد ، وهذا ما أيده ابن تيمية^(١) ، ولكن عمد إلى تقديم العذر له بعدة أمور :

- أن التولي يوم أحد قد عفا الله عنه مستشهدا بقوله سبحانه وتعالى " إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ " ^(٢) فقد عفا الله عن جميع المتولين يوم أحد فدخل في العفو من هو دون عثمان فكيف لا يدخل هو فيه مع فضله وكثرة حسناته^(٣).

- نفي أن يكون عثمان قد رجع إلى المدينة بعد ثلاثة أيام^(٤) ، ولكن في الحقيقة الروايات تشير إلى ذلك صراحة ، فرواية الطبري واضحة في ذلك إذ قال : " قد كان الناس انهزموا عن

١ . منهاج السنة ، ٦ / ٢٩٧ .

٢ . سورة آل عمران ، الآية : ١٥٥ .

٣ . منهاج السنة ، ٦ / ٢٩٧ .

٤ . منهاج السنة ، ٦ / ٢٩٧ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعوص^(١) وفر عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان رجلاً من الأنصار حتى بلغوا الجلعب جبلاً بناحية المدينة مما يلي الأعوص فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة^(٢).

فالرواية هنا تؤكد عكس ما نفاه ابن تيمية في محاولته لتخفيف هرب عثمان بن عفان بل ولم تكتف به إذ أنها قد ذهبت بعيداً في توصيف هربه فهي قد حددت الوجهة التي قصدتها وهي جبل الجلعب ، ذلك الجبل الذي يبعد مسافة بريدين حسب ما ذكر البكري^(٣) ، أو حسب ما ذكر ابن حبيب فإنه يبعد ٢٢ ميلاً^(٤).

لقد تعامل ابن تيمية بروح التماس الاعذار لعمر وثمان حتى بلغ به الأمر للكذب الصريح بتكذيب المصادر الموثقة التي ذكرت هروب عثمان ، ولكن مثل هذه الروحية مفقودة في تعامله مع ما ثبت من مناقب للإمام في هذه المعركة مما يشير إلى عدم الموازنة في التعامل مع الصحابة ، وهذا ما سيتبين فيما يأتي .

٢ . نفي أثر الإمام وجهوده في قتال المشركين والدفاع عن الرسول (صلى الله عليه وآله).

كان الاتجاه الثاني الذي تعامل ابن تيمية بموجبه مع شخصية الإمام وجهاده في معركة أحد قائماً على أساس النفي لجهود الإمام في المعركة وذلك من خلال:

أ- نفي اختصاص الإمام بحمل لواء الرسول في هذه المعركة : لقد نفى ابن تيمية أن يكون لواء النبي مع الإمام علي عليه السلام فالقول بأن لواء النبي " معه في كل زحف فإن هذا من

١ . المنقى طريق بين أحد والمدينة يسلكه العرب إلى الشام ، والأعوص وادي شرقي المدينة يبعد عنها عشرة أميال ، فيه ديار باهلة ، البكري ، معجم ما استعجم ، ١ / ١٧٣ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ١ / ٢٢٣ ، ٥ / ٢١٥ .

٢ . ابن اسحاق ، السير والمغازي ، ٣٣٢ ، الطبري ، التفسير ، ٩٧ / ٤ ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٢٠٣ .

٣ . معجم ما استعجم ، ٢ / ٣٨٩ .

٤ . المحبر ، ٢٨٤ .

الكذب المعلوم إذا لواء النبي صلى الله عليه و سلم كان يوم أحد مع مصعب بن عمير باتفاق الناس ولواؤه يوم الفتح كان مع الزبير بن العوام^(١).

فهو هنا قد نفى أن يكون لواء الرسول في كل زحف مع الإمام ، وصرح بأن لواء الرسول كان يوم أحد مع مصعب بن عمير وهذا الأمر متفق عليه من قبل الناس ، وأنه يوم الفتح كان مع الزبير ، وبالتالي فإن لدينا ثلاثة مطالب يتوجب علينا الخوض فيها ، وهي

. هل هناك من الروايات ما صرح بأن لواء الرسول في كل زحف كان مع الإمام ؟ .

. من حمل لواء الرسول يوم أحد هل هو مصعب بن عمير أم الإمام علي عليه السلام ؟ .

. من حمل لواء الرسول يوم الفتح هل الزبير بن العوام أم شخص آخر ؟ .

وقبل الإجابة نشير هنا إلى أن ابن تيمية يستخدم الآلية نفسها التي نوهنا عنها سابقا وهو ادعاء الإجماع والتواتر النقلي على نفي ما ورد من مناقب للإمام علي (عليه السلام) ، وقلنا حينها أننا إذا ما وجدنا مثل ذلك فعلى أن نتعامل معه بحذر كون ابن تيمية يستعمله في المواطن التي لا يستطيع أن يرد تلك المناقب وذلك لغرض الإيهام والتعمية.

عندما نستجلي المصادر التاريخية نتفاجئ من تأكدها على حسم المطالب الآنف الذكر كلها لصالح الإمام علي (عليه السلام) خلافاً لما يدعيه ابن تيمية ، وعلى الرغم من أن هذه المصادر قد أفادتنا في اثبات ما يعاكس كلام ابن تيمية^(٢) ، إلا أنه زدنا بمعلومات جديد عن لواء الرسول (صلى الله عليه وآله) أهمها:

١ . منهاج السنة ، ٢٣٩/٣ .

٢ . ابن سعد ، الطبقات ، ٢٥/ ٣ ، ابن أبي شيبة ، المصنف ، ٢٨٨ / ٥ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٣٨/ ٢ ، الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٢٤١ / ٥ ، المعجم الكبير ، ٣١١ / ١١ ، القاضي النعمان المغربي ، ٥٤٣ / ٢ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ١٣٧ / ٣ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ٣٥٨ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٢٠ / ٤ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٨٩ / ٦ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٣٢١ / ٥ ، المقرئ ، إمتاع الأسماع ، ٣٦ / ١٢ ، وينظر ، المرعشي ، شرح أحقاق الحق ، ٥٢٤/ ٨ وما بعدها ، العاملي ، الصحيح من سيرة الرسول ، ١١٥ / ٦ وما بعدها .

- أن للرسول لواء يوم القيامة يرفع في المحشر وهو لواء الحمد كما صرحت به الروايات ، وان من يتشرف بحمل هذا اللواء هو الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ^(١) ، وبالتالي فهو صاحب لواء رسول الله في الدنيا والآخرة ، وان من اكد هذه الحقيقة هو الرسول (صلى الله عليه وآله).

- أن هناك من الروايات من صرحت بأن مصعب بن عمير كان قد حمل لواء الرسول في أحد غير أن رواية ابن اسحاق التي رواها جملة من المؤرخين تشير إلى أن إعطاء اللواء لمصعب كان أمراً طارئاً ، فلواء الرسول (صلى الله عليه و آله) كان مع الإمام (عليه السلام) غير انه وبعد أن علم أن من يحمل لواء المشركين هم بنو عبد الدار أعطى اللواء لمصعب كونه من بني عبد الدار قائلاً " قال نحن أحق بالفداء منهم " ^(٢) .

ثم بعد أن استشهد أرجعه الرسول إلى صاحبه الحقيقي وهو الإمام علي (عليه السلام) ^(٣) ، وهذه الرواية قد أمدتنا بأمر في غاية الأهمية مفاده أن كثير من الروايات التي تخص الإمام علي ومناقبه قد تعرضت لحركة كبيرة من الإقصاء والتغيب والوئد و بروز ظاهرة اشراك الغير في مناقب هي من مختصات الإمام علي عليه السلام ، فنحن هنا نرى كيف تحول حمل مصعب بن عمير اللواء الرسول نتيجة لطارئ معين الى أمر مختص بمصعب وهذا ما أكد عليه ابن تيمية في ماسبق وتثبت به لينفي حمل الإمام اللواء .

- إن من صرح بأن الإمام علي كان هو صاحب لواء الرسول هم أشخاص إما ممن أيد ابن تيمية صدقهم أو اعتمد على رواياتهم كما في ابن هشام وابن اسحاق والطبري ، ومن ثم فإن

١ . أحمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٥ / ١٠٠ ، ١١ / ١١٤ ، ١٣ /

١٢٤ ، ابن البطريق ، العمدة ، ٢٣٠ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ١٤٠ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ،

٣٥ / ٣٣٨ ، ٤٢ / ٥٤ ، ٤٢ / ٣٢٨ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩ / ١٦٩ ، الزرندي

الحنفي ، نظم درر السمطين ، ١١٩ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١١ / ٦٢٥ ، ١٣ / ١٢٩ .

٢ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٤٠ ، ينظر عن ذلك: ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،

١٤ / ٢٣٢ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٣ / ٣٩ ، البداية والنهاية ، ٤ / ٢٢ ، المقرئزي ، امتاع الأسماع ، ٧ /

١٦٦ .

٣ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٤ / ٢٣٢ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، ٣ / ٣٩ ، البداية والنهاية ،

٤ / ٢٢ ، المقرئزي ، امتاع الأسماع ، ٧ / ١٦٦ ، الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ٤ / ١٩٠ .

تأكيد الرسول (صلى الله عليه وآله) على حمل اللواء قد اعتبر على أنه مرحلة إعداد للقيادة الفعلية بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وأنه بمثابة النيابة العامة التي تستطيع ونتيجة لمؤهلاتها أن تسد الفراغ العسكري الذي يخلفه فقد الرسول (صلى الله عليه وآله) مما يعني أن هذا الأمر كان مفروغا منه عند الرسول القائد^(١).

- نفي قتل الإمام لأكثر المشركين في هذه المعركة وأن الفتح على يديه وعده من الأكاذيب و الخرافات التي يخاطب بها من لا يعرف الإسلام^(٢).

ولكن هل دلنا ابن تيمية على ما استند عليه في ذلك النفي، هذا ما لم نجده، وحقيقة هو قد تهرب من ايراد الدليل على ذلك النفي بأن ركز الحديث على عدم حدوث الفتح في هذه المعركة كون المسلمين قد هزموا فيها ، وراح يسترسل في ذلك غاضا الطرف عن ايراد الدليل على عدم قتل الإمام للمشركين^(٣) ، والعجيب اننا نجد ابن تيمية يسطر الكلمات دون أن يعن النظر فيها ،فهو يريد أن يخفي فضائل الإمام ولكن السماء تريد أن تظهرها وذلك من خلال كلام ابن تيمية نفسه ،فهو يقول أثناء رده على تلك الرواية " كان المسلمون قد هزموا العدو أولاً وكان النبي صلى الله عليه و سلم قد وكل بثغرة الجبل الرماة وأمرهم بحفظ ذلك المكان وأن لا يأتوهم سواء غلبوا أو غلبوا فلما انهزم المشركون صاح بعضهم أي قوم الغنيمة فنهاهم أميرهم عبد الله بن جبير ورجع العدو عليهم"^(٤) " ولم يكن علي ولا أبو بكر ولا عمر من الذين كانوا يدفعون عن النبي صلى الله عليه و سلم بل كانوا مشغولين بقتال آخرين"^(٥).

فهنا يشير ابن تيمية بصراحة ان المشركين قد انهزموا في بداية المعركة تاركين اسلحتهم ومعداتهم على الأرض مما اغرى الرماة أن ينزلوا من الجبل كي يشاركوا المسلمين في هذه الغنائم هذا يعني حدوث النصر،ولكنه أغفل سبب الهزيمة التي حلت بالمشركين ذلك

١ . المياحي ، الإمام علي (دراسة في فكره العسكري) ، ١٢٩ .

٢ . منهاج السنة ، ٩٦/٨ .

٣ . منهاج السنة ، ٩٦ / ٨ .

٤ . منهاج السنة ، ٩٦/٨ .

٥ . منهاج السنة ، ٩٦/٨ .

السبب الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بشخصية الإمام علي (عليه السلام)، فالهزيمة لا تحدث بدون قتال يقع فيه قتلى ولولا شدة القتال وما وقع فيه من قتلى ما انهزام المشركون .

وبالتالي فإن الانهزام كان حاصلاً بسبب شدة القتال الذي تلقاه المشركون من المسلمين الذي كان لعلي دور كبير فيه . هذا من جهة ومن جهة أخرى فهو يقول إن أبا بكر وعلي كانا مشغولين بقتال آخرين فهل يا ترى هذا القتال لا ينتج قتلى ، إن القتال كان بطرق تقليدية وهي المبارزة وجهاً لوجه فأما أن يقتل الكافر المسلم وأما يقتل المسلم الكافر ، ومادام الإمام قد بقي حياً فهو حتماً قد قتل من المشركين في هذه المواجهة التي اثبتتها ابن تيمية .

إن مطالعة الروايات الخاصة بمعركة أحد تعطينا أوضح الأدلة المجمع عليها من أن علياً قد قتل من المشركين أهم قادتهم وهو طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين والذي كان يسمى كبش الكتبية كما ذكر ذلك جملة من المصادر ^(١) أو أنه قد قتل أصحاب الألوية جمعياً كما صرح بذلك الطبري وابن الأثير حيث قال " وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي ، ثم قال : فلما قتلهم أبصر النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من المشركين فقال لعلي : احمل عليهم ، ففرقهم وقتل فيهم ، ثم أبصر جماعة أخرى فقال له : احمل عليهم ، فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم " ^(٢) ، في حين صرح ابن ابي شيبة قائلاً " بارز علي يوم أحد من بني شيبة طلحة ومسافعا ، قال : وسمى إنساناً آخر ، قال : فقتلهم سوى من قتل من الناس " ^(٣) وعلى اثرها انهزم المشركون .

وهذه النتيجة لا تتوافق التدليس الذي صرح به ابن تيمية ، والعجيب أننا نجد مفارقة عند ابن تيمية فهو يتعامل بانقائية مع المعلومات التي تتواجد في المصادر الإسلامية فهو ينتقي منها ما يؤيد رأيه ويرفض ما يدل على خطأ ما ذهب إليه ، فمثلاً هو قد اعتمد على ابن اسحاق وابن هشام والطبري في تضعيف جهاد الإمام سواء في بدر أو أحد وعد بعضهم من الصادقين في مروياتهم ، ولكنه يتغافل عن المعلومات التي يبثونها عن الإمام

١ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣ / ٦٣٩ ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٤٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ١٩٤ .

٢ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ١٩٧ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ١٥٤ .

٣ . المصنف ، ٨ / ٤٩٤ .

علي في هذه المعركة والتي تؤيد قتله للمشركين ، وهذا الأمر لا يمكن تفسيره إلا بشيء واحد وهو وجود القصد في تضعيف مكانة الإمام علي الجهادية .

- نفي جرح الإمام في هذه المعركة وعده من الأكاذيب العظام :لقد اعتبر ابن تيمية أن الرواية التي تقول أن الإمام علي قد أصيب في معركة أحد بست عشر ضربة " كذب وليس هذا الحديث في شيء من الكتب المعروفة عند أهل العلم فأين إسناد هذا ومن الذي صححه من أهل العلم وفي أي كتاب من الكتب التي يعتمد على نقلها ذكر هذا بل الذي جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الصحابة"^(١).

والمفارقة هنا أن ابن تيمية يطالب بصحة الإسناد إن كان للرواية وجود وهذا ما لم يطالب به في غير علي على الإطلاق ، وهو هنا يخصص الرسول و كثير من الصحابة بالجرح ، وكأن عليا كان متفرجا ينظر للمعركة من بعيد ، غير ان الحقيقة إن علياً كان عنصراً فاعلاً في معركة أحد وانه قد جرح فيها لما صرحه ابن اسحاق من ان المسلمين يوم احد كانوا ثلاثا "ثلث قتيل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم"^(٢) فهو لم يتشرف حينها بالشهادة وانما اجلت له فيما بعد ، كما لم يكن من المنهزمين ، وبالتالي هو من الذين أعطوا غاية المجهود في نصر النبي صلى الله عليه وآله ولولا ذلك لما صرحت السماء بأن لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار .

هذا جانب والجانب الآخر فإن ابن الأثير قد أكد على إصابة الإمام بست عشر ضربة برواية مسندة يقول فيها : " لقد أصابت عليا يوم أحد ست عشرة ضربة كل ضربة تلزمه الأرض فما كان يرفعه إلا جبرئيل عليه السلام"^(٣) .

- حصر جهد الإمام في هذه المعركة برواية واحدة : في الحقيقة لم يُثبت ابن تيمية أي دور إيجابي للإمام علي (عليه السلام) في معركة أحد ، باستثناء تركيزه على رواية ابن إسحاق التي تقول " فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فم الشعب خرج علي بن أبي

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٠١ .

٢ . ابن اسحاق ، السير والمغازي ، ٣٢٨ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ١٩٧ / ٢ .

٣ . اسد الغابة ، ٤ / ٢٠ .

طالب حتى ملأ درقته من المهراس فجاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهو يقول اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه" (١) وهذا الأمر قبالة دور الصحابة الذي أثبتته لهم لا يعد مهما فهو قد قدم ماءً للرسول ليشرب بعد ذهاب المشركين والرسول قد رفض شرب ذلك الماء كونه قد تغيرت رائحته وهذا مما لا يجوز شربه شرعاً ، وهذا يعني أن إمكانات الإمام علي (عليه السلام) لا تتعدى جلب الماء بعد زوال الخطر .

- التركيز على ما يعطي انطباعاً سلبياً لشخصية الإمام علي (عليه السلام) ، فهو قد استثمر في ذلك الجانب الرواية التي تقول من أن الإمام جاء بسيفه يوم أحد قائلاً لفاطمة اغسله غير نميم فقال النبي صلى الله عليه و سلم أن تك أحسنت فقد أحسن فلان و فلان و فلان فعدد جماعة من الصحابة" (٢) وأخذ هذه الرواية أخذ المسلمات .

ولكن أليس من الإنصاف من رسول الله إن صحت هذه الرواية أن يشجع علياً صاحب البلاء الحسن لا أن يثبط همته ، كما فعل ذلك مع أبو دجاجة فإنه حسب الرواية قد أخذ سيفاً من الرسول راح يتبخر فيه فقال الرسول " أنها مشية يمقتها الله إلا في هذا الموقف " فلماذا رد على علياً بهذا الرد دون أن يثني على جهاده وما سبب ذلك ، والأجدر بالرسول أن يكون موقفه متماشياً مع السماء التي حفظت ذلك الجهد لعلي حين نادى جبرائيل " لا فتى إلا علي...." هذا الأمر يدعونا إلى التشكيك بهذه الرواية كونها لا تتماشى مع حقيقة الجهود العلوية المبذولة في المعركة .

خامساً : قيمة الجهد المعنوي للإمام علي (عليه السلام) عند ابن تيمية .

أثارت هزيمة المسلمين في معركة أحد الحماسة عند المشركين ليعاودوا الكرة على المدينة ويستأصلوا ما بها من المسلمين ، فسعوا لذلك جادين بأن حشدوا القبائل المتحالفة مع قريش ، وفتحوا قنوات اتصال مع يهود المدينة ، لتتطلق الجيوش وهي تنزوا إلى تحقيق مبتغاهما ، ولما توارد الأخبار إلى رسول الله وعرف ما تحمله قريش من قوة انتشار المسلمين فيما

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٤٠ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٧٦ .

يفعل ، ليصوب في نهاية المطاف رأي سلمان المحمدي في أن يحفروا خندقاً ، وبذل أقصى الجهد في إتمام هذه المهمة ، وما إن أتم المسلمون حفر الخندق حتى وصلت جيوش المشركين يقودها أبو سفيان فتفاجأوا بوجود الخندق ، لذا لم يرق ذلك لقادة جيشهم وفرسانهم فحاولوا اقتحام الخندق لينجح عمر بن ود العامري في ذلك و أخذ يترجل ويدعو المسلمين إلى القتال ، حينها دعا الرسول أصحابه إلى مناجزته فلم يجبه إلا الإمام (عليه السلام) الذي لم يرجع إلا و رأس عمر في يده ، حينها قال الرسول : "لضربة علي هذه تعدل عبادة الثقلين" (١)

غير أن مثل هذا الأمر لا يروق لابن تيمية كونه ينم عن منقبة جهادية تضاف إلى سجل علي (عليه السلام) لذا تعامل معه بسلبية بالغة جدا ، وذلك بعدة أمور :

- الاعتراض على إسناد هذه الرواية : ولعل طرح مثل هذا الأمر هو شيء مستغرب جدا ، وكان الأجدر به أن لا يركز على هذا الاعتراض ، إذ ليس من المعقول أن تطفح كتب المسلمين جميعا ومنذ القرن الثاني الهجري بهذه الرواية وحتى اليوم وبأخذونها أخذ المسلمات ثم يأتي شخص يطالب بصحة سندها بعد مضي أكثر من ٥٠٠ سنة على ذكرها في أول مدون خاص بغزوات الرسول ، وبعد أن تلقته الأمة بالقبول، ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد أورد الحاكم النيسابوري هذه الرواية ثم علق عليها بقوله "إسناد هذا المغازي صحيح على شرط الشيخين" (٢) ثم قال : " قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبد ود من الأحاديث المسندة و معا عن عروة بن الزبير وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق بن يسار ما بلغني ليتقرر عند المنصف من أهل العلم أن عمرو بن عبد ود لم يقتله ولم يشترك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإنما حملني على هذا الاستقصاء فيه قول من قال من الخوارج أن محمد بن مسلمة أيضا ضربه ضربة واخذ بعض السلب و والله ما بلغنا هذا عن

١ . هناك مجموعة كبيرة من مصادر المسلمين تعرضت لما ذكرناه إلا أن أبرزها : الحاكم ، المستدرک ، ٣ / ٣٢ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٣ / ٩ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ٣٣٤ ، المحب الطبري ، ذخائر العقبى ، ٧٤ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢ / ٦٤٣ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، / ٩٥ ، الأيجي ، الموافق ، ٦١٧ ، المتقي الهندي ، كنز العمال : ٣ / ١٥٤ .

٢ . المستدرک ، ٣ / ٢٣ .

أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وكيف يحرز هذا وعلي رضي الله عنه يقول ما بلغنا إني ترفعت عن سلب ابن عمي فتركته وهذا جوابه لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وآله^(١) ، فإن الملاحظ من كلام الحاكم أن التشكيك بصحة هذه الرواية و دور الإمام في قتل عمر بن ود لم يكن رأي الأمة و إنما كان رأي الخوارج فتابعهم ابن تيمية عليه لذا تطلب الأمر من الحاكم أن يستقصي ويسرد مجموعة من الروايات التي تدحض قولهم ، ولكن شاء الله أن يبارك في ما سطره الحاكم و ننتفع نحن به ليكون ما أورده رداً وافية في بيان سقوط دعوى ابن تيمية بعدم وجود إسناد صحيح و عدم وروده في كتاب من الكتب المعتمدة .

- إبعاد المتلقي عن المقصد الحقيقي لابن المطهر في نقل هذه الرواية : يعمل ابن تيمية لغرض بسط هيمنة الصورة السلبية على هذه الرواية بأن يسلط النقد على مفاصلها التي لا تشكل صلب الموضوع المطروح للمناقشة فالموضوع الأساس هو دور الإمام علي في هذه المعركة ، و عرضاً قام ابن المطهر بذكر أن عدد المهاجمين في هذه الغزوة من قريش وكنانة و تهامة عشرة آلاف^(٢) في محاولة لبيان قوة المشركين ، إلا أن ابن تيمية تغافل عن الموضوع الحقيقي و أستثمر ذلك ضد الرواية و أخذ يشنع عليها و يعتبر أن من الأدلة على كذبها هو ذكر هذه الإحصائية ف" فالأحزاب كلهم من هؤلاء و من أهل نجد تميم و أسد و غطفان و من اليهود كانوا قريباً من عشرة آلاف و الأحزاب كانوا ثلاثة أصناف قريش و حلفاؤها و هم أهل مكة و من حولها و أهل نجد تميم و أسد و غطفان و من دخل معهم و اليهود بنو قريظة" . و لعل ما يثير الانتباه هنا أن الاختلاف بين ابن المطهر و ابن تيمية في هذا المطلب لم يكن جوهرياً ، لذا لم يستحق منه أن يتخذ ذلك الحكم القاسي على الرواية إذ كان بإمكانه أن يقول بعدم دقة ابن المطهر في نقل العدد لا أن يقول " و ذكر في هذه الغزوة من الأكاذيب منها قوله أن قريش و كنانة و أهل تهامة كانوا عشرة آلاف" ، و حقيقة هو محاولة للاستعانة بكل شيء في سبيل رد هذه الرواية .

١ . المستدرک ، ٣ / ٣٤ .

٢ . منهاج الكرامة ، ١٦٦ .

- التكذيب لما ورد من اقتحام عمر بن ود للخندق وانهزام المشركين بقتله واعتبار من الكذب البارد .

لقد طوق ابن تيمية هذه الحادثة بطوق الكذب فلا يجد أفضل منه في ذلك الموقف غير انه يطلعنا على نوع جديد من الكذب لم نسمع به قبل ذلك صرح بوجوده في هذه الرواية يخص المقطع المتعلق بعبور عمر بن ود الخندق وإنه لما قتل انهزم المشركون إذ قال " وقوله إن عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل ركبا ودخلا من مضيق في الخندق وقوله إن عمرا لما قتل وانهزم المشركون واليهود هذا من الكذب البارد"^(١) وليت شعري هل يوجد كذب حار وكذب بارد وما خصائص كل واحد منهما يا ترى وهل ذكرت لنا كتب اللغة والأدب هذا النوع ، أم هو عبارة عن مستحدثات من ابن تيمية أملتها عليه ضرورة الموقف الذي تعرض له ، وكأن الأمر المعروض من الفداحة في شيء كبير لتعلقه ببدعة مبتدعة في الإسلام هدفها هدم أركان ذلك الدين حتى يطلق ذلك التعبير دون أن ينظر إلى ذلك الأمر من أنه تمجيد يبطل من أبطال الصحابة واستعراضاً لجهد من جهود المسلمين ضد المشركين ، ولكن الغرابة لتأتي هنا ونحن نطلع على دفاع ابن تيمية عن المشركين وأنهم ما انهزموا من النتيجة المأساوية التي لحقت بفارسهم من قبل فارس المسلمين الأول ، وإنما كان ذلك ألهزام نتيجة لظروف وعوامل أخرى دون أن تترك هذه المنازلة أي أثر نفسي على المشركين .

إن هذا القول يمكن أن يطرح إذا كان ابن تيمية يعتقد بوجود هذه الحادثة ولكن مع نفيه لها وجعلها من الأمور الخيالية التي لا تؤيدها الروايات المعلومة المتواترة عن أهل العلم بالحديث و المغازي والتفسير والسير والتاريخ^(٢) فأن كلامنا يبقى مجرد رؤى طرحت لاعتقادنا بإيمان ابن تيمية بوجود ذلك القتال، و لكن مع نفيه لها وتركيزه على ظروف وعوامل أخرى حتمت على المشركين أن يفكوا حصار المدينة لا يبقى لكلامنا أدنى جدوى علمية ، فهو يعتقد أن المسلمين لم يقاتلوا فيها وأن المشركين ما ردهم الله بقتال وأن ما حتم على المشركين الانسحاب هو أمران : نعيم بن مسعود ودوره في خلق الخلاف بين اليهود

١ . منهاج السنة ، ٤ / ١٠٧ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ١٠٧ .

والمشركين و ربح الصبا والملائكة من السماء^(١) . وبالتالي فهو قد أعطى دور نعيم بن مسعود قيمة عليا في الهزيمة ، ليأتي العامل الإلهي ويحسمها لصالح المسلمين ، في محاولة واضحة لتغيب الدور العلوي في تلك الهزيمة .

لا شك إن دور نعيم بن مسعود احدث حالة من الشك والريبة بين المشركين واليهود وبالتالي قد ضمن عدم فتح جبهة اليهود على المسلمين ، وهذا له دور في إضعاف جبهة المشركين ، كما كان للتدخل الإلهي دور في ذلك ، ولكن أن يلغى أثر مقتل عمر بن ود العامري في هزيمة المشركين هذا هو الأمر المرفوض ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى إننا لو تتبعنا هذه الأحداث الثلاثة لوجدنا أن أهمها وأخطرها على

كيان المسلمين هو ما أنتجه عبور عمر بن ود العامري في بداية المعركة وصراخه

بالمسلمين وسكوت المسلمين على الرد ، فلو لم يبرز الإمام (عليه السلام) له لكان حافظا

كبيرا لآخرين أن يعبروا الخندق حينها ستتهار كل التحصينات الدفاعية التي عملها

المسلمون لرد ذلك الجيش ، ولأنتجت ردت فعل قوية كالتالي أنتجها معركة أحد خصوصا

مع وجود حالة من الاضطراب النفسي لدى المسلمين أمعن القرآن في وصفها بعدة آيات

شخصت مدى الارتباك الحاصل من جراء حجم القوة المهاجمة خصوصا وإن هذه الغزوة

قد كانت بعد انتكاسة تعرض لها الجهد العسكري الإسلامي ، إذ إن الثقة بالنفس كانت شبه

معدومة عند كثير من المسلمين وللنظر إلى ذلك من خلال قوله تعالى " يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ

جَاؤُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ

١ . منهاج السنة ، ٤ / ١٠٧ .

الْقُلُوبِ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ
 الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي
 قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ
 طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ
 مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ
 إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا
 وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا
 يُولُونَ الْآدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ
 فَرَرْتُمْ مِّنَ الْمَوْتِ أَوْ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا
 الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا
 يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ
 الْمُعْوِقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ
 إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ
 تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ
 سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
 اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ
 يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ
 يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا * لَقَدْ كَانَ
 لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا * وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا
 مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا
 إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
 عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا
 * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ
 يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ
 قَوِيًّا عَزِيمًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
 صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
 فَرِيقًا * وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطُؤُوهَا
 وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ^(١) .

فالآيات القرآنية خير مصداق في تصوير المعسكر الإسلامي والذي انقسم على نفسه حتى أوجدت الخشية من المشركين حالة من الخوف زاغت فيها الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وذهب البعض إلى التشكيك بوعد الله ورسوله ، وهناك من طلب الإذن من الرسول (صلى الله عليه وآله) بالانسحاب من المعركة بحجة أن بيوتهم تحتاج إلى الحماية ، وفي مقابل هذا القسم وجد المؤمنون الذين صدقوا وعد الله ورسوله ولم يزدتهم ما رأوا إلا إيماناً .

ولم يبدد هذا الشعور بالهزيمة المحققة على يد المشركين إلا قتل عمر بن ود العامري الذي بعث حالة من الاستقرار النفسي عند المسلمين لذا نجد الرسول يتهلل وجهه فرحاً لذلك

١ . سورة الأحزاب ، الآية : ٢٧ .٩ .

الحدث^(١) ، مما يعطي قيمة ومكانة عالية لقتل عمر بن ود على يد الإمام تفوق الأدوار الأخرى .

لو تساءلنا عن قيمة الجهد العلوي في هذه المعركة عند المسلمين ، هل يذهبون إلى ما ذهب إليه ابن تيمية من حيث نفي هذه الحادثة وإهدار جهاد الإمام ، أم أنهم يثبتون ذلك الدور وينلقونه بعبارات المدح والثناء !!!؟ .

في الحقيقة نجد أن ظروف المعركة وجهد الإمام علي (عليه السلام) وحدث هذا القتال قد أثبت في جل المصادر الإسلامية التي تعرضت لغزوة الخندق ونقلت عبارات التثمين والمدح التي انطلقت مع انجلاء الغبرة في ساحة المعركة و إدراك المسلمين من أن علياً قد قتل عمر^(٢) ، وأن أول من استشعر ذلك الأمر هو رسول الله والصحابة حتى بقي ذلك خالداً في أذهان الكثير منهم إلى ما بعد المعركة بسنوات .

فقد صرح الرسول بقيمة هذه الضريبة وأهميتها وجعلها تعدل عبادة الثقلين^(٣) ، في حين روى ربيعة بن مالك السعدي قوله أنه أتى حذيفة بن اليمان قائلاً : "يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه فيقول لهم أهل البصيرة : إنكم لتفرون في تقريظ هذا الرجل فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس ؟ فقال حذيفة : يا ربيعة وما الذي تسألني عن علي ؟ وما الذي أحدثك عنه ؟ والذي نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال أمة محمد (صلى الله عليه وآله) في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها . فقال ربيعة ، هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل !! إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله . فقال

١ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩ / ٦٢ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٩ / ٤ .

٢ . الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ٣٢ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٩ ، ابن أبي الحديد ، شرح النهج : ٤ / ٣٣٤ ، المحب الطبري ، ذخائر العقبى : ٧٤ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢ / ٦٤٣ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ٩٥ / ٩٥ ، الأيجي ، المواقف ، ٦١٧ ، المتقي الهندي ، كنز العمال : ٣ / ١٥٤ .

٣ . الحاكم ، المستدرک على الصحيحين : ٣ / ٣٢ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٩ ، ابن أبي الحديد ، شرح النهج : ٤ / ٣٣٤ ، المحب الطبري ، ذخائر العقبى ، ٧٤ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢ / ٦٤٣ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ٩٥ / ٩٥ ، الأيجي ، المواقف ، ٦١٧ ، المتقي الهندي ، كنز العمال : ٣ / ١٥٤ .

حذيفة : يا لكع وكيف لا يحمل ؟ ! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحاب فملكهم الهلع والجزع !! فدعاهم عمرو إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله ، والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من أعمال أمة محمد (صلى الله عليه وآله) إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة ^(١).

أما جابر بن عبد الله فقد قال : " ما شبهت قتل علي عمرو إلا بما قص الله من قصة داود وجالوت حيث يقول جل شأنه : " فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت " ، في حين قام " أبو بكر وعمر فقبلا رأسه ، ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتهلل ، فقال : هذا النصر ! أو قال : هذا أول النصر ^(٢) .

كما أن أول من حاول أن يستطلع ما دار في المعركة كان عمر بن الخطاب وما " ابتدر العجاج و إذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو ، فكبر عمر بن الخطاب فقال : " يا رسول الله قتله ^(٣) فرحا بذلك الموقف العظيم .

ولم يتردد علماء المسلمين في متابعة الرسول وأصحابه في ذلك الأمر ، فقد صرح جملة منهم بهذا الموقف تارة بذكر حديث الرسول وأخرى بإشادتهم بهذه الضربة بل إن كثير منهم من قال " وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ^(٤) يوم الخندق بعلي ^(٥) .

وقد قال أبو بكر بن عياش ^(١) : لقد ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام أيمن منها ضربة عمرا يوم الخندق ، ولقد ضرب علي . . . ضربة ما كان في الإسلام أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم ^(٢) .

١ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩ / ٦٠ .

٢ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩ / ٦٢ ، المجلسي ، بحار الأنوار ، ٣٩ / ٤ .

٣ . الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١٢ / ٢ .

٤ . سورة الأحزاب ، الآية : ٢٥ .

٥ . الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ١٢ / ٢ .

في حين قال آخر "لذلك ضن به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مرارا في كلها يحجمون ويقدم علي فيسأل الأذن له في البراز حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه عمرو فقال : وأنا علي . فأدناه وقبله وعمه بعمامته وخرج معه خطوات كالمودع له ، القلق لحاله ، المنتظر لما يكون منه . ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم رافعا يده إلى السماء مستقبلا لها بوجهه و المسلمون صموت حوله كأنما على رؤسهم الطير حتى ثارت الغبرة وسمعوا التكبير من تحتها فعلموا أن عليا قتل عمرا . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين . ولذلك قال حذيفة بن اليمان : لو قسمت فضيلة علي بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم" (٣) .

وقد صرح ابن كرامة بقوله : "ثم مقامه يوم الخندق ، عند اجتماع الأحزاب ، يوم زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا ، وقال المنافقون : ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ، فقتل عمرو بن عبد ود بعد أن نزل يطلب البراز ، وكان الناس في ذلك المقام ، لا يعادله مقام إلى يوم الدين ، وذلك لعلي أمير المؤمنين" (٤) .

"فأما الخرجة التي خرجها علي يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود فإنها أجل من أن يقال : جليلة وأعظم من أن يقال عظيمة ، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائل : إنما أعظم منزلة عند الله علي أم أبو بكر ؟ ! فقال : يا ابن أخي والله لمبارزة علي عمرا يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها وتربي عليها فضلا عن أبي بكر وحده" (٥) .

- ١ - أبو بكر بن عياش مولى وأصل بن حيان الأحمدب الأسدي ، توفي أبو بكر بالكوفة في جمادي الأولى سنة ثلاث وتسعين ، ثقة صدوقا عارفا بالحديث والعلم ، من الحفاظ المتقنين ، ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٦ / ٣٨٦ ، العجلي ، معرفة الثقات ، ٢ / ٣٨٩ ، ابن حبان ، الثقات ، ٧ / ٦٦٩ .
- ٢ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩ / ٦١ .
- ٣ . الجاحظ ، العثمانية ، ٣٣٢ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٣ / ٢٨٤ .
- ٤ . تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ، ٥٢ .
- ٥ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٩ / ٦١ .

هذا العرض لا يدلنا إلا على الانطباع الإيجابي والحقيقي عن دور الإمام في هذه الغزوة ولكن ابن تيمية ابعث كل هذا التراث الإسلامي عن ناظره في محاولة للهروب من ضوء الحقيقة الذي لم تصده الأهواء المنزعجة من ذكر مناقب وفضائل هذا الرجل العظيم ، ولو كان شخص غير علي لأعطاه قيمة عليا لكن مشكلة الإرث الذي تقلده ابن تيمية من بيئته ومناهجه التي صاغت عقليته المدفوعة بالتطرف العقائدي جعلته يتحسس من علي عليه السلام فيبتدر بكلماته التي ليس لها أي ثقل في ميزان الحقيقة ليويخ نفسه قبل أن يضع مناقب علي ، كون كل ما ترصد به لعلياً هو من المجمع على صحته ولم يتفرد به شخص دون آخر أو جيل واحد من العلماء فالثناء على جهد علي مضى فيه أكثر المتقدمين من علماء الأمة الذين لم تنفذ الى نفوسهم شعب النفاق وخساسة العيش على موائد السلاطين .

. نفي التكريم النبوي للإمام علي حديث " ضربة علي أفضل من عبادة الثقلين " .

لقد ظفر الإمام علي (عليه السلام) في هذه الغزوة بتكريم خاص من عند الرسول (صلى الله عليه وآله) يتناسب مع حجم التضحية المبذولة ومكانة النتيجة التي تحصلت من قتل عمر بن ود العامري ، لذا تواردت النقول من أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال في حق ذلك الجهد وصاحبه " أن ضربة علي أفضل من عبادة الثقلين" (١) .

إلا أن الروح المتحاملة ونار الحقد التي تصطم بها جوانح ابن تيمية على الإمام علي (عليه السلام) لم تكن تسمح لهذا التكريم أن يأخذ وضعه الطبيعي لذا قام برده من خلال استخدام ثلاثة طرق في نفي هذا الحديث أحدها يخص الحديث نفسه ، من حيث الإسناد و صحة صدوره من النبي ، والثاني اعتراض عقلي ، والثالث مستوحى من الواقع التاريخي (٢) .

ففيما يخص الطريق الأول نجد أن اتهام الحديث بالوضع والطعن في صحة الإسناد فإن هذا الأسلوب يعتبر من أشهر أساليب ابن تيمية في رد مناقب الإمام علي وأوهنها في الوقت

١ . الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ٣٢ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٣ / ٩ ، ابن أبي الحديد ، شرح النهج: ٤ / ٣٣٤ ، المحب الطبري ، ذخائر العقبى : ٧٤ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢ / ٦٤٣ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ٩٥ /) ، الأيجي ، المواقف ، ٦١٧ ، المتقي الهندي ، كنز العمال : ٣ / ١٥٤ .
٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٤٤ .

نفسه ، وقد أصبحت لدينا قناعة تامة أننا إذا وجدنا مثل هكذا أسلوب فإن هذا يدل على عكس مدعى ابن تيمية ، وهذا ما ثبت في كل حديث طعن به ابن تيمية من حيث السند ، كوننا وجدنا أن هذا الحديث موجود بسنده الصحيح حتى أن الحاكم علق على مجمل رواية غزوة الخندق بقوله " إسناد هذا المغازي صحيح على شرط الشيخين"^(١) وبالتالي هو رد كاف على دعوى ابن تيمية بعدم وجود سند صحيح أو ضعيف لهذا الحديث ، بل إننا نجد أن رواة هذا الحديث أناس شهد لهم المسلمون بالوثاقة والإتقان ومنهم موسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق والخطيب البغدادي والحاكم وغيرهم^(٢) ، كما نجد أن روايات الحديث تعددت بصيغ مختلفة كلها تشير إلى مكانة هذه الضربة العلوية^(٣) .

أما الاعتراض الثاني فهو ما صرح به ابن تيمية بقوله " لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين بما فيهم الأنبياء "^(٤) لقد كان ابن تيمية يتوقع أن هذا الاستدلال له لا عليه غير أنه لو سأل نفسه عن السبب الذي جعل من هذه الضربة أفضل من عبادة الثقلين ألا يدل ذلك على حرجة الموقف الذي عاشه المسلمون وبالتالي فإن تلك الضربة غيرت وجه المعادلة العسكرية المطروحة ولو لم يكن الإسلام في خطر حقيقي لم يطلق الرسول هذا القول ، وما يؤيدنا في ذلك هي الآيات التي نزلت لتصور حال المسلمين ، فهي تتميز كثيراً عن الآيات التي نزلت في بدر وفي أحد هذا من جهة .

١ . الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ٣٢ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٣ / ٩ .

٢ . الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ٣٢ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٣ / ٩ .

٣ . وقال (صلى الله عليه وآله) " لمبارزة علي بن أبي طالب لعمر بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة " ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ٣٢ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٩ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ٣٣٤ ، المتقي الهندي ، كنز العمال : ٣ / ١٥٤ ، المحب الطبري ، ذخائر العقبى ، ٧٤ ، وقال (صلى الله عليه وآله) " ضربة علي خير من عبادة الثقلين " ، الإيجي ، المواقف : ٦١٧ ، كما قال (صلى الله عليه وآله) " قتل علي لعمر بن عبدود أفضل من عبادة الثقلين " الحلي ، السيرة الحلبية ، ٢ / ٦٤٣ ، وقال (صلى الله عليه وآله) " ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ٩٥ ، .

٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٤٤ .

ومن جهة أخرى فإن الحلبي قد رد على اعتراض ابن تيمية هذا بقوله: " وقوله كيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين فيه نظر لأن قتل هذا كان فيه نصره للدين وخذلان للكافرين" (١) .

كما يمكن أن يضاف أن قيمة هذه الضربة قد أتت من الهدف الذي كان يبتغيه عمر بن ود من عبوره الخندق فهو كان يستهدف قتل الرسول (صلى الله عليه وآله) " فإنه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم" (٢) لذا صرح الرسول بتلك المكانة لهذه الضربة التي حمت الإسلام وقائده العظيم (صلى الله عليه وآله).

أما الشيء الثالث فقد اعتبر ابن تيمية إن هذا القول لم يقال حين قتل صناديد قريش فكيف يقال في قتل عمر بن ود الذي لم يعرف له ذكر في غزوة بدر ولا أحد ولا كان من مقدمي القتال فكيف يكون قتله أفضل من عبادة الثقلين (٣).

ولكن لا بد أن يشار هنا إلى ما قلناه سابقا من أهمية الموقف في غزوة الخندق هي التي حتمت ذلك الأمر وأن قول الرسول كان تقريرا لقول السماء التي لم تصف معركة من معارك المسلمين من حيث الضعف النفسي كما وصفت معركة الخندق .، ومن جهة أخرى قد نفى مكانة عمر بن ود ونحن نحاكم ذلك القول على الروايات التاريخية التي صرحت بوجود عمر بن عبد ود في معركة بدر وجرحه فيها ومكانته البارزة عند المشركين فقد كان يسمى فارس ليليل (٤) ، وخرج معلما يوم الخندق (٥) وهو الشخص الذي تجرأ من عبور الخندق ولم يفعل ذلك إلا ثلاثة أو أربعة معه، وهذا ما أشارت إليه مجموعة من المصادر منها :

١ . السيرة الحلبيية ، ٢/ ٦٤٣ .

٢ . الحلبي ، السيرة الحلبيية ، ٢/ ٦٤٢ .

٣ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٤٤ .

٤ . ابن هشام ، السيرة النبوية ٣ / ٧٤٠ ، ابن حبيب ، المنمق ، ٤١٩ ، الجاحظ ، العثمانية ٣٣٦ ، ابن حاتم العاملي ، الدر النظيم ، ١٦٦ ، البكري ، معجم ما استعجم ، ٤ / ١٣٩٩ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ١١ / ٧٤١ .

٥ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣ / ٧٤٠ .

١- ابن هشام في السيرة النبوية "وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه" (١)

٢- الجاحظ في العثمانية " أما الآثار والأخبار فموجودة في كتب السير وأيام الفرسان ووقائعهم . وليس أحد من أرباب هذا العلم يذكر عمراً إلا قال : كان فارس قریش وشجاعها ، وإنما قال له حسان : ولقد لقيت غداة بدر عصبة ، لأنه شهد مع المشركين بدراً وقتل قوماً من المسلمين ثم فر مع من فرو ولحق بمكة وهو الذي كان قال وعاهد الله عند الكعبة ألا يدعوه أحد إلى واحدة من ثلاث إلا أجابه . وآثاره في أيام الفجار مشهورة تنطق بها كتب الأيام والوقائع ، ولكنه لم يذكر مع الفرسان الثلاثة وهم عتيبة وبسطام وعامر ، لانهم كانوا أصحاب غارات ونهب وأهل بادية ، وقریش أهل مدينة وساكنو مدر وحجر ، لا يرون الغارات ولا ينهبون غيرهم من العرب ، وهم مقتصرون على المقام ببلداتهم وحماية حرمهم ، فلذلك لم يشتهر اسمه كاشتهار هؤلاء" (٢) ، كما عده ابن حبيب من فرسان قریش (٣).

كما ان الذي يؤكد مكانته هو قول الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام) : "انه عمر" (٤) ولو لم يكن معروفاً بشجاعته لم يقل الرسول ذلك الكلام ، فلو صدر من غير الرسول (صلى الله عليه وآله) لقلنا أنه تثبيط للإمام علي (عليه السلام) وتجبين ، ولكن أتى من الرسول (صلى الله عليه وآله) ليكون تذكيراً بهذه المكانة ورغبة لأخذ الحيطة والحذر اللازمين في هذه المواجهة ، ثم أن شدة دعاء الرسول للإمام علي ، وتهلل وجهه فرحاً عند قتله تؤكد على شجاعة هذا الرجل ومكانته ، وهذا عكس ما يذهب إليه ابن تيمية .

هذه الأمور تثبت مشاركته في بدر ومكانته عند العرب ولكن رغبة ابن تيمية وهواه ومزاجه أنكر كل هذه المعلومات عن عمر بن ود لا لشيء إلا لكونها تدلل مجدداً على مكانة

١ . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣ / ٧٤٠ .

٢ . العثمانية ، ٣٣٦ .

٣ . المنمق ، ٤١٩ .

٤ . القمي ، تفسير القمي ، ٢ / ١٨٣ ، الطبرسي ، مجمع البيان ، ٨ / ١٣١ ، الحويزي ، تفسير نور الثقلين ، ٤ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

الإمام علي وجهاده في هذه المنازلة المهمة في تاريخ المسلمين التي يكفي فيها أنها آخر غزوة غزاها المشركون وأصبحت نقطة تحول في ميزان القوى العسكرية الإسلامية .

ب - حروب الإمام علي (عليه السلام) الداخلية (المشروعية وآليات الطعن)

أخذت حروب الإمام علي(عليه السلام) الداخلية الحيز الأكبر من مدة خلافته ، إذ لم ترق التغييرات المالية والإدارية التي طرأت على الساحة الإسلامية لكثير من الصحابة الطامحين بالحظوة والمكانة السياسية تارة أو الراغبين بالحفاظ على مكاسبهم التي تحققت زمن عثمان تارة أخرى^(١)، فاصطدمت حكومة الإصلاح التي يقودها الإمام علي (عليه السلام) بكلا الاتجاهين اللذين سرعان ما أحسا بالخطر القادم من جراء تلك التغييرات ، فاستحثوا الخطى لمعارضتها ، فكانت المطالبة بدم عثمان خير زاد في خلق المشروعية لمعارضتهم التي وسعوا دائرتها واتخذوا البصرة والشام مقرا لها ، ومما زاد الأمر تعقيدا حظوتهم بتأييد السيدة عائشة زوجة النبي فخلق هذا نوع من المشروعية الإضافية ، أما أهل صفين فقد أدرك معاوية أن انصياعه للتغييرات الإدارية التي قام بها الإمام وتتحية عن ولاية الشام سوف يفقده حكم مملكة حكمها أكثر من عشرين سنة لذا أعلن معارضته لأمر الخليفة الشرعي ، وفي كلا الحالتين اضطر الإمام لمواجهة هذه المعارضة ، خصوصا وإنها قد تحولت إلى معارضة مسلحة ، لتقع على اثر ذلك معركة الجمل وحرب صفين .

ولا شك أن ابن تيمية قد وجد في ذلك أرضا خصبة لبث توهينه وتكذيبه وتشنيعه على الإمام علي ، لذا نحاول أن نسلط الضوء على التعرض للمشروعية وآليات الطعن فيها ، وقد قسمنا البحث إلى قسمين أساسيين هما :

أولا : المشروعية وآليات الطعن

تشكل المشروعية إحدى المقومات الأساسية في تصحيح أي عمل يقوم به الفرد المسلم أو حتى غير المسلم ، ولا شك ان هناك عناصر تستند عليها هذه المشروعية مستمدة من الواقع التشريعي الإسلامي ومتى تماشى هذا العمل أو ذلك مع ضوابطها صحح وقبل ، وأما

١ . ينظر عن ذلك : الشهراني ، التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية ، ٧٠ . ٧٣ .

إذا تناقض معها قلت مشروعيتها وبالتالي فقد قيمته الدينية والإنسانية ،ومن هذا المنطلق عمد ابن تيمية إلى رد كل تحركات الإمام تجاه معارضيه من خلال الطعن بمشروعيتها عن طريق القول بأنها لم تقم على أساس ديني كونها . وحسب ابن تيمية . حروب قامت على أساس الرأي العلوي المجرد من وجود أي نص قرآني أو نبوي و أن واقع النصوص الدينية لا يؤيدها، فليس لها سند قرآني يمكن من خلاله أن تثبت شرعيتها إلا قتال أهل البغي المذكور في القرآن و هو ما لا يمكن انطباقه على تلك الحروب^(١) .

في حين راح يسقط ما ارتكزت عليه تلك الحروب من حديث في استمداد شرعيتها ، وقد نحى في ذلك منحيين:

أ- ادعى عدم وجود أي نص نبوي يؤيد هذه الحروب^(٢)، وقد يتساءل البعض إذا ما نفعل بالنصوص التي وردت عن الرسول في أن عليا يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، وأن حربهم حرب الرسول ، تلك النصوص التي رسمت الخطوط العريضة والخطوات المستقبلية لجهاد الإمام علي (عليه السلام) .

لم يجد ابن تيمية من حرج في أن يشكل حاجزاً معرفياً تجاه هذه النصوص ويعالجها معالجة تتفق مع هواه المماليئ لغير كفة الحقيقة ، فهو قد صرح بأن هذه الأحاديث من الأحاديث الموضوعة على النبي إذ قال : "وأما الحديث الذي يروى أنه أمر بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين فهو حديث موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم"^(٣).

لقد أطلق ابن تيمية حكمه القاطع على هذا الحديث وأسقطه من حيز الاعتبار المعرفي وجرده من المصادقية مع أن الحالة الإسلامية تذهب إلى قبوله والتسليم بصحته بنفسه أو مع وجود القرائن الدالة عليه ، ومن الشواهد على ذلك :

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤١٩ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٨٤ .

٣ . منهاج السنة ، ٦ / ١١١ .

١. أنه قد روي في عدة مصادر إسلامية مختصة بالحديث والسنن والمناقب والفضائل لها ثقلها في الوسط العلمي (١) .

٢. إن التقييم العلمي لإسناده لا يقطع بفساده كما ذهب ابن تيمية بل إن المرجحات السننية قد تذهب إلى تصحيحه كما نقل ذلك عن الهيثمي في مجمع الزوائد اذ قال عن الحديث " رواه أبو يعلى وفيه الربيع بن سهل لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات" (٢) ، ثم قال في موضع آخر " رواه البزار والطبراني في الأوسط وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان" (٣) . ثم قال " رواه البزار بإسنادين في أحدهما يونس بن أرقم وهو لين وفي الآخر السيد بن عيسى قال الأزدي ليس بذاك ، وبقية رجالهما ثقات" (٤) .

وإذا ما استندنا على كلام الهيثمي نجد أن هذا الحديث حسب تقييم أهل الجرح والتعديل من الأحاديث التي تمتلك نفس صفات الأحاديث المروية في صحيح البخاري هذا من جانب.

ومن جانب آخر لا يوجد في رواته من قدح فيه بكذب أو عدم مقبولية بل حتى يونس بن أرقم لم يتهم بالكذب أو الوضع وكل ما اتهم به هو لين ، واللين في لغة أهل الجرح والتعديل لا يعني القدح في رواية الشخص أو تسقيطاً لها بل يعني أدنى مراتب القوة (٥) ، وأما

١ . أبو جعفر الإسكافي ، المعيار والموازنة ، ٥٥ و ١١٩ ، أبو يعلى ، المسند ، ٣٩٧ / ١ ، ١٩٤ / ٣ ، ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ٥٥٠ / ٢ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ١٧٢ / ٤ ، ، ١٠ / ٩١ ، ٩٢ ، المعجم الأوسط ، ٢١٣ / ٨ ، ١٦٥ / ٩ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٣٩ و ١٤٠ ، ابن مردويه ، المناقب ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣ / ١١١٧ ، ، ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٢ وما بعدها بعدة أسانيد ، ابن الأثير ، اسد الغابة ، ٤ / ٣٣ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ٤٠ ، ٨٧ ، ١٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٤٦ ، ابن طلحة الشافعي ، الدر النظيم ، ٢١١ و ٢٣٣ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ١٢٩ و ١٣٠ ، ٧ / ٤٨ ، ٨ / ٢٩٧ ، ٩ / ٢٠٦ ، ١٣ / ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨ / ٢٤ ، الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ١ / ٢٧١ ، ابن حجر ، لسان الميزان ، ٢ / ٤٤٦ ، السيوطي ، الدر المنثور ، ٦ / ١٨ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ١١ / ٢٩٢ ، ٣٢٧ ، ٣٥٢ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٥ / ١٨٦ وغيرها من المصادر .

٢ . مجمع الزوائد ، ٥ / ١٨٦ .

٣ . مجمع الزوائد ، ٧ / ٢٣٨ .

٤ . مجمع الزوائد ، ٧ / ٢٣٨ .

٥ . ينظر عن ذلك الذهبي ، الموقظة في مصطلح الحديث ، ٦٢ . ٦٣ .

مقوله الأزدي في السيد بن عيسى لا تدل على كذبه^(١) ، خصوصا مع وجود اعتراض على ذلك التقييم من قبل الذهبي وابن حجر ، فالذهبي نص على أنه لا يلتفت إلى قول الأزدي هذا^(٢) ، وكذلك ابن حجر إذ قال : لا يعتبر تجريحه لضعفه هو. ثم إن ابن حجر ينص على أن ابن حبان ذكر " السيد بن عيسى " في الثقات^(٣). فظهر صحة السند الثاني أيضا^(٤) .

٣. ان هناك من الروايات المعضدة والمؤيد لصحة هذا الحديث من بينها ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: " كنا جلوسا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علينا من بعض بيوت نساءه قال فقمنا معه فانقطعت نعله فتخلف عليها علي يخصفها فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضيينا معه ثم قام ينتظره وقمنا معه فقال **إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن كما قاتلت على تنزيله** فاستشرفنا وفينا أبو بكر وعمر فقال : لا ولكنه خصف النعل قال فجئنا نبشره قال وكأنه قد سمعه"^(٥) ، هذا يعني أن الرسول(صلى الله عليه و آله) سبق وأن أخبر الإمام(عليه السلام) بأمر هذا القتال لذلك لم يتفاجأ به كما تفاجأ الصحابة ، كما يدل على أن هذا القتال فضيلة ومنقبة وليس فتنة لذا تدافع الصحابة للحظوة فيه .

ومنها ما روي عن الرسول(صلى الله عليه و آله) بحق الإمام علي(عليه السلام) أنه قال له " يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا بغضك إلا منافق"^(٦) هذا يعني التوافق الكامل مع الحق والهدى ضد الباطل والضلال كون الرسول قد أطلق ذلك القول بدون محددات وبنحو مطلق فهو " لم يقل حب علي إيمان وبغضه نفاق بشرط أن كان عليا موافقا ومتبعا

١ . الميلاني ، دراسات في منهاج السنة ، ٣٢٤ .

٢ . ميزان الاعتدال ، ٦١/١ .

٣ . ابن حجر ، لسان الميزان ، ١٣١/٣ .

٤ . الميلاني ، دراسات في منهاج السنة ، ٣٢٤ .

٥ . أحمد بن حنبل ، المسند ٨٢ / ٣ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ١٥٥/٥ ، ابن حبان ، الصحيح ، ٣٨٥ / ١٥ ، ٣٨٥ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ١٢٣/٣ ، ابو يعلى ، المسند ، ٣٤٢ / ٢ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣ / ٦٤٢ .

٦ . أحمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ١٢٨،٩٥ ، الترمذي ، السنن الكبرى ، ٣٠٦ ، النسائي ، السنن ، ١١٦/٨ ، ابو يعلى ، المسند ، ٢٥١ / ١ .

للحق ، وإنما علق الإيمان والنفاق على حب علي وبغضه بنحو مطلق وجعل الإيمان والنفاق يدوران مع حب علي وبغضه" (١) .

والبغض هنا حالة لا ترقى الى الحرب وإنما قد تكون عبارة عن اختلاجات نفسية يحملها صاحبها قد يصرح بها في لسانه أو يكتتمها ومع ذلك انتقد الرسول ذلك الأمر واعتبر صاحبها منافقاً ، فكيف بمن نكث بيعته وقاد الجيوش ضد من ألزم الحق أن يتخذ جانبه كونه مأمون على أن لا يجانب الحق؟! كيف وهو الموصوف بحمل الناس على المحجة البيضاء (٢)

كما أن من الأحاديث المرجحة التي تكسب حروب الإمام الشرعية هو الحديث الذي يقول "سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً ، حق على الله جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه فمن لم يستطع بلسانه فبقلمه فليس وراء ذلك شيء" (٣) .

٤ . إن قتال الناكثين والقاسطين والمارقين جاء مروياً عن صحابة لهم ثقلهم الديني كابي ايوب وعمار وعبد الله بن مسعود ، ام سلمة و ابو سعيد الخدري وعبد الله بن الزبير وسعد بن عباد ، بل أن من الروايات ما صرح بأمر النبي لهم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع الإمام علي (٤) .

٥ . أن البعض قد صرح بصحة صدوره عن النبي ونقله قاطعاً بذلك كابن أبي الحديد الذي اعتبره من الأخبار المتفق عليها بين الناس كافة (٥) بل انه صرح بأسماء المعنيين في هذا هذا الحديث قائلاً : " ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال له عليه السلام ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين ، فكان الناكثون أصحاب الجمل ، لأنهم نكثوا بيعته

١ . الحيدري، معالم الإسلام الأموي ، ١٠٣ .

٢ . ابن شهر آشوب ، مناقب آل ابي طالب ، ٢ / ٢٨٠ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٥٢ ، ٣٢٧ ، المنقي الهندي ، كنز العمال ، ١١ / ٦٣٠ .

٣ . الطبراني ، المعجم الكبير ، ١ / ٣٢١ ، الهيتمي ، مجمع الزوائد ، ٩ / ١٣٤ .

٤ . ذكر السيد الأميني تفاصيل ذلك في كتابه الغدير ٣ / ١٨٨ وما بعدها .

٥ . شرح نهج البلاغة ، ٨ / ٢٧٩ .

عليه السلام ، وكان القاسطون أهل الشام بصفين ، وكان المارقون الخوارج في النهروان" (١) .

هذه أهم القرائن التي تدلل على تواردها هذا الحديث من قبل النبي (صلى الله عليه وآله) في حروب الإمام علي (عليه السلام) ، ومع هذا يتغافل عنها و يصرح بكذب ورود الحديث عنه (صلى الله عليه وآله) (٢)

ولم تبعد هذه الرؤية السلبية كثيراً عن حديث حريك حربي اذ قال : "وهذا الحديث ليس في شيء من كتب علماء الحديث المعروفة لا روي بإسناد معروف . ولو كان النبي صلى الله عليه و سلم قاله لم يجب أن يكونوا قد سمعوه فإنه لم يسمع كل منهم كل ما قاله الرسول صلى الله عليه و سلم (٣) - فكيف إذا لم يعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم قاله ولا روي بإسناد معروف بل كيف إذا علم أنه كذب موضوع على النبي صلى الله عليه و سلم باتفاق أهل العلم بالحديث" (٤).

لقد حاد ابن تيمية كل الحيد في تجاهله لهذا الحديث ودعوى عدم وجوده في مصادر الحديث المعروفة لدى المسلمين ، ولم يكن ذلك إلا لرد شرعية الإمام في حروبه ضد معارضيه وكان الأجدر به وحفظاً لماء وجهه أولاً و تغليباً للحقيقة العلمية أن لا يُمكن الهوى والميل من أن يسوقاه إلى وسيلة لا تبررها الغاية ، فالوسائل المطوية على التظليل لا تبرر وإن كانت غاياتها مقبولة فكيف به وهو يذهب إلى غاية هدفها الطعن بشرعية عمل خليفة راشد من خلفاء المسلمين ، فالحديث لم تدونه مصادر ثانوية بل إنه قد ورد في أهم مصادر الحديث التي شُهد لأصحابها بوثاقه النقل عند ابن تيمية نفسه قبل غيره ألا وهو احمد بن حنبل، فهو- أي احمد بن حنبل - قد روى هذا الحديث بصيغة لا تحصر حرب الرسول بحرب

١ . شرح نهج البلاغة، ١٣ / ١٨٣ .

٢ . ينظر عن هدف مقاتلة الإمام علي (عليه السلام) لأهل البغي ، المياحي ، الإمام علي (دراسة في فكره العسكري) ، ٥١ .

٣ . كون العلامة الحلي قد صرح بأن من قاتل علياً قد سمع هذا الحديث من الرسول لذا جاء القول بعدم سماعهم رداً عليه .

٤ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٩٥ .

علياً فقط بل تشمل كلاً من الزهراء و الحسن والحسين (عليهم السلام) ومع هذا يقول بخلو مصادر المسلمين منه ، يروي أحمد بن حنبل هذا الحديث بما نصه " نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم" (١).

في حين روي الحديث في مصادر أخرى لا تقل أهمية عن مسند أحمد بصيغة "أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم" (٢) ، وحقبة الحديث بهذه الصيغة له قيمة علياً فهو يعني أن الرسول حرب لمن حاربهم علياً وفاطمة والحسن والحسين أي حتى لو كانوا هم من ابتداء الحرب على الآخرين، وبالتالي فهو يصرح بالشرعية الكاملة لكل تحرك يتحركه علي سواء كان هو المبتدأ فيه أو المدافع .

غير أن النكتة الحاصلة في رده ودعواه هو أن العلامة قد أورده بلفظ (حربك حربي) (٣) وهو في المصادر المذكورة أعلاه بلفظ "أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم" و "حرب لمن حاربكم" فاستفاد من هذا النقل وصرح بعدم وجوده في محاولة تدليسية واضحة ، وكان الأجدى به ومراعاة لبيان الحقيقة العلمية وإنصافاً أن يقول بوجوده لكن لا باللفظ الذي يصرح به العلامة الحلي ، ولكنه يعلم أن التصريح بوجوده باللفظين المذكورين يؤدي النتيجة المبتغاة نفسها من أن حرب علي حرب رسول الله فعمد إلى إبعاد ذلك الحديث من دائرة المعارف الإسلامية في محاولة اقصائية واضحة .

وعلاوة على ذلك فقد لجأ إلى مقاربات عقلية لتشديد الخناق على مصداقية هذا الحديث وصحته، فالمعروف أن الإمام علي (عليه السلام) قد تخطى عما أساء به أهل الجمل

١ . المسند ، ٢ / ٤٤٢ ، وانظر أيضاً : ابن أبي شيبة ، المصنف ، ٧ / ٥١٣ ، ابن حبان ، الصحيح ، ١٥ / ٤٣٤ .

٢ . الترمذي ، صحيح الترمذي ، ٥ / ٦٩٩ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ٣ / ٣٠ ، المعجم الصغير ، ٢ / ٣ ، الحاكم الحسكاني ، شواهد التنزيل ، ٢ / ٤٤ ، ابن مردويه ، المناقب ، ٣٠٤ ، الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ١ / ١٧٦ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ١٥٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٨ / ٤٠ ، وغيرها من المصادر .

٣ . منهاج الكرامة ، ٨٠ .

وجعل الصفح عنهم هو أنسب الأمور في هذا الموقف غاضبا الطرف عن كل ما أنتجه تمردهم فلم يخضعهم لعقاب جسدي أو مالي أو نفسي ، غير أن التتبع الدقيق لكل عمل من أعمال الإمام ومحاولة اجتذابها بعيدا عن الميل الإنساني الذي تنطوي عليه أدى إلى أن يتخذ ابن تيمية من ذلك التسامح المبذول دليلاً لتدعيم رأيه في تضعيف هذا الحديث بدعوى أن الإمام لم يعمل فيهم بسيرة الرسول في المرتدين وبالتالي كيف يكون حرب علي حرب رسول الله لينسحب ذلك على شرعية الإمام علي (عليه السلام) في حربه هذه فقال : " ولو كان محارب علي محاربا لرسول الله صلى الله عليه و سلم مرتدا لكان علي يسير فيهم السيرة في المرتدين وقد تواتر عن علي يوم الجمل لما قاتلهم أنه لم يتبع مدبرهم ولم يجهز على جريحهم ولم يغنم لهم مالا ولا سبى لهم ذرية وأمر مناديه ينادي في عسكره أن لا يتبع لهم مدبر ولا يجهز على جريحهم ولا تغنم أموالهم ..."^(١)

لا شك أن ما قام به الإمام علي (عليه السلام) كان من الإنسانية فهو في مقام المنتصر لكنه يتعامل بروح الاعتدال لا التطرف ، تعامل معهم بروح ملؤها الرحمة لا القسوة والغضب ، تعامل فيه تغاض تام عن كل ما أحدثوه من التمرد وإثارة القلاقل في المجتمع المسلم ، كما أن تعامله هذا يرد على كثير من المطالب التي قالها ابن تيمية من أن مبتغى عليا كان قتل الناس وأنه كان مسهبا في القتل ، تلك الدعوى التي امتدت جذورها الى بداية العهد الأموي حين اعتبروا أن من أهم المطاعن التي شرعت سبهم للإمام علي (عليه السلام) هو قتله الناس^(٢) ، والعجيب أن حفظ الدماء وعدم إراقتها وعدم الانجرار وراء الغنائم ينظر له ابن تيمية أنه تضعيف للشرعية والمفروض منه أن يعتبر شخصا يتمالك نفسه في أحلك المواقف وأشدّها لهو خليق بالاحترام والثناء لا الطعن والازدراء^(٣) .

كما أن ابن تيمية يصرح بأن الإجراء الذي اتخذه علي بحق أهل الجمل هو إجراء لا يتمشى مع سيرة الرسول في المرتدين ، ولكن نتساءل هل كان هناك مرتدين على عهد النبي

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٩٥ .

٢ . ينظر : الجابري ، السياسة الأموية المضادة للإمام علي (عليه السلام) ، ٨٦ .

٣ - ينظر عن موقف الإمام من غنائم أهل البغي ، المياحي ، الإمام علي (دراسة في فكره العسكري) ، ١١٨ . ١١٩ .

ولم يتعامل معهم كما تعامل الإمام ، وهل أن أهل الجمل مرتدين أم بغاة ، فإذا كانوا بغاة ما هو حكمهم عند الرسول (صلى الله عليه و آله) .

في الحقيقة لم يكن هناك مرتدون على عهد الرسول وإنما ظهرت الردة فيما بعد ذلك وان كان قد قصد حركة طليحة والأسود العنسي فهي حركات ادعى أصحابها النبوة لا الارتداد^(١) ولم يظفر بهم الرسول في حياته حتى يعرف حكمه فيهم كي يقول ابن تيمية بعدم توافق حكم الإمام مع حكم الرسول (صلى الله عليه وآله)، في حين اتفقت كلمة المسلمين على أن من قاتل علياً هم مصداق للبغاة لذا أوردوا ذلك القتال في أبواب البغي في مدوناتهم من صحاح و مسانيد وكتب فقه وغيرها^(٢) ، وبالتالي فالإجماع على أنهم بغاة ، وإجراءات الإمام تتطابق مع ما بينه الرسول من حكام البغاة لا كما يدعي ابن تيمية ، إذ ورد عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال لعبد الله بن مسعود: " يا ابن مسعود أتدري ما حكم الله فيمن بغى من هذه الأمة، قال ابن مسعود: الله ورسوله اعلم قال: فان حكم الله فيهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ولا يذفف على جريحهم "^(٣)، وهذا الحديث يكشف أن حكم الإمام علي (عليه السلام) مطابق تمام المطابقة لحكم الرسول (صلى الله عليه وآله) و ان الرواية جاءت نتيجة لإضاعة من رسول الله وإثارة لأصحابه كان يعتقد بضرورة تواجدها في منظومتهم الشرعية ،في محاولة لإدخال هذا الحكم المستقبلي إلى التراث الإسلامي كي يبصر الأمة بحقيقة ما سيجري بعده ولا يلتبس عليهم الأمر .

كما لم يكتف ابن تيمية بهذه المقاربة التي تركز وتبث في ذهن المتلقي إيهاماً مفاده التنافي والتعارض وعدم التوافق بين السيرة الجهادية للإمام علي (عليه السلام) و سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وقطع أي امتدادات مشتركة بينهما ، بل راح ينسج مقاربة قرآنية مفادها أن التوافق معدوم بينهما كون الخصائص والنتائج التي أوصلت لها حروب

- ١ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢ / ١٣٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٤٠٠ ، ٢ / ٥٠٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٠٠ .
- ٢ . الشافعي ، كتاب الأم ، ٤ / ٢٢٩ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٢ / ١٤٦ ، ٢ / ١٥٥ ، النعمان المغربي ، دعائم الإسلام ، ١ / ٣٨٨ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٨ / ١٨١ ، النووي ، شرح صحيح مسلم ، ١ / ٢٠٣ ، الكليني ، سبل السلام ، ٣ / ٢٥٨ ، سيد سابق ، فقه السنة ، ٢ / ٦٠١ .
- ٣ . الحاكم ، المستدرک ، ٢ / ١٥٥ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٨ / ١٨٢ ، ابن قدامة ، المغني ، ١٠ / ٦٤ .

الإمام تختلف جملة وتفصيلاً عن خصائص ونتائج حروب الرسول (صلى الله عليه وآله) ، فالرسول حسب المفهوم القرآني قد تكفل الله بنصره إذ قال " إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد" وكما في قوله تعالى : "ولقد سبقنا لكم ما آمنتم به ولننصركم ولو كنا متكفرون" أما في حروب علي فإن المرتدين في انتصار دائم^(١) ، إذ حتى مع انتصاره في الجمل و النهروان فإنه لم يستظهر على المقاتلين له بل ما زالوا مستظهرين عليه إلى أن استشهد... أمره يضعف وأمر المقاتلين له يقوى وهذا مما يدل على أن الانتصار الذي كان يحصل له في حياة النبي صلى الله عليه و سلم كان نصراً من الله لرسوله ولمن قاتل معه على دينه فإن الله يقول إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"^(٢).

لقد اجتذب ابن تيمية هذه الآيات وراح يشكلها بشكل تدلل من خلاله على ما يبتغيه من عدم التوائم والمزاوجة بين حروب علي وحروب الرسول ، بل خلق نوع من التناظر والتضاد ، واختزل فهم الآيات الكريمة على التفوق العسكري الذي لا ينحصر النصر به ، والذي قد لا يدل إلا على جزئية أو مفردة من الدلالة المتعددة التي أرادت الآيات القرآنية التعريف بها ، إذ لو كان ذلك المعنى هو المعنى الأوحده لهذه الآية فإن هذا يدعو إلى التناقض في النصوص القرآنية من جهة .

وعدم المطابقة مع الواقع التاريخي الذي عاشه الرسول والمسلمون من جهة ثانية ، فالقرآن يصرح بذكر معركة أحد وما أصاب المسلمين فيها من هزيمة ورعب وانكسار إذ يقول سبحانه " وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ {آل عمران/ ١٥٢} إذ

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٩٧ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٩٧ .

تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عُمًا بَعْمًا لَكَيْلًا تَحْرُزُونَ
عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ {آل عمران/١٥٣}

صفحة (٧٠)

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ
بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ
يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو
كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ
وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {آل عمران/١٥٤} إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ
يَوْمَ النَّقَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ {آل عمران/١٥٥} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَىٰ أَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَانُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً
فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ {آل عمران/١٥٦} وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ {آل عمران/١٥٧} وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ
قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ {آل عمران/١٥٨} فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا
الْقَلْبِ لَافْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {آل عمران/١٥٩} إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ
يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ {آل عمران/١٦٠} وَمَا
كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغْلُ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ {آل عمران/١٦١} أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ

وَيُنْسَ الْمَصِيرُ {آل عمران/١٦٢} هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ {آل عمران/١٦٣} لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {آل عمران/١٦٤} أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {آل عمران/١٦٥} وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ النِّقْيِ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ {آل عمران/١٦٦} وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ {آل عمران/١٦٧} (١)

فهذا يدل على أن الرسول و المسلمون معرضون لإخفاقات عسكرية ، بالتالي ينتفي (**تأبيد**) التفوق العسكري للرسول والذين آمنوا مما يدل على معارضة الفهم المختزل للآيات الكريمة والتحجيم لمعناها .

كما أن النصر هنا جاء مطلقا وليس مقيدا أو محددا بالجانب الدنيوي أو الأخروي أو العسكري فالرسل عليهم السلام كما يقول السيد الطباطبائي " منصورون في الحجة لأنهم على الحق والحق غير مغلوب، وهم منصورون على أعدائهم اما بإظهارهم عليهم واما بالانتقام منهم قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ {يوسف/١٠٩} حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ {يوسف/١١٠}) (٢) (٣) . وهم منصورون في الآخرة كما قال تعالى : " **يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**

١ . سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ . ١٦٧ .

٢ . سورة التحريم ، الآية : ٨ .

٣ . الميزان في تفسير القرآن ، ١٧ / ١٧٧ .

نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأَيَّمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "

كما أن اندفاع ابن تيمية قد جعل يخالف التاريخ المتسالم عليه فالمعروف أن أهل الجمل بعد المعركة قد انفرد عقدهم وتلاشت قوتهم ولم يعد لهم ذكر ، وأهل النهروان تبددوا إلى ثلاث فرق فرقة رمت السلاح ودخلت الكوفة وعاشت منضوية تحت حكم الإمام ، وفرقت رفضت السلام فقتلت وثلاثة نجت لم يزد عددها على عشرة^(١) ، في استفادة واضحة من روح السلامة التي يحملها الإمام علي (عليه السلام) في كل تحركاته ، ومع هذا فابن تيمية يصفهم بالمستظهرين على الإمام كي لا تتطابق نتائج انتصاراته مع الآيات الكريمة التي ضمننت الانتصار للنبي (صلى الله عليه وآله) .

إن الحالة الإنكارية التي عالج فيها ابن تيمية هذه الأحاديث و محدودية وتسطيع الفهم لآيات القرآن لهي من الأمور التي تجعلنا لا نقول بتطرف الرجل النابع من روح العداة والبغض لعلي (عليه السلام) ، بل أنها تثير علامات استفهام كثيرة تجاه ما ينقله هذا الرجل وما يوثقه من تراث مما يجعله محل شبهة كبيرة في هذا الجانب ، خصوصا وهو يعالج جانب مهم من جوانب التراث الإسلامي ويعرضه على أنه قراءة تصحيحية و رد لأكاذيب ومفتريات شوهدت العقيدة الإسلامية ، ولكنه في الحقيقة يستغش المجتمع الإسلامي و يُعمّي عليهم لا لشيء إلا للحفاظ على منظومته الفكرية المتوارثة التي همها الأول جعل المنطقة العقلية مغلقة لفهم واحد و مملوكة له ومحكوم عليها بالزلزل و الخطأ إذ ما حاولت أن تُولوج إليها أي رؤية تصحيحية مبتتاة على الدليل العلمي المحكم المعترض على نظرة التقديس الأعمى اللامبرر و المشفوع بتراث مشوه تقل كثيرا قيمة النقاء فيه .

ب: ولم يكتف ابن تيمية بتكذيب حديث الناكثين وحديث حريك حربي بل راح يلمح إلى أن الواقع النبوي لا يؤيد صحة هذا الحروب بل يعارضها ولكن بطريقة غير مباشرة ، مستثمرا في

١ . ابن أبي شيبة ، المصنف ، ٨ / ٧٣٢ ، الدارقطني ، سنن الدارقطني ، ٣ / ٩٩ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٨ / ١٨٥ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٤٥ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٧٣ .

ذلك نوعين من الأحاديث : أولهما القسم الذي ينهى عن الدخول في قتال الفتنة وأن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي والساعي خير من الموضوع تلك الأحاديث التي استنتج منها أن "ترك القتال كان خيراً من فعله من الجانبين"^(١)، والقسم الثاني ما جاء على صيغة مدح للإمام السبط الحسن بأن من فضائله أن سيصلح الله به فئتين من المسلمين "فأنتى على الحسن بالإصلاح ولو كان القتال واجبا أو مستحبا لما مدح تاركه"^(٢).

فبخصوص ما جاء في القسم الأول فإن الحديث قد روي بعدة روايات انحصر طريقها بسعد بن ابي وقاص، وابو هريرة، و محمد بن مسلمة، وابو بكر بن زياد، وابو موسى الأشعري وابنه ابو برد، و عديسة بنت أهبان^(٣)، وكلها تقول أن الرسول قد أخبر بوقوع الفتنة وأمرهم بأن يقدوا فيها ويلزموا بيوتهم ويكسروا سيوفهم فإن تعرض لهم أحد للقتل يكونوا كابن آدم المقتول^(٤)، ونص رواية أحمد بسنده عن سعد بن ابي وقاص يشير إلى ذلك صراحة قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي ويكون الماشي فيها خيراً من الساعي قال وأراه قال والمضطجع فيها خير من القاعد" وفي موضع آخر فيها زيادة: "قال أفرأيت إن دخل على بيتي فبسط يده إلي ليقتلني قال كن كابن آدم"^(٥).

إن اهم ما يلاحظ على هذا الحديث هو ما يأتي :

١. إن هذا الحديث ذو مسحة تبريرية واضحة والقناة التي رفدتنا به هم الممتنعين عن المشاركة في الحرب التي خاضها الإمام ضد معارضييه وعن طريقهم أخذ مكانه في التراث الإسلامي، لذا يمكن أن يكون ذلك الحديث تبريراً لموقفهم الذي خذلوا فيه الحق

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٩٧ .

٢ . منهاج السنة ، ١ / ٥٣٩ .

٣ . عديسة بنت أهبان بن صيفي الغفاري روت عن أبيها وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً في القعود عن القتال وقت الفتنة . ابن سعد ، الطبقات ، ٨ / ٤٨١ ، ابن الأثير ، اسد الغابة ، ٥ / ٩٨ .

٤ . ابن حنبل ، المسند ، ٢ / ١٨٥ .

٥ . ابن حنبل ، المسند ، ٢ / ١٨٥ .

التمثل بالإمام علي (عليه السلام) ، هذه نقطة في هذا الجانب ، كما لا يستبعد أن يكون هذا الحديث ذو صناعة واختلاق أموي قامت بنشره مؤسسة الوضع الأموي ، ولكي يلاقي قبولا ورواجا ويأخذ جانب من المقبولية أسند لهؤلاء كونهم من الذين اشتهر أمرهم بأنهم لم يساندوا الإمام علي (عليه السلام) واعتزلوا الحرب، إذ الغريب أننا وحسب تتبعنا لم نجد هناك أي مصدر آخر لهذا الحديث غير هؤلاء.

٢. إن الإجراء الذي توجب على الناس اتخاذه في الفتنة حسب هذه الرواية غير مقبول، فالحديث يصرح بالجلوس وانتظار ما ستؤول إليه الأمور ، وهذا الإجراء قد يكون صحيحا في حال لم يتمكن الشخص من معرفة أي الأطراف المتنازعة على حق ، وأما مع المعرفة الأكيدة فالواجب نصره الطرف المحق ، ولا يشك أحد أنه بوجود الإمام علي (عليه السلام) فالطرف المحق واضح كون الرسول قد صرح بملازمته (عليه السلام) للحق أينما كان وهو أمر اجمع المسلمون على قطعية صدوره من الرسول (صلى الله عليه وآله) بحق الإمام علي^(١) ، أضف إلى ذلك أنه ليس من المتوقع أن يثبب الرسول الناس عن علي وهو يؤكد في مناسبات عدة على نصرته و شرعية حروبه ، فهل يعقل أن يثببهم عن نصرته الحق .

٣. أن علماء الإسلام لم يتقبلوا مضمون هذا الحديث وعمدوا إلى نقده بعدة أمور أهمها أن فيه مضامين تشجيعية لأهل الباطل وخذلان لأهل الحق ومخالفة للأمر برد الظلم الذي قد يصدر من بعض الناس على ضعفاء المسلمين ونسائهم ، ونجد ذلك واضحا في كلام الطبري الذي أورده ابن حجر ، إذ قال "لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر السيوف لما أقيم حد ولا أبطل باطل ولوجد أهل الفسوق سبيلا إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبي الحريم بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة وقد نهينا عن القتال فيها وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء"^(٢) فهل يا ترى غابة تلك المصلحة عن ذهن الرسول!؟.

١ . ابو جعفر الإسكافي ، المعيار والموازنة ، ٣٦ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ٢٣ / ٣٢٩ ، الخطيب

البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٤ / ٣٢٢ .

٢ . ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١٣ / ٢٩ ، الشوكاني ، نيل الأوطار ، ٧ / ٩٩ .

٤. كما أن القعود عند وقوع الفتنة بين المسلمين هو مذهب اختص به ابو بكر ومجموعة من الصحابة- قد تنحصر بالمتخلفين عن القتال - وليس مذهب العامة من الصحابة والتابعين وعلماء الأمة بل إن رأيهم نصره المحق ،وهذا ما صرح به النووي إذ قال " وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام يجب نصر المحق في الفتن والقيام معه بمقاتلة الباغين كما قال تعالى (فقاتلوا التي تبغي) وهذا هو الصحيح وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد واستطال أهل البغي والمبطلون" (١) ، وإذا تساءلنا من هو المحق في هذه الحروب ، فإن النووي يؤكد الحقيقة التي تقول بأن الحق مع علي في كل تحركاته لذا يقول "ان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ثم تأخروا عن مساعدته" (٢).

٥. وفي هذا الحديث مخالفة للآيات القرآنية التي تقول " وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ " (٣) ، وكذلك قوله تعالى " فَفَاتِلُوا اللَّيَّاتِي تَبْغِي حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ " (٤) وكذلك يتعارض مع الأحاديث التي تشرع الدفاع عن النفس إذا ما حاول شخص الاعتداء (٥) ، فكيف يأمر الرسول في هذا الحديث أصحابه أن يتشبهوا بابن آدم القاتل ، وهل يعقل أن يتعارض كلام الرسول مع القرآن وأحاديث اخرى حدث بها ، ألا يدل هذا على أن الحديث ليس قطعي الصدور منه (صلى الله عليه وآله) وأنه جاء لتكبييل أي ارادة تحاول أن تنتفض ضد الباطل مع الحق وتخذييل اكبر قدر من الناس عن الحركة التصحيحية التي يقودها الواعون من أبناء الأمة وبالتالي لا يستبعد أن يكون

١ . شرح صحيح مسلم ، ١٨ / ١٠ .

٢ . شرح صحيح مسلم ، ١٨ / ١٠ .

٣ . سورة الشورى ، الآية : ٣٩ .

٤ سورة الحجرات ، الآية : ٩ .

٥ . مالك ابن انس ، المدونة الكبرى ، ٢ / ٤ ، الشافعي ، كتاب الأم ، ١ / ٢٥٧ ، احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ١٩٠ ، الترمذي ، الجامع الصحيح ، ٢ / ٢٣٧ ، ابن حزم ، المحلى ، ١١ / ١٠٨ .

هذا الحديث صنع في مصانع أموية لغرض فض الأمة عن أي جهد ثوري مضاد لها

٦. ان هناك من روايات ما يقول أن المقصود بهذا الحديث هو ابو موسى الأشعري دون باقي الناس ، إذ وردت الرواية أن عمار بن ياسر كان يقول لأبي موسى وقد راح يثبط الناس عن نصرة الإمام بتحديثهم بهذا الحديث : " يا أبا موسى أنشدك الله ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فأنا سائلك عن حديث فإن صدقت وإلا بعثت عليك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقررك ثم أنشدك الله أليس إنما عناك أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسك قال إنها ستكون فتنة في أمتي أنت يا أبا موسى فيها نائم خير منك قاعدا وقاعد خير منك قائما وقائم خير منك ماشيا فخصك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعم الناس فخرج أبو موسى ولم يرد عليه شيئا" (١) ، ولعلنا نميل إلى هذا الأمر فالرسول قد أطلق الحديث تحذيراً لفرد واحد من الصحابة معروف باسمه وجعله خاصا به وان الفتنة إذا وقعت خير له أن يكون فيها قاعدا لأنه إذا ولج فيها سيضطلع بدور خطير ليس أهلا له تترتب عليه نتيجة كارثية . وهذا ما حصل بالفعل من قبوله التحكيم . ولكن اتت دوائر الوضع فيما بعد وجعلته أمر لجميع المسلمين وذو دلالة عامة مع أنه أمر خاص لفرد من الصحابة .

٧. هل من المعقول أن يعلم كل هؤلاء الذين أتت الرواية من طرفهم بحكم من تحرك في هذه الفتنة ويغيب حكمها وأثرها عن باب مدينة علم رسول الله (صلى الله عليه وآله)

٨. ان هذا الحديث معارض بحديث نبوي ورأي للصحابة بأن يلتزموا في الفتنة جانب القرآن وعليها وليس البيوت ، فقد ورد عنه (صلى الله عليه وآله): " ستكون فتنة بعدي فالزموا عليا فإنه أول من يراني وأول من يضافحني يوم القيامة وهو معي في السماء

١ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٢٩٨ ، ابو يعلى ، المسند ، ٣ / ٢٠٤ .

العليا وهو الفارق بين الحق والباطل"^(١)، وكذلك ما روي عن ابن عباس أنه قال :
"ستكون فتنة فمن أدركها فعليه بخصلتين كتاب الله وعلي بن أبي طالب..."^(٢)

وما روي من أن ابي ذر كان عالما بوقوع الفتنة وكان يوصي بالتزام جانب الإمام علي وهذا ما صرح به بشكل واضح في قوله : "إنما ستكون فتنة لا تشبه هذه التي نحن فيها فإن أدركتها فعليك بعلي بن أبي طالب ، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول وقد أخذ بيد علي عليه السلام : هذا أول من آمن بي ، وصدقني ، وهو أول من يصفحني يوم القيامة ، وهو الصديق الأكبر ، وهو الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ، وهذا سلم الله ، وهذا حرب الله ، وهذا الذي يعصم من الفتنة ، وهذا يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الظالمين ، وقد خاب من افتري"^(٣) .

وفي رواية اخرى عن أبي رافع ، قال : سير عثمان أبا ذر إلى الريذة ، فأثيته لأسلم عليه ، فلما أردت الانصراف قال لي : إنه ستكون فتنة ، ولست أدري أدركها أم لا ، ولعلك أن تدركها ، فان أدركتها فعليك بالشيخ علي بن أبي طالب ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له : أنت أول من آمن بي ويصفحني يوم القيامة ، وأنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل ، وأنت يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكفرة "^(٤) .

٩. والعجيب أن هذه الروايات تؤيدها وتعززها رواية صحيحة تشير الى أن كلا من طلحة والزبير وعائشة كانوا يوصون بالتزام جانب الإمام علي (عليه السلام) إذا ما وقعت الفتنة ، ففي رواية نقلها الطبري بسند صحيح عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن جاوان قال "قلت له رأيت اعتزال الأحنف ما كان ؟ قال سمعت الأحنف قال : حججنا فإذا الناس مجتمعون في وسط المسجد يعني النبوي وفيهم علي والزبير وطلحة وسعد إذ

١ . الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ١ / ١٨٨ ، ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ١ / ٣٥٧ .

٢ . ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤١ ، ٤٢ ، ابن حجر العسقلاني ، لسان الميزان ، ٢ / ٤١٤ ، ٣ / ٢٨٣ .

٣ . البلاذري ، انساب الأشراف ، ١١٨ ، النعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ٢ / ٢٦٤ .

٤ . النعمان المغربي ، شرح الأخبار ، ٢ / ٢٧٨ ، وينظر أيضا : ابو جعفر الاسكافي ، المعيار والموازنة ، ٢٩٠ ، الطبري الشيعي ، المسترشد ، ٢١٥ .

جاء عثمان فذكر قصة مناشدته لهم في ذكر مناقبه قال الأحنف فلقيت طلحة والزبير فقلت اني لا أرى هذا الرجل يعني عثمان الا مقتولا فمن تأمراني به قالوا علي فقدمنا مكة فلقيت عائشة وقد بلغنا قتل عثمان فقلت لها من تأمريني به قالت علي قال فرجعنا إلى المدينة فبايعت عليا ورجعت إلى البصرة فبينما نحن كذلك إذ أتاني آت فقال هذه عائشة وطلحة والزبير نزلوا بجانب الخريبة يستتصرون بك فأنتيت عائشة فذكرتها بما قالت لي ثم أتيت طلحة والزبير فذكرتهما فذكر القصة وفيها قال فقلت والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقاتل رجلا أمرتموني ببيعته فاعتزل القتال مع الفريقين"^(١)، وبالتالي فهذه الرواية تؤكد على التزام جانب علي وليس الاعتزال وهي تؤكد على أن أعداء علي هم من أمروا الناس بالتزامه وهو تقرير لقول الرسول من أنه لا يخرج عن هدى ولا يدخل في ردى.

وقد يؤيد هذه الأمور ما نقل عن الرسول من أنه قد أوصى المسلمين أن ينصروا الأمير في الفتنة"^(٢)، وهو إطلاق عام، وان كان أبو هريرة قد وجهه إلى شخص عثمان، غير ان هذا التوجيه لم يرتضه الباحثون لذا صرح السيد شرف الدين بقوله "وربما حرف الكلم عن مواضعه، كما فعل في الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله: ستكون بعدي فتنة واختلاف قالوا فما تأمرنا عند ذلك يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وآله - وقد أشار إلى علي - : عليكم بالأمير وأصحابه . لكن أبا هريرة أثر التزلف إلى آل أبي العاص وآل معيط وآل أبي سفيان فروى لهم ان النبي صلى الله عليه وآله أشار في هذا الحديث إلى عثمان وقد حفظوا له هذا الصنع"^(٣)، كما لم يرتض ذلك أبو رية اذ اعتبر هذا الحديث هو عبارة عن هدية من أبو هريرة إلى آل أبي العاص"^(٤) .

١ . ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١٣ / ٢٩ .

٢ . ابن أبي شيبة ، المصنف ، ٤٩١ / ٧ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ٩٩ .

٣ . شرف الدين الموسوي ، أبو هريرة ، ٣٠ .

٤ . أبو رية ، شيخ المضيرة ، ٢٢٩ .

والنتيجة التي نتوصل إليها أن حديث القعود في الفتنة شأنه شأن بقية الأحاديث القابلة للمداولة وأن إخضاعه للموازن العلمية لا يدلل على ما ذهب إليه ابن تيمية ، بل إن المرجحات قد تدلل على كثير من مواطن الخلل فيه مما يضعف قيمة الاستدلال به .

أما حديث أن الله سيصلح بالحسن فنتين عظمتين وأنه يعطي انطباعاً يدل على عدم شرعية الحروب التي خاضها الإمام في خلافته ، فإن أهم ما يثار عليه هو أن الإمام الحسن (عليه السلام) لم يكن معتزلاً للقتال بل كان من أشد المناصرين لهذا القتال في عهد أبيه ، إذ ورد أنه كان شديد الاندفاع حتى تطلب ذلك تدخل الإمام علي (عليه السلام) نفسه فقد ورد عنه أنه قال وقد رأى الإمام الحسن (عليه السلام) شديد التحمس في القتال " املكوا عني هذا الغلام لا يهدني "^(١) فما هو تقييم ابن تيمية لشخصية الإمام الحسن (عليه السلام) عندما كان جزءاً من هذه المعارك وبهذا الاندفاع هل كان مناصراً للشرعية ومؤمناً بها أم مناصراً للباطل . !؟

وحتى بعد أن أصبح خليفة أراد أن يستمر على هذه الخطى غير أن الظروف القاهرة هي التي أملت عليه عدم الاستمرار على نفس النهج الذي سار عليه في حياة والده ، ولعل قراءة الواقع التاريخي الخاص بتلك المدة وما قبلها يثبت حقيقة ذلك فالحسن قد ورث جيشاً خائر القوى قد خاض ثلاث حروب داخلية أدت إلى إضعاف معنويات الجيش بشكل كبير جدا وما إن أطلقت دعاية الصلح حتى وجدت رواجاً وقبولاً لدى كثير من الناس ، مما حتم على الإمام الحسن (عليه السلام) أن يأخذ ذلك الأمر بعين القائد الذي لا تخبو عليه أساير جنوده ونواياهم ، فالقتال بهم وهم قد مالت أنفسهم وهفت إلى المهادنة أمر غير منطقي لذا وافق على الصلح الذي لم يكن لديه إلا هدنة مؤقتة حتمتها الظروف العسكرية .

كما لم يردنا أي نص يدلل على أن الإمام الحسن (عليه السلام) أوقف الحرب متأثراً بهذا الحديث أو لتذكيره به ، بل حتى أن معاوية المعروف باستغلاله لكل ما من شأنه الانتفاع به لم يذكر هذا الحديث حين بث دعاية الصلح ، ولو كان هذا الحديث موجوداً ومتعارفاً لاستغله أيما استغلال ، بل لم يرد أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد استدل على

١ . الإمام علي ، نهج البلاغة ، ١٨٦ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١١ / ٢٥ .

شرعية هذا الصلح بهذا الحديث حين عارضه أصحابه على عقده ، أضف إلى ذلك أن هذا الحديث قد ورد . وحسب تتبعنا له . من طريق واحد وهو رواية البخاري عن ابي بكر بن زياد ومنه انتقل إلى مصادر المسلمين الأخرى وهذا مما يقلل قيمته العلمية .

كما ينبغي الالتفات إلى أنه لم يؤثر أي طعن من قبل الإمام الحسن (عليه السلام) بحروب الإمام علي (عليه السلام) أو شخصيته ، بل على العكس تماما إن تقيمه لشخصية والده واحترامه لها وتسليمه المطلق بصحة كل ما فعله واضحة في جملة من مواقفه التي من أهمها التأيين الذي رثى فيه الإمام علي (عليه السلام) بعد وفاته .

إذ ورد أنه قال : "أيها الناس إنه قد فارقكم أمس رجل ما سبقه الأولون ولا يدركه الآخرون ، ولقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يبعثه المبعث فيعطيه الراية فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل عليه وإن جبريل (عليه السلام) عن يمينه وميكائيل عن شماله ، ما ترك بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادما"^(١) .

وكذلك الحال في رفضه النيل من الإمام من قبل الأمويين لذا جعل منع سبه وعدم التعرض لشيئته الذين قاتلوا معه من أهم بنود وثيقة الصلح مع معاوية^(٢) ، بل وردت الروايات أن الإمام الحسن عليه السلام كان مفتخراً بانتمائه لذلك الرجل العظيم فقد قال في إحدى المجالس التي نال معاوية والجالسون فيه من الإمام علي (عليه السلام): "أيها الذائر عليا ، انا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر وأمي فاطمة وأمك هند وجدتي رسول الله صلى الله عليه وآله وجدك حرب وجدتي خديجة وجدتك قتيلة ، فلعن الله أئمتنا ذكرا ، وأئمتنا حسبا وشرنا قدما . وأقدمنا كفرا ونفاقا ..."^(٣) .

كما أن هذا الحديث فيه نوع من المعارضة لحديث قتال الفئة الباغية وبالتالي تبقى الشكوك تحوم حول صحة هذا الحديث بنصه الذي يقول "إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به

١ . ابن عقدة الكوفي ، فضائل أمير المؤمنين ، ١٣١ ، ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، ٤٢ / ٥٧٩ .

٢ . ينظر عن موقف الإمام الحسن (عليه السلام) من سب الإمام علي : الجابري ، الدعاية الأموية المضادة للإمام علي (دراسة في سياسة السب) .

٣ . ابو الفرج الأصفهاني ، مقاتل الطالبين ، ٤٦ ، المفيد ، الإرشاد ، ٢ / ١٥ .

فنتين من المسلمين عظيمتين" ، نعم المقطع الأول من الحديث أمر متسالم على صحته لوجود ما يعضده^(١) ، وما يثير الشك هو المقطع الثاني الذي نعتقد - وإن قل الدليل المتوافر بأيدينا . بأنه ذو نفس أموي هدفه إظهار فئة أهل الشام بمظهر الممتدح من قبل الرسول ، وهذه الزيادة في الحديث من جنس أحاديث الفضائل الأخرى التي تبين مكانة أهل الشام وغيرهم على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) والنبي منها براء .

بقي أن نشير إلى شيء فيما يخص الإمام الحسن (عليه السلام) وهو معارضته المزعومة للإمام علي (عليه السلام) في هذه الحروب ، فابن تيمية يرى أنه " كان دائما ما يشير على أباه بترك القتال "^(٢) . في تهرب واضح من ذكر مصدر معلومته أو نقلها بالنص وهذا ما سنبين سببه فيما بعد .

وحقيقة أن ما أتى به ابن تيمية من رؤية لا نكاد نجد لها وجودا في الواقع فالإمام الحسن (عليه السلام) مع بداية تحرك أبيه كان من المؤيدين له حتى انتخبه سفيرا له إلى الكوفة كي يحفزهم على دعمه بعدما شكك أبو موسى بشرعية تلك الحرب ، وموقف الإمام الحسن الرسمي من هذه الحرب واضح فهو بعد أن وصل إلى الكوفة كلم أبا موسى على تثبيط الناس عن اللحاق بعسكر الإمام قائلا : " يا أبا موسى لم تثبط الناس عنا ؟ فو الله ما أردنا إلا الإصلاح ، وما مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء ، قال أبو موسى : صدقت بأبي وأمي "^(٣) ، ثم أنه صعد المنبر فقال : " يا أيها الناس أجيئوا دعوة أميركم وسيروا إلى إخوانكم فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لان يليه أولوا النهى أمثل في العاجلة وخير في العاقبة فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم ، فتسامح الناس وأجابوا ورضوا به "^(٤) ، كما أن ما ذكرناه من اندفاع الإمام الحسن في حرب صفين ذلك الاندفاع الذي

١ . إن أهم ما يقوي هذا الحديث هو قول الرسول : (الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة) راجع في ذلك : احمد بن حنبل ، المسند ، ٣ / ٣ ، ٦٢ / ٣ ، ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ١ / ٤٤ ، الترمذي ، الجامع الصحيح ، ٥ / ٣٢١ ، النسائي ، فضائل الصحابة ، ٢٠ ، ٥٨ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٦٧ ، النعمان المغربي ، دعائم الإسلام ، ١ / ٣٧ .

٢ . منهاج السنة ، ٢ / ٥٤٨ . ٥٤٩ .

٣ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٩٨ / ٣ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٢٨ .

٤ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٩٨ / ٣ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٢٨ .

أثار الإمام علي ليؤكد على نظريته المطابقة تمام المطابقة لنظرة أبيه في هذه الحروب وشرعيتها لا لومه عليها وتردده فيها .

والعجيب ان ابن تيمية لم يذكر مصدر معلومته تلك وسندها وأي من أهل العلم قد قال بها وهل هي موافقة لإجماع أهل العلم أم لا؟ كما كان يطالب بتلك الأمور حين يريد القدر بمأثرة من مآثر الإمام علي بل أهمل توثيق معلومته تلك، في تجاهل واضح ومتعمد لكل تلك الأمور ، ، لما تحمله هذه الرواية من بصمة الوضع الأموي وأن من جملة روايتها سيف ابن عمر^(١) ذلك الرواية الذي أجمعت كلمات علماء المسلمين ومن كافة اتجاهاتهم على رد روايته كونه (أتهم بالزندقة ، يروى الموضوعات عن الاثبات ، يضع الحديث ، ضعيف ، متروك الحديث ، فليس خيرا منه ، متهم في دينه مرمي بالزندقة ساقط الحديث لا شيء)^(٢).

وما يثير الاستغراب من هذه الرواية التي جعلها مادة لرأية وتحامى من إيراد نصها واكتفى بنقلها بالمعنى إنها تخالف ادب أهل البيت وأخلاقهم فبعض نصوص هذه الرواية تشير إلى تصرفين غير لائقين نسب أحدهما للإمام الحسن والآخر للإمام علي (عليهما السلام) ، فأما الذي نسب للإمام الحسن (عليه السلام) أنه يخاطب أباه بقوله : "أمرتك وعصيتي"^(٣) ، وأما الذي نسب للإمام علي (عليه السلام) هو رده على الحسن بقوله : "إنك لا تزال تخن خنين الجارية"^(٤) ، ونحن نعلم أن أهل البيت منطقتهم وأدبهم هو القرآن فكيف يعقل أن يقوم الإمام الحسن (عليه السلام) بأمر الإمام علي (عليه السلام) فهو أعرف الناس بمدى الحكمة والعقل و الفكر الذي تحمله تلك الشخصية ، وكيف يصف أمير المؤمنين ابنه وهو سبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة بأوصاف النساء ، وهل هذا الذوق الكلامي

١ . سيف بن عمر ، الفتنة ووقعة الجمل ، ١٢٠ .

٢ . النسائي ، الضعفاء والمتروكين ، ١٨٧ ، ابن حبان ، المجروحين من المحدثين ، ٣٤٦ ، ابن عدي ، الكامل في الضعفاء ، ٤٣٥ / ٣ ، العقبلي ، الضعفاء الكبير ، ١٧٥ / ٢ ، الرازي ، الجرح والتعديل ، ٢٧٨ / ٤ .
وينظر أيضا عن سيف بن عمر لدى علماء الجرح والتعديل ، الأميني ، الغدير ، ٨٤ / ٨ .

٣ . سيف بن عمر ، الفتنة ووقعة الجمل ، ١٢٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٧٤ / ٣ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٢٢ / ٣ وغيرهم وكلهم نقلوها عن سيف بن عمر .

٤ . سيف بن عمر ، الفتنة ووقعة الجمل ، ١٢٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٧٤ / ٣ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢٢٢ / ٣ .

منسجم مع الأدب الرفيع والرقي المنطقي الذي كان كلام الإمام علي (عليه السلام) متصفا به

إن ما نود أن نطرحه هنا فيما يخص ذلك الأمر هو أن الوضاعة في الأدب لا تتناسب مع التربية الأسرية لأهل البيت (سلام الله عليهم) ولا يمكن أن تصدر منهم ، وهي بأعدائهم ألصق بل هي حال أعدائهم إلا أن المأجورين نسبوا ذلك الأمر لأهل البيت وتحديدا للإمام الحسن والإمام علي (عليهما السلام) كي يغطوا على الإنحراف الأسري الذي يتميز به أعداءهم (سلام الله عليهم) ، فقد نسجت تلك الروايات على منوال الرواية التي تصرح بسوء أدب عبد الله بن الزبير مع والده حين اعتزل القتال فقد ورد أن الزبير بعد أن اعتزل القتال سأله ابنه عبدالله عن سبب ذلك فأجاب " مالي في هذا الحرب بصيرة ، فقال له ابنه إنك قد خرجت على بصيرة ولكنك رأيت رايات ابن أبي طالب وعرفت أن تحتها الموت فجبنت فأحفظه حتى أردد وغضب وقال ويحك إنني قد حلفت له ألا أقاتله فقال له ابنه كفر عن يمينك بعنق غلامك سرجس" (١) ، فعلى هذا الأصل نسجت تلك المحادثة بين الإمامين ، لتلطف ما أساء به ابن الزبير لوالده ، وإلا فالحسن (سلام الله عليه) لا يمكن أن يصدر منه إلا ما يتوافق مع الخلق الرفيع الذي عرف به جده المصطفى وأهل بيته الطاهرين .

إن نوبة التشكيك بالمشروعية وصلت إلى الإمام علي نفسه ، فهو أيضا حسب ابن تيمية قد ندم على هذه الحرب . التي سفكت فيها الدماء وانتشر فيها الفساد وأطمعت الكفار بالمسلمين . وشك في صحتها ، وقد حدد ابن تيمية عدة موارد دللت على ذلك الندم لخصها بالنص الآتي : " وعلي بن ابي طالب رضي الله عنه ندم على أمور فعلها من القتال وغيره وكان يقول ... لقد عجزت عجزة لا أعتذر ... سوف أكيس بعدها وأستمر ... واجمع الرأي الشتيت المنتشر ، وكان يقول ليالي صفين لله در مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك ، إن كان برا إن أجره لعظيم وأن كان إثما إن خطره ليسير ، وكان يقول يا حسن يا حسن ما ظن أبوك أن الأمر يبلغ إلى هذا ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة ، ولما رجع من

١ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٢٠ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٤٠ .

صفين تغير كلامه وكان يقول لا تكرهوا إمارة معاوية فلو قد فقدتموه لرأيتم الرؤوس تتطاير عن كواهلها... " (١) .

إن أهم ما يمكن ملاحظته من النص المتقدم هو :

١. إدراك الإمام بعجزه الكامل في الخطوات الحربية التي قادها و اعترافه بعدم التعقل فيها .
 - ٢- ثناءه على الممتنعين عن المشاركة في هذه الحروب وعده موقفهم على أسوأ حالاته خيرا من موقفه هو ، وهذا الموقف قد صرح به في ليالي صفين .
 ٣. عدم توقعه بوصول الأمور إلى هذا الحد مما أدى به أن يتمنى الموت قبل ذلك الزمن .
 - ٤- امتداحه لمعاوية وإمارته والثناء عليها وتحذيره الناس من كراهة حكمه لأن فقدته سيفتح الطريق إلى التتكيل والقتل ، مع التذكير بأن ذلك التغير في موقفه جاء بعد الرجوع من صفين .
- وكل تلك الأمور تنصب في صالح عدم شرعية حروبه وفي صالح معاوية بن ابي سفيان وهو الطرف الآخر في أطراف الصراع الذي نشب في خلافة الإمام علي (عليه السلام) .
- إنها محاولة للطعن بالشرعية إذ هل يعقل أن يتكلم الإمام علي (عليه السلام) بهذا الكلام الذي يضعف معسكره ويشق وحدته ، وهل أثر عن قائد يضعف جبهته وهو في أشد مواقف المعركة باستذكار الممتنعين عن اللحاق به وامتداحهم ، ألم يحسب الإمام حساب جيشه وردة فعله إذا ما سمع ذلك الكلام خصوصا وأن قسما من الجيش تعامل مع الإمام على أنه مأمور بهذا القتال لذلك ساندته ، ثم هل إن الواقع التاريخي يؤيد ذلك الثناء على الممتنعين أم أن الإمام كان قد أطلق تشخيصه لحالة هذه الشخصيات بقوله : " خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل " (٢) ، بل إن منهم من ذمه الإمام على عدم المشاركة فقد ورد انه رد على الحارث بن حوط وقد طلب الاعتزال كما اعتزل سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر بقوله "

١ . منهاج السنة ، ٦ / ٢٠٨ .

٢ . نهج البلاغة ، ٤٥ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٦١٠ / ٢ .

إن سعدا وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق ، ولم يخذلا الباطل" (١) في إدانة واضحة لهما فكيف يثني على عدم مشاركتهما ويتمنى مكانهما.

ومن جهة أخرى إن النص المتقدم يشير صراحة إلى امتداح معاوية والثناء عليه وقد جاء ذلك الثناء بعد العودة من صفين ، ولكن حقيقة الأمر تخالف هذا فالإمام كان قد رجع من قتال معاوية على مضض ولم يكن راغبا إلا في حسم ذلك القتال ولم تضعف عزيمته أو تتغير رؤيته الشرعية لمعاوية بل لم يكن أمره إلا في وضوح تام ، إلا أن المكائد التي بثها معاوية وعمر بن العاص ألجأته إلى قبول التحكيم بعد أن رأى أن مكيدة المصاحف قد وجدت رواجاً في جل جيشه ، فأرسل حينها إلى مالك الأشتر بإيقاف القتال ، ولم يمهل بالاستمرار وحسم المعركة حتى لو كان الوقت المطلوب فواق ناقة أو عدوة فرس (٢) مما يؤكد على خطورة الموقف الذي وضع فيه الإمام (عليه السلام) وأن الأمور بدأت تخرج عن السيطرة ، حينها أقل من صفين عائدا منتظرا ما سيؤول إليه التحكيم ، ولكن مطالبة الخوارج له بالعودة قبل حسم أمر التحكيم حتمت خروجهم ومقاتلتهم (٣) ، وبعد أن صفى جبهة الخوارج وتيقن أن أمر التحكيم قد أفضى إلى غير حكم الله بعد إخفاق أهل العراق في اختيار شخصية كفى لتمثيلهم في هذا التحكيم و الاستغفال الذي أوقع فيه ممثلهم أبو موسى الأشعري (٤) بدأ الإمام بالدعوة إلى التجهز ومعاودة الكرة لقتال معاوية ، وأمر الناس أن يلحقوا بمعسكر النخيلة (٥).

أما من جانب معاوية فإنه في تلك المدة عمد إلى شن هجماته وغاراته الإرهابية- وهي غارات لها مثيلاتها في وقت اليوم وعلى بلدنا العزيز . على المناطق الخاضعة إداريا لنفوذ

١ . نهج البلاغة ، ٦٣ .

٢ . ينظر في تفاصيل ذلك: ابن أعثم الكوفي ، الفتوح ، ٣ / ١٨٧ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤ /

٣٥ . ٣٧ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣١٦ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢١٧ ،

٣ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤ / ٥٢ . ٥٣ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٣٤ .

٤ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٤ / ٢٥٦ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤ / ٥١ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٣٢ .

٥ . الدينوري ، الأخبار الطوال ، ٢١١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤ / ٦٧ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١ / ٢٠٩ . ٢١٠ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٤٩ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ١٩٣ .

الإمام علي (عليه السلام) فنشر فيها الفساد والقتل والدمار وأثار الرعب في ساكنيها^(١)، ولما تواردت تلك الأنباء إلى الإمام علي (عليه السلام) راح يستحث الناس في ردها غير أن الكوفة ومع شديد الأسف لم تستجب لذلك النداء النابع من صميم علي الإنسان . بالمستوى المطلوب^(٢) حينها تعكرت الأمور كثيراً بوجه ذلك الفارس الذي لم يجد من بد إلا أن يخرج بنفسه إلى القتال ، ولكن المنية عجلت له فقتل و هو لا هم له إلا أن يعاود القتال ضد معاوية ومن تبعه ، وبالتالي نتساءل ما الذي تبين له في معاوية كي يتغير موقفه؟ ومتى استكره الإمام قتال معاوية وتغير كلامه وأثنى على إمارته؟ أم يوم أرغم على التحكيم أم يوم جهز الجيوش لقتاله بعد ذلك ، أم يوم أغار معاوية على أراضي المسلمين وقتل منهم من قتل ، أهل يعقل أن يرد على لسان الإمام قوله " يا أهل الكوفة ، قد أتاني الصريخ يخبرني أن أخوا غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلا في أربعة آلاف ، فأغار عليهم كما يغار على الروم والخزر ، فقتل بها عاملي ابن حسان وقتل معه رجالا صالحين ذوي فضل وعبادة ونجدة ، بوأ الله لهم جنات النعيم ، وإنه أباحها ، ولقد بلغني أن العصابة من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة ، فيه تكون سترها ، ويأخذون القناع من رأسها ، والخرص من أذنها ، والأوضاع من يديها ورجليها وعضديها ، والخلخال والمئزر من سوقها ، فما تمتنع إلا بالاسترجاع والنداء : يا للمسلمين ، فلا يغيثها مغيث ، ولا ينصرها ناصر . فلو أن مؤمنا مات من دون هذا أسفا ما كان عندي ملوما ، بل كان عندي بارا محسنا . واعجبا كل العجب ، من تضافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلكم عن حاكم ! قد صرتم غرضا يرمى ولا ترمون ، وتغزون ولا تغزون ، ويعصى الله وترضون ، تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها ، كلما اجتمعت من جانب تفرقت من جانب"^(٣) في دلالة على حجم الرعب الذي الحقه جيش معاوية بالمسلمين ثم يقول "" لا تكرهوا إمارة معاوية فلو قد فقدتموه لرأيتم الرؤوس تتطاير عن كواهلها" هل يعقل أن يتكلم الإمام بهذا الكلام في وقت هو بحاجة إلى إجماع الناس على

١ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤ / ١٠٢ - ١٠٧ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٧٥ . ٣٨٣ .

٢ . الدينوري ، الأخبار الطوال ، ٢١١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤ / ٦٧ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١ / ٢٠٩ . ٢١٠ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٤٩ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ١٩٣ .

٣ . المفيد ، الإرشاد ، ١ / ٢٨٣ .

قتال معاوية ، وهل يعقل ذلك وطلائع جيشه أفسدت ما أفسدت في الأنبار وتكررت ومكة واليمن ، فإذا كانت مقدمة الجيش قد فعلت ذلك فما بال أيام حكمه كيف ستكون ؟!!! .

والعجيب أن الناس - حسب النص المتقدم . قد أدركوا كراهة حكم معاوية غير أن الإمام يحببه إليهم في جدلية غير متزنة صادرة من رجل هو بالأمس يطالبهم بقتاله ويورد جملة من العبارات التي تدلل على ظلمه وأحقية قتاله وتحذر الأمة منه وبذل لذلك خلص أصحابه كعمار وهاشم المرقال ومحمد بن ابي بكر ومالك الأشتر فكيف يكون هذا التضاد مادامت البصيرة واحدة في تقييم حجم الضرر الذي الحقه معاوية بالإسلام .

كما أن مثل هذا الكلام يتعارض كثيراً مع الموروث الصادر عن الإمام علي (عليه السلام) الذي كان يذكر فيه معاوية وتسلطه على الأمة وما يحدثه تسلط بني أمية من فتنة في الإسلام والذي يتماشى مع الخط العام لرؤيته (سلام الله عليه) لبني أمية ، فقد ورد عن أنه قال " ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية ، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها ، وخصت بليتها ، وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمي عنها ، وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي ، كالناب الضروس ، تعذب بفيها وتخبط بيدها ، وتزين برجلها ، وتمنع درها ، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم ، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه ، والصاحب من مستصعبه ، ترد عليكم فتنهم شواء مخشية ، وقطعا جاهلية ، ليس فيها منار هدى ، ولا علم يرى ، نحن أهل البيت منها بمنجاة ، ولسنا فيها بدعاة ، ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم" (١) .

ثم أ هل يعقل أن تغيب أحاديث الرسول بحق معاوية وبني أمية عن ذهن الإمام حتى يعمد إلى تحسين خلافته ، وهل يعقل أن يحبب الإمام إمارة رجل قال عنه الرسول " أول من يبذل سنتي رجل من بني أمية" (٢) ، هل غاب ذلك عن ذهن الإمام ؟! .

١ . نهج البلاغة ، ١٨٤ .

٢ ابن ابي شيبة ، المصنف ٨ / ٣٤٢ ، وقد أفاض السيد الحيدري كثيراً في هذا الحديث ودلالاته ومن المقصود به ونماذج من تبديل السنة على يد معاوية بن ابي سفيان ، في كتابه : السلطة وصناعة الوضع ، ١٤٤.٧٨ .

كل هذه الأمور تدعونا للسخرية من هذا الكلام الذي إن دققنا النظر فيه وجدناه لا يسلم به جاهل فكيف بشخص يدعى بشيخ الإسلام ، خصوصا وأنه كلام يخالف مباني هذا الرجل من التشدد في صحة المنقول الروائي ومع ذلك يرويه ويستشهد به ، والكلام لا يحيد عن الصحة إذا قلنا أن النفس الأموي هو النفس المسيطر على ما ذكره ابن تيمية ، وهو محاولة من معاوية ومؤسسة الوضع الأموي في إضفاء المشروعية لحكمه على لسان الإمام علي (عليه السلام)، فرواية عدم استكراه إمارة معاوية قد زجها إلى التراث الإسلامي عامر الشعبي ذلك الرجل المعروف بعمق العلاقة والصلة بالأمويين فهو الذي قيل عنه أنه من الذين لا يؤمنون على علي ابن أبي طالب^(١) ، وهو الذي قال "كنا جماعة ما منا الا من نال من علي عليه السلام مقارنة للحجاج ، غير الحسن بن أبي الحسن رحمه الله"^(٢) وهو الذي يرد على قول الرسول الذي يقول فيه حب علي ايمان وبغضه نفاق بقوله "أما إن حبه لا ينفعك ، وبغضه لا يضرك"^(٣) ، ومع هذا اعتمده ابن تيمية دون أدنى اعتراض عليه ، وهو في هذا كله لا يذكر أصل الرواية لأنه لو ذكره لتبين مقدار القيمة العلمية لها فهي لا تكاد تخرج عن رواية المخالف الذي لا يقبل الحياد في روايته ، إذن كيف أصبح الشعبي أمينا على النقل عن الإمام ويعتمده ابن تيمية ، لم يكن ذلك إلا بسبب تناغم الرواية مع مبتغاه وهواه من جهة وانعدام الدليل على ما يحاول التنظير له ، وحقبة هذا الكلام متوافق مع الرؤية الفكرية لابن تيمية لذلك أورده فابن تيمية يرى أن ترك معاوية في الإمارة أسلم وأصح من مقاتلته.

إما فيما يخص الشعر الذي جعله دليلا على ندم الإمام فإن الروايات قد اختلفت فيه عدة اختلافات اهمها في المناسبة التي قيل فيها فالبعض قد صرح إنه قد قاله بعد مقتل عثمان بعد أن القى أول خطبة له رد على كلام لبعض الحاضرين^(٤) ، في حين روي أن مناسبة ذلك الشعر كانت حين رجع الناس من صفين وهم مختلفين في أمر الحكمين^(٥) ،

١ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩٨/٤ .

٢ . الجاحظ ، العثمانية ، ٢٩٣ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٣١/١٣ .

٣ . الطوسي ، رجال الكشي ، ٣٠/١ .

٤ . الفتنة ووقعة الجمل ، ٩٦ ، ابن شبه النميري ، تاريخ المدينة ، ١٢٧٩/٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،

٤٥٨/٣ ، ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ١٩٥/٣ .

٥ . البلاذري ، انساب الأشراف ، ٣٤٢ .

وقيل بل إنه قال ذلك الشعر بعد أن قتل محمد بن ابي بكر وأخذ كتاب كان معه كتبه الإمام له ، فيه تفصيل الأحكام فجزع على ذلك الكتاب وقال ذلك الشعر^(١) ، وبالتالي فإن المناسبات الثلاث ليس لها أي علاقة بحروب الإمام علي (عليه السلام) ومع هذا يجعله دليلاً على ندمه في الحرب وبالتالي إضعاف الشرعية.

وختاماً نقول ان ابن تيمية قد شكك بشرعية حروب الإمام (عليه السلام) ونقض أدلتها واحد تلو واحد وأقدم على استحداث أدلة ، دون أن يكلف نفسه عناء البحث في أدلة المشروعية للخارجين عليه فكان من الإنصاف أن يورد الروايات الدالة على حربهم ولكن في الحقيقة هو قد تجاهل كثير من الإشارات التي أشار بها الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الخارجين على الإمام (عليه السلام) كحديث كلاب الحوآب^(٢) أو حديث مقاتلة الزبير للإمام وهو ظالم له^(٣) ، لأن إيتاءها وعرضاً سيعرض منظومته الفكرية المبتتات على ثلب علي والقدح فيه للاهتزاز والاضمحلال وفقدان القيمة العلمية.

ثانياً : المعالجة و الرؤية لموقف الخارجين على الإمام علي (عليه السلام)

عرض ابن تيمية رؤيته للخارجين على الإمام علي (عليه السلام) وفق عدة آليات، وكان في عرضه مهتماً بالاستدلال على الطبيعة السلمية والنوايا الحسنة التي كانوا يحملونها ، وإن خروجهم لم يكن إلا لطلب الإصلاح ، غير إن الظروف والمعطيات المستجدة أدت إلى نشوب القتال في موقف لم يكن أحد من الأطراف قد فكر به أو ذهب إليه ، ولبيان أوضح نسلط الضوء على أهم الأفكار التي ركز عليها في هذا الموضوع :

١ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٧٣ .

٢ . ذكر هذا الحديث في مسند أحمد بن حنبل ٦ / ٥٢ ، بما نصه " لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب قالت أي ماء هذا قالوا ماء الحوآب قالت ما أظنني الا انى راجعة فقال بعض من كان معها بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها ذات يوم كيف بإحداكن تتبج عليها كلاب الحوآب " ، وصرح ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ، ١٣ / ٤٥ ، بتصحيحه من ابن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح ، وفي الكامل في التاريخ لابن الأثير ، ، ٣ / ٢١٠ : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه ليت شعري أيتكن تتبجها كلاب الحوآب ثم ضربت عضد بغيرها فأناخته وقالت ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوآب "

٣ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥١٩ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٤٠ .

١- تقديم الاعتذار ومحاولة بيان أن المقصد الحقيقي في تحريك المعارضين هو الإصلاح ، فهو يرى أن القتال لم يكن غاية أهل الجمل ابتداءً ولم يخرجوا للقتال بل كان الخروج لطلب الإصلاح ، إذ كانوا قبل قدوم علي يطلبون قتلة عثمان^(١) . مع ملاحظة أن ابن تيمية يحاول أن يبعد السيدة عائشة عن دائرة الحرب التي حدثت ويكرر مقولة " أما الحرب التي كانت بين طلحة والزبير وبين علي ..."^(٢) " و لا كان قصد طلحة والزبير قتال علي"^(٣) و"إن طلحة والزبير لم يكونا قاصدين قتال علي"^(٤) في تحاش تام لذكر اسمها إلا حين يعرض إلى نهاية المعركة وقصة سببها .

يؤكد ابن تيمية على أن طلحة والزبير قد باشروا قبل قدوم الإمام علي (عليه السلام) بطلب قتلة عثمان في إشارة إلى أنهما لم يكونا يريدان الخروج على الخليفة و أن المقصد الحقيقي هو القصاص ، دون أن يدرك أن هذا الأمر يعني أنهما قد زاحما السلطة الرسمية وباشرا في استخدام سلطة هي غير سلطة الدولة التي كانت البصرة خاضعة لها وهذا خرق واضح قد يثير كثير من المشاكل ويخل بالنظام خصوصا وانهما لم يكونا مخولين لا من الخليفة ولا من أولياء الدم في ذلك ، ولا يمتلكون أي صفة إدارية أو تشريعية مع وجود الوالي المعين من قبل الخليفة .

كما إن قوله هذا فيه مفارقة تاريخية فهو يختزل حركة أهل الجمل بدعوى طلب قتلة عثمان ، في حين المعطيات المتوافرة تشير إلى ابعده من ذلك بكثير فهم عمدوا بعد وصولهم البصرة إلى عدة إجراءات كان من بينها محاولة إزاحة والي الحكومة والسماح لأنفسهم بالحلول مكان سلطة الدولة في أول بادرة هدفها تقليص حجم البلدان الخاضعة للخليفة الشرعي والتمرد على سلطته وإيجاد موطئ قدم لهم ، وهذا ما نلاحظه جليا في الروايات التي تؤكد على أن أهل الجمل حاولوا تولي إدارة البصرة وتتحية الوالي عنها ، مما أدى إلى قيام الحرب بين أنصار الخلافة وأهل الجمل حتى كثر القتل في جيش الخلافة ، ونتيجة لذلك اتفق الطرفان

١ . منهاج السنة ، ٣ / ٣٨ ، ٣ / ٥٤ ، ٣ / ٧١٩ ، ٣ / ٧٣٣ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٧١٩ .

٣ . منهاج السنة ، ٣ / ٣٨ .

٤ . منهاج السنة ، ٣ / ٧٣٣ .

على إيقاف القتال و إرسال رسول يستعلم رأي الخليفة الذي يعتبر هو صاحب القرار في ذلك ، وفي هذه المدة يتولى ممثل الخلافة حماية بيت المال وبعض المؤسسات ذات المسحة الحكومية وفي المقابل يسمح لهم بالنزول في أي مكان من البصرة حتى رجوع أمر الخليفة^(١)، وفعلا أرسل كعب بن سور إلى المدينة حاملا عدة تساؤلات أرسل بها الوالي إلى الإمام علي (عليه السلام) من بينها التساؤل عن حال طلحة والزبير وطبيعة بيعتهما هل كانت بالإكراه " فان كانا أكرها خرج عثمان عنهما وأخلى لهما البصرة وإن لم يكونا أكرها خرج طلحة والزبير"^(٢)، إلا أن هؤلاء لم يلتزموا فعدوا على الوالي في حركة مفاجئة لم يكن قد حسب لها الحساب أو أعد لها العدة ، لينتهبوه بيت المال ويقتلوا حراسه بعد أن بذلوا لهم الأمان ، ثم يعرجوا على الوالي بالاهانة والتنكيل في ممارسة تعسفية واضحة وخروج علي على سلطة الدولة ويمارسوا السلطة في البصرة^(٣)، دون أن تشير المصادر إلى أنهم قد اقتصوا من رجل واحد من قتلة عثمان بل كانت الغاية الأسمى لهم هي السيطرة على منطقة مهمة من بلدان الخلافة الإسلامية لغرض اضعافها وجعلها قاعدة لمعارضتهم وضم أكبر عدد من المناوئين للحكومة الإسلامية التي يترأسها الإمام علي (عليه السلام).

أضف إلى ما سبق إن شعار المطالبة بدم عثمان الذي اتخذ غطاء لتحرك أهل الجمل - حسب ماروج له ابن تيمية ومعه كثير من الردود المدافعة عن حركة أهل الجمل وخروجهم إلى البصرة على الخليفة الشرعي - ما هو إلا تبرير لموقفهم المتمرد على الخليفة الشرعي وإلا فهم أبعد ما يكون عن ذلك .

فاستعراض النصوص التاريخية لحال أهل الجمل حين الثورة على عثمان لا يؤيد تلك الدعوة بل ينقضها كونهم من الذين قد ساهموا وبشكل واضح في التحريض ضده^(٤) ، فعائشة قد كانت أول المبتدئين لذلك بعد التعديل الذي طرأ على عطاءها ليساويها بزوجات النبي بعد

١ . ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ / ٨٩ .

٢ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٤٨٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٣ / ٢١٤ .

٣ . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢ / ١٨١ ، الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٤ / ٤٦٨ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢١٥ .

٤ . لأستاذنا الدكتور حسين علي الشهراني عرض قيم لمجموعة من الروايات عن هذا الموقف في كتابه : التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية ، ٤٠ وما بعدها .

أن كانت متميزة عليهن في العطاء^(١) ، وهي التي كانت ترفع بيديها نعلي رسول الله وقميص وتقول : " أيها الناس ! العهد قريب ، هاتان نعلا رسول الله صلى الله عليه وآله وقميصه ، كأني أرى ذلك القميص يلوح وأن فيكم فرعون هذه الأمة ... وعثمان يقول لها : اسكتي ! ثم يقول للناس : إنها امرأة وعقلها عقل النساء فلا تصغوا إلى قولها " ^(٢) .

وهي التي كانت ترفع اجزاء من المصحف ثم تتادي عثمان قائلة : " يا عثمان أقم ما في هذا الكتاب ، فقال : لتنتهن عما أنت عليه أو لأدخلن عليك جمر النار ! فقالت له عائشة : أما والله ، لئن فعلت ذلك بنساء النبي صلى الله عليه وآله ليلعنك الله ورسوله ! وهذا قميص رسول الله لم يتغير وقد غيرت سنته يا نعثل"^(٣) وغيرها من المواقف التي أجاد السيد الأميني في إحصائها وتتبعها وكلها تشير إلى حقيقة واحدة وهي إن عائشة هي التي حركت الناس عليه غير ان التغيير طرأ على موقفها بعد أن تناهى إليها أن الإمام علي (عليه السلام) هو من تولى الأمر لا طلحة بن عبيدالله ^(٤) .

ولعل ابن الأثير يشير إلى ذلك صراحة إذ روى أن عائشة خرجت إلى مكة " وعثمان محصور ثم خرجت من مكة تريد المدينة فلما كانت بسرف لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقال له عبيد بن أبي سلمة وهو ابن أم كلاب فقالت له مهيم . قال قتل عثمان وبقوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا قال اجتمعوا على بيعة علي فقالت ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني فانصرفت إلى مكة وهي تقول قتل والله عثمان مظلوما والله لأطلبن بدمه فقال لها ولم والله إن أول من أمال حرفه لأنت ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر قالت إنهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الأخير خير من قولي الأول فقال لها ابن أم كلاب :

ومنك الرياح ومنك المطر

فمنك البداء ومنك الغير

١ . الشرهاني ، التغيير في السياسة المالية ، ٤٠ .

٢ . المفيد ، الجمل ، ٧٦ .

٣ . المفيد ، الجمل ، ٧٦ .

٤ . ينظر : الأميني ، الغدير ، ٩ / ٧٧ . ٨٤ .

وقلت لنا إنه قد كفر

وأنت أمرت بقتل الإمام

وقاتله عندنا من أمر

فهبنا أطعناك في قتله *

ولم ينكسف شمسنا والقمر

ولم يسقط السقف من فوقنا

يزيل الشبا ويقيم الصغر" (١)

وقد بايع الناس ذا تدرأ

أما طلحة فقد منعه من الماء وحث على قتله ومنع من اخراجه من المدينة ، ومنع الداخلين والخارجين عليه ، بل راح إلى أبعد من ذلك فقد منع أن يدفن إلا في مقابر اليهود وغيرها من الأمور التي تناولتها أيدي الباحثين بالإحصاء (٢) ، بل حتى أن بني أمية كانوا مدركين أن من قتل عثمان هو طلحة والزيير وعائشة فالروايات تشير إلى أن سعيد بن العاص لقي مروان بن الحكم وأصحابه وهم متوجهون مع عائشة إلى البصرة فقال : " فقال أين تذهبون وتتركون ثأركم على أعجاز الإبل وراءكم ؟ يعني عائشة وطلحة والزيير اقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم . فقالوا نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعا" (٣) ، لذا قتل طلحة على يد مروان بعد أن سنحت له الفرصة وكان يقول " لا أدرك بثأري بعد اليوم من طلحة فرماه بسهم فقتله" (٤) ، وقد أخبر مروان بهذا الأمر أكثر من واحد من بني أمية (٥) .

أضف إلى ذلك أن ما جاء على لسان أهل الجمل يثبت تورطهم في قتل عثمان ، إذ حفظ لنا التاريخ أن محمد بن طلحة كان قد صرح بأن من قتل عثمان هم أهل الجمل ، فقد ورد أن غلام من جهينة سئل محمد بن طلحة ، قائلاً له : " حدثني عن قتلة عثمان ، قال : نعم ، دم عثمان على ثلاثة أثلاث ، ثلث على صاحبة الهودج ، وثلث على صاحب الجمل الأحمر ، وثلث على علي بن أبي طالب . فضحك الجهني ، ولحق بعلي بن أبي طالب ، وبلغ طلحة قول ابنه محمد ، وكان محمد من عباد الناس ، فقال له : يا محمد ، أتزعم عنا

١ . الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٠٧ .

٢ . ينظر تفاصيل موقف طلحة من عثمان ودوره في مقتله : الأميني ، الغدير ، ٩ / ٩١ . ١٠١ .

٣ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٤٧٢ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٠٩ .

٤ . الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ٣٧٠ .

٥ . الأميني ، الغدير ، ٩ / ٩٩ .

قولك إني قاتل عثمان ، كذلك تشهد على أبيك ؟ كن كعبد الله بن الزبير ، فوالله ما أنت بخير منه ، ولا أبوك بدون أبيه ، كف عن قولك ، وإلا فارجع فإن نصرتك نصرة رجل واحد ، وفسادك فساد عامة . فقال محمد : ما قلت إلا حقا ، ولن أعود ^(١).

وقد شخص الإمام علي (عليه السلام) دور طلحة في قتل عثمان بقوله : " والله ما استعجل متجردا للطلب بدم عثمان إلا خوفا من أن يطالب بدمه لأنه مظنته ، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه ، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلبس الأمر ويقع الشك ، ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث : لئن كان ابن عفان ظالما - كما كان يزعم - لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه أو ينابذ ناصريه ، ولئن كان مظلوما لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهين عنه والمعذرين فيه ، ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانبا ويدع الناس معه ، فما فعل واحدة من الثلاث ، وجاء بأمر لم يعرف بابه ، ولم تسلم معاذيره ^(٢) ، والحال لا يختلف مع الزبير إلا أنه كان أقلهما تحريضا وهذا ما صرح به ابن أبي الحديد إذ قال : " كان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه ، وكان الزبير دونه في ذلك ، روى أن الزبير كان يقول : أقتلوه فقد بدل دينكم . فقالوا له : إن ابنك يحامي عنه بالباب . فقال : ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ با بني ، إن عثمان لجيفة على الصراط غدا ^(٣) .

وبالتالي تبقى مسألة الطلب بدم عثمان حجة لتبرير ذلك التحرك المشبوه ضد الخلافة ودعوى مبطنة لغايات كانت مقصودة من قبل أهل الجمل وتعمية على كثير من بسطاء المسلمين الذين اخذتهم قداسة غير مبررة لأصحاب الجمل فالتحقوا بهم ظناً منهم بصحتها وبالتالي خلق كل ذلك جبهة معارضة ضد الإمام علي (عليه السلام) .

وقد ارتبط كل هذا الأمر بسياسة الإصلاح المالي والإداري الذي تبناه الإمام علي (عليه السلام) ويكفي في التدليل على ذلك أن الإمام قد تبني سياسة مالية مختلفة تماما عن

١ . ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ / ٦٢ .

٢ . نهج البلاغة ، ٢ / ٨٨ .

٣ . شرح نهج البلاغة ، ٩ / ٣٦ .

تلك التي كانت متبعة في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قائمة على المساواة بين المسلمين بغض النظر عن أي اعتبار آخر كالسابقة في الإسلام والقرب من النبي (صلى الله عليه وآله) ، وجهة هذه السياسة بالدرجة الأولى ضد المنتفعين من سياسة التفضيل ، وكان من بينهم قادة الجمل ، وكذلك الرغبة في الحصول على المناصب ذلك الأمر الذي كان حلما ساور كثير من الناس ممن لهم رغبة في استغلال التغيرات الإدارية التي طرأت في عهد الإمام علي (عليه السلام) ، وكان طلحة والزبير لا يشكان في ولاية الكوفة والبصرة " فلما استبان لهما أن عليا غير موليها شيئا ، أظهرتا الشكاة ... فانتهى قولهما إلى علي فدعا عبد الله بن عباس وكان استوزره ، فقال له : بلغك قول هذين الرجلين ؟ قال : نعم ، بلغني قولهما . قال : فما ترى ؟ قال : أرى أنهما أحبا الولاية . فول البصرة الزبير ، وول طلحة الكوفة ، فإنهما ليسا بأقرب إليك من الوليد وابن عامر من عثمان ، فضحك علي ، ثم قال : ويحك ، إن العراقيين بهما الرجال والأموال ، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ، ويضربا الضعيف بالبلاء ، ويقويا على القوي بالسلطان ، ولو كنت مستعملا أحدا لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ، ولولا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية ، لكان لي فيهما رأي" (١) .

كان رفض الإمام (عليه السلام) لذلك رغبة منه لكسر النظام الذي سار عليه من كان قبله والقائم على اختيار الولاة لأجل مراكز عشائريهم أو صحبتهم للرسول أو لقربتهم من الخليفة أو لكونهم من المؤيدين له ، بل جعل التقوى والكفاءة هي المعيار الأبرز الذي يجب ان يمتلكهما الوالي ، لذا نجد وجوه جديدة قد برزت كحكام للولايات في عهد الإمام علي (عليه السلام) أبعدهم معايير الاختيار السقيمة عن تولي الأعمال الإدارية فيما مضى إلا أنهم أصبحوا في حكومة الإصلاح ركيزة أساسية تحاول الخلافة الإستناد إليهم لما عرف عنهم من الكفاءة والحنكة في معالجة الأمور ،ومن بعد عن حب الطمع والسلطة ، هذا الإجراء المتوافق مع طبيعة النظام الجديد وروح الإدارة الناجحة جعل كثير من الطامحين ينظرون إليه على أنه تهميش و تقليص لطموحات كانوا يحاولون الحصول عليها في ظل حكومة الإمام علي (عليه السلام) مما سبب في خروجهم عليه ، وبالتالي لم يكونوا ليجهروا بهذه الأسباب فغلفوها بدم

١ . ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ / ٧١ .

عثمان لمقبوليتهما عند البسطاء ، وبهذا تكون دعوى الطلب بدم عثمان التي جعلت سببا لخروجهم على الإمام ساقطة من حيز الاعتبار .

لقد جردت سلطة الخلافة عن البصرة واصبح حكمها بيد اهل الجمل والتحق الوالي المعزول بموكب الخليفة بعد أن استعرض له الحركة العدوانية التي قام بها هؤلاء فما كان منه إلا أن ييمم وجهه نحو البصرة لتكون أولى محطاته الجهادية بعد توليه الخلافة .

٢. الظروف المستجدة وأثرها في نشوب القتال

راح ابن تيمية يلقي لائحة وقوع الحرب على الظروف التي سحبت كلا الطرفين إليها دون أن يكونوا مختارين لها ، ليختار من التراث الإسلامي ما يتلائم مع اتجاهاته ورؤيته لهذه الحرب ، فهو قد جعل رواية سيف بن عمر- الذي يقول بأن السبئية هم من أدى إلى قيام الحرب . هي المسيطر على رؤيته في معالجة لسبب الحرب ، فكلا المعسكرين لم يكونا هما السبب في الحرب بل كانا قد اتفقا على الصلح غير أن إدراك هؤلاء خطورة ذلك الإتفاق عليهم أدى بهم للإغارة على معسكر أهل الجمل فظنوا أن عليا قد خرق الإتفاق فأغاروا عليه فظن أنهم قد خرقوا الإتفاق ، وما بين الظنين نجح (السبئية)^(١) (قتلة عثمان) في إيقاع الحرب بين الصحابة^(٢).

إن هذا العرض يستدعي القول بأن أهل الجمل قد قدموا البصرة بمباركة من الخليفة وحكموها برضاه، وأن الوثام قد حل بسيطرتهم عليها في تغاض واضح عن نتائج تلك السيطرة التي أحدثت ردة فعل من قبل الخلافة ، كما يستدعي القول أن السبئية وقتلة عثمان هم المسيطرون على إثارة أو تحريك النزاع ، وبالتالي شكل قتلة عثمان حسب ما عرضه ابن تيمية نقطة الارتكاز المسيطرة في جيش الخليفة فهم الذين سيروا الأمور حسب ما يريدون فاستغفلوا كلا المعسكرين المسلمين المتوائمين المصطلحين المتسالمين المتفقين على ضرورة

١ - ارتبط ظهور عبدالله بن سبأ في التراث الإسلامي إرتباطا وثيقا بمختلفات سيف بن عمر الضبي والتي نقلها الطبري ، وقد استفاد العلامة العسكري في البحث عن حقيقة ابن سبأ في كتابه : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٧١٩

تجنيب الأمة القتال ، في تغيب تام للمعطيات التاريخية التي وصفت الأمور القائمة في تلك اللحظات من تاريخ الإسلام و التي أكدت وبشكل لا يقبل النقاش أن الطبيعة العدوانية والتهيو للحرب واستخدام القوة كان هو السمة الأبرز في تحرك أهل الجمل من بدايته وحتى نهاية المعركة ، ولعلنا نستعرض ما يمكن أن يدل على عكس ما ذهب إليه ابن تيمية وغيره بأن القنلة هم من حرك الحرب وأنشبهها وأنهم قد أصروا على رفض المساعي السلمية التي تنبأها الإمام علي (عليه السلام)، وذلك من خلال نماذج محددة ترصد تحرك أهل الجمل من بدايته وحتى نشوب المعركة :

١. بعد ان وصل أهل الجمل للبصرة لم يكن لهم من هم إلا أن يسيطروا على إدارتها وبيت مالها ويستغفلوا ساكنيها بأنهم قد طلبوا بدم عثمان المظلوم ، غير أن الوالي رفض دخولهم إليها أو تسليم مؤسسات الحكومة ، " فخرج إليهم عثمان بن حنيف فتوابعوا حتى زالت الشمس ، ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم كتابا أن يكفوا عن القتال ، ولعثمان دار الإمارة والمسجد وبيت المال والكلاء ، وأن ينزل طلحة والزبير من البصرة حيث شاء ، ولا يعرض بعضهم لبعض حتى يقدم علي" (١) إلا أنهم خرخوا الإتفاق وأغاروا على بيت المال وقتلوا حراسه وانتهبوه ، واهانوا ممثل الخليفة الشرعي وكادوا أن يقتلوه مع العلم أنه من كبار الصحابة.

٢. مهد هذا الإعتداء على هيئة الدولة وقتل جنود الخلافة قيام أنصار الإمام علي (عليه السلام) بالزحف ومواجهة أهل الجمل لتبرز إلى المعطى التاريخي معركة الجمل الأصغر التي صفي فيها ماكان موجودا من مقاومة لأنصار الإمام وأحرقت الدور وسيطر أهل الجمل على إدارة البصرة بشكل تام ، وهذا يخالف رؤية ابن تيمية القاضية بسلمية تواجد أهل الجمل في البصرة قبل مجيء الإمام و يدل على وجود جذر لما جرى من إقتتال في معركة الجمل لا أن يكون ذلك الإقتتال ناتج عن حركة تلاعب بكلا المعسكرين .

٣. وصل الإمام (عليه السلام) إلى البصرة وراح يرسل الرسل إلى أهل الجمل ليستعلم عن سبب قدومهم وما أحدثوه ، في مسعى سلمي طالما عهد من الإمام علي (عليه

١ . خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة ، ١٣٧ .

السلام) ، فقد أرسل ابن عباس إلى الزبير قائلا له : "لا تلقين طلحة فإنك إن تلقه تجده كالثور عاقصا أنفه يركب الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فإنه ألين عريكة منه وقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا"^(١) وكان في ذلك كله يحاول أن ينتفع من مواطن اللين فيهم عن طريق إثارة صلة الرحم التي بينه وبين الزبير ، وبعدها أرسل عمار بن ياسر إليه ولما أخبر بقدم عمار ، رفع الزبير صوته بالقول : "وا انقطاع ظهره ! وا جدع أنفاه ! وا سواد وجهه ! ويكرر ذلك مرارا ، ثم أخذته رعدة شديدة"^(٢) .

ولعل موقفه هذا ناتج من إدراكه للدلالة الشرعية التي يحملها إرسال عمار بن ياسر كون النصوص الدينية التي صدرت بحق عمار من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله) هي نصوص قد وعها الزبير وغيره وهذا الإرسال يعني تمام الحجة وتذكيرا له بموقفه المائل عن الحق ، ثم عمد حين لم يصل إلى نتيجة وبعد أن اصطف العسكران أن يطلب من الزبير أن يخرج له ليذكره بأحاديث قالها الرسول (صلى الله عليه وآله) للزبير نبهه فيها بأنه سيقا تل الإمام وهو ظالم له، مما أسفر ذلك عن تنحي الزبير عن القتال ولكن الباقي أصروا على القتال^(٣) ، وبالتالي فإن المعركة لم تكن بغتة كما صور ابن تيمية أو وقعت ليلا بل الروايات تشير إلى أن المعسكرين قد اصطفوا للقتال وجرت عدة محاولات كان الهدف منها درء القتال ، لكن الإمام (عليه السلام) لم يفلح إلا في رد الزبير عن القتال .

٤ . إن الحرب قد وقعت بعد أن استقرغ الإمام (عليه السلام) الطرق السلمية مع أهل الجمل ، فحين صف الإمام أصحابه للقتال أخذ يوصيهم بأن " لا يرمين رجل منكم بسهم ، ولا يطعن أحدكم فيهم برمح ، حتى أحدث إليكم ، وحتى يبدؤكم بالقتال وبالقتل ، فرمى أصحاب الجمل عسكر علي عليه السلام بالنبل رميا شديدا متتابعا ،

١ . نهج البلاغة ، ١ / ٧٦ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ١٦٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٥ / ٨ .

٢ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ١٦٨ ، وينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٢١ .

٣ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥١٤ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ١٦٧ .

فضج إليه أصحابه ، وقالوا : عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين . وجئ برجل إليه ، وإنه لفي فسطاط له صغير ، فقيل له : هذا فلان قد قتل . فقال : اللهم اشهد ، ثم قال : أعذروا إلى القوم ، فأتى برجل آخر فقيل : وهذا قد قتل ، فقال : اللهم اشهد ، أعذروا إلى القوم ، ثم أقبل عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، يحمل أخاه عبد الرحمن بن بديل ، قد أصابه سهم فقتله ، فوضعه بين يدي علي عليه السلام ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا أخي قد قتل^(١) ، ثم قال لأصحابه "أيكم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه فان قطعت يده أخذه بيده الأخرى وإن قطعت أخذه بأسنانه قال فتى شاب أنا فطاف علي أصحابه يعرض ذلك عليهم فلم يقبله إلا ذلك الفتى فقال له علي اعرض عليهم هذا وقل هو بيننا وبينكم من أوله إلى آخره والله في دماننا ودمائكم فحمل علي الفتى وفي يده المصحف فقطعت يده فأخذه بأسنانه حتى قتل"^(٢) ، وبالتالي فالهجوم قد بدأ من معسكر أهل الجمل لا من معسكر الإمام وتحديدًا لم يكن من قتلة عثمان حتى مع افتراض وجودهم في عسكر الإمام ، كما إن هذا يدل على اصرار أهل الجمل على القتال والتحريض عليه ، مما يعني أن الحرب لم تكن مجهولة البداية أو مضطربة الأحداث وبالتالي فهي ليست كما يدعى ابن تيمية من أن السبئية أو قتلة عثمان هم من أشعلها .

ثم أن ابن تيمية يلقي باللائمة على القتلة الذين باغتوا العسكرين وجذبوهم إلى ما

لا يريدون ، ولكن نتسائل

١- هل إن القتلة هم أيضا من أخرج أهل الجمل واجتذبهم إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان أم أن هذا المسير كان أمر مخطط له من قبل طلحة والزبير وعائشة ، فإن قيل إن القتلة هم من دفع أهل الجمل إلى ذلك فإن هذا يستلزم وجود القتلة معهم وهذا ما لا يرتضيه ابن تيمية كونه يؤكد على خلو معسكر أهل الجمل من قتلة عثمان وسيطرتهم على معسكر الخليفة ، وإن قيل إنهم خرجوا بملئ ارادتهم فهنا نتسائل لماذا خرجوا إلى البصرة ولم يبقوا في المدينة ويقرب

١ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩ / ١١١ .

٢ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٢٠ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩ / ١١٢ .

الخليفة ويختلوا به ويعرضوا وجهة نظرهم له ، ويجعلوا المدينة قاعدة لتلك المطالبة إذا كان هذا هدفهم من الخروج وبالتالي يبعدوا القتلة عن السيطرة على الخليفة وعن زمام المبادرة في خرق الوثام والصلح الذي كان يسود بين المعسكرين ، لا أن يهربوا من المدينة بحجة العمرة ويلتقوا بعائشة في مكة ومنها يبدأوا بتأليب الناس ضد الخلافة !!؟ .

٢- هل اعوزت الصحابة في كلا المعسكرين الحكمة والتأني والتريث والتثبت والتعرف على سبب الهجوم المباغت ، إذا كانوا قد اصطلحوا على الأمور ووضعوا الحرب أوزارها ، ولماذا لم يتبادلوا الرسل لمعرفة ما طرأ من تغير في المعطيات التي تسببت بذلك الخرق ، وهل هذا الإندفاع وراء حركة ارتجالية قام بها مجموعة من الأشخاص متناسب مع تصرف صحابة كبار قد حنكتهم الحروب والتجارب ، كل هذه الأمور تدعونا إلى رفض ذلك المنطق الذي يحاول أن يبعد مسؤولية الحرب عن شخص الصحابة ويلقي بها على أطراف مجهولة ليس لها وجود في الواقع ، هذه الأمور تجعلنا لا نؤيد تلك المستجدات التي اعتذر بها ابن تيمية لأهل الجمل كونها لا تمتلك أدنى مقومات الصحة ، وإن طرحها لا يعبر إلا عن تشويه لحقيقة ما جرى من أحداث كان معسكر أهل الجمل هم المؤاخذون فيها ، فهم الذين دفعوا الشرعية المتمثلة بالخليفة أن تعالج تمردهم بهذه الطريقة حتى لا يستفحل خطرهم ويهدد كيان دولة الإسلام .

بعد ذلك تحول ابن تيمية إلى نتيجة المعركة وعرضها عرضاً مشوهاً لا يمثل إلا إملاءات وخواطر صاغها من خياله الفكري لتلائم مع رؤيته السلبية لثراث الإمام علي (عليه السلام) ، خصوصاً في ما يتعلق بتعامله مع السيدة عائشة ، فهو يصرح بأن علياً قد سلط اتباعه عليها فعمروا جملها وطافوا بها كالمسبية وهم يقصدون سبابها ، وامتدت لها الأيدي ولولا وجود أخيها محمد لهتك سترها حتى أنها ظنت ان من مد يده إليها رجل غريب لذا قالت : "يد من هذه أحرقتها الله بالنار فقال أي أخيه في الدنيا قبل الآخرة فقالت في الدنيا قبل الآخرة فأحرق بالنار بمصر"^(١) في استجابة واضحة لدعاءها . حسب ما يدعي ابن تيمية . .

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٥٤ .

ولم يكتف بهذا ، بل عرّج بالمقارنة بين سبي آل الرسول وعائشة ، فهو يرى "إنه قد فعل بهم من جنس ما فعل بعائشة ، فقد اعطوا النفقة وردوا الى اهلهم"^(١) ، ليخوض بعدها في تفاصيل مفردة من المفردات التي تعرض لها السبي الحسيني ، ألا وهي محاولة استرقاق فاطمة بنت الحسين (عليهما السلام) إذ يرى أن من طلب استرقاقها شخص واحد مجهول لا شوكة له ولا حجة وحين منعه سلطانه امتنع أما الذين طلبوا غنائم أهل الجمل وصفين وسببهم فهم " كانوا متدينين به مصرين عليه إلى أن خرجوا على علي وقاتلهم على ذلك"^(٢).

إن إلقاء نظرة إجمالية على تعامل الإمام علي مع السيدة عائشة في نهاية المعركة وما بعدها يعطينا تصور واضح على كيفية التعامل الذي حضيت به تلك المرأة من قبل الإمام علي (عليه السلام) حفظا لما تمثله من رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

لقد كانت السيدة عائشة طرفا أساسا من أطراف الصراع الدائر في البصرة وما أن أعلنت ساعة الحرب حتى هُيئ لها الجمل وادخلت المعركة ليكون وجودها دافعا وحافزا للمقاتلين في القتال لما تمثله من صلة بالرسول ، أو ليحدث وجودها انشقاق في معسكر الإمام كون الكثير سيطرح التسائل عن شرعية قتال زوج الرسول ، وقد نجح أهل الجمل في الأمر الأول فقد اندفع الناس لحماية الجمل حتى أصبح من أهم بؤر ومراكز القتال^(٣) ، وحتى بعد انجلاء الموقف لصالح الإمام لم يتوانى المدافعون عن الجمل في الإستماتة عنه حتى تواردت الروايات بمقتل ٧٠ شخصا "كلهم يأخذ بخطام الجمل"^(٤) لذا أمر الإمام بجعل الجمل هدفا لمقاتليه إدراكا منه للقيمة المعنوية لوجود عائشة فيه ومدى الضرر الذي سيلحقه بكلا المعسكرين وأن المعركة لا يتوقف نزيها إلا بإبعاد صاحبة ذلك الجمل عن المعركة خصوصا وأن عائشة أصبحت هي قائد أهل الجمل بعد تنحي الزبير وإصابة طلحة وتركه المعركة وهي التي تحفز الناس على مواصلة القتال^(٥) ، وفعلا إستطاع مقاتلوه أن ينجزوا ذلك

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٥٤ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٥٤ .

٣ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٢٠ ، ٣ / ٥٢٢ ، ٣ / ٥٢٦ .

٤ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٢٠ .

٥ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٢٣ . ٥٢٨ .

، وما إن تم حتى وكل أمرها لعمار ولمحمد بن ابي بكر فأنزلها وامر بإسكانها في بيت من بيوت أهل البصرة^(١) ، ثم وكل بها أخاها وأربعين امرأة لإرجاعها إلى المدينة^(٢) إمتثالاً لأمر الرسول الذي قاله له، إذ ورد أن الرسول قال للإمام " سيكون بينك وبين عائشة أمر قال أنا يا رسول الله قال نعم قال أنا قال نعم قال فانا أشقاهم يا رسول الله قال لا ولكن إذا كان ذلك فاردها إلى مأمنها"^(٣) ، وكانت النسوة مشتلمات بزري الرجال "عليهن العمائم ، فجعلت عائشة تقول في طريقها : فعل بي علي وفعل ، ثم وجه معي رجالا يردوني إلى المدينة ! قال : فسمعتها امرأة منهن فحركت بغيرها حتى دنت منها ثم قالت : ويحك يا عائشة ! أما كفاك ما فعلت حتى أنك الآن تقولين في أبي الحسن ما تقولين ! ثم تقدمت النسوة وسفرن عن وجوههن ، فاسترجعت عائشة واستغفرت وقالت : هذا ما لقيت من ابن أبي طالب"^(٤) فكان حقا عليها أن تدرك مدى الاحترام الذي بذله لها الإمام علي (عليه السلام).

ولم يكن من عسكر الإمام من طلب بسبي عائشة أو طلب استرقاقها ، بل إن لفظه سبي عائشة ليست لها أي ذكر في مصادر المسلمين الذين تعرضوا لتلك الحادثة كونهم إطلعوا على حقيقة الإجراء العلوي بحقها وأنه لم يكن فيه إلا زيادة في التوقير لمكانتها من الرسول ، وبالتالي جاء ابن تيمية وأدخل لفظه سبي عائشة ليصور للمتقني مدى الإهانة والتكيل الذي عرضت له زوج النبي لغرض تشويه أخلاقية من أخلاقيات الإمام علي (عليه السلام) طالما لم تمنعه الظروف الطارئة من الالتزام بها .

كما أنه لم يجراً أحد من معسكر الإمام على طلب استرقاق عائشة ، وكل الذي حدث أن الإمام علي قد أرسل ابن عباس إلى الخوارج قبل أن يقاتلهم لينظرهم ، فاعترضوا عليه بعد اعتراضات منها أنه قد قتل أهل الجمل ولم يسبهم ، فكان أن استدل عليهم ابن عباس بقوله : " أما قولكم كيف قتل ولم يسب فأيكم لو كان معه فوقع في سهمه عائشة زوج النبي

١ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٢٠ ، ٣ / ٥٢٨ ، ٣ / ٥٣٨ .

٢ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٤٧ .

٣ . احمد بن حنبل ، المسند ، ٦ / ٣٩٣ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ١ / ٣٣٢ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٧ / ٢٣٤ .

٤ . ابن اعثم الكوفي ، الفتوح ، ٢ / ٤٨٧ ، ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ١ / ٦٤ .

صلى الله عليه وآله كيف يصنع؟ وقد قال الله عز وجل: ((ولا تتكحوا أزواجه من بعده أبدا ((قالوا رجعنا عند هذا" (١) ، ومن ثم فإن مثل هكذا أمر لم ينطلق من معسكر الإمام في معركة الجمل حتى يعمد ابن تيمية من خلاله إلى الترويج لسبي عائشة ومقارنته بسبي أهل البيت (عليهم السلام) ، غير أن ابن تيمية ومع شديد الأسف عرض ذلك الأمر عرضاً أخرجه من المسار الحقيقي الذي أتى به لا لشيء إلا ليشنع على الإمام علي (عليه السلام) مستعينا بطرح ذلك على آراء وأفكار الخوارج مما يشير إلى حقيقة أن ابن تيمية في كثير من طروحاته تجاه الإمام علي (عليه السلام) يعمد إلى الإستعانة بآراء منحرفة شهد الرسول (صلى الله عليه وآله) بانحرافها ، غير أن ابن تيمية توسل بها لا لشيء إنما ليروي نفسه المتحاملة والتي لا تتنفس إلا الحقد على أمير المؤمنين .

وحقيقة فإن ابن تيمية يتعامل مع الحدث الواحد تعامل النقيض ، فهو عندما يريد أن يطعن بسيرة الإمام علي مع أهل الجمل ويستدل على مخالفتها سيرة الرسول يقول بعدم سبي الإمام لهم ولكن عندما يريد أن يدلل على فضاة فعل الإمام مع عائشة يقول بأنه قد سبها ، وهذا من المفارقات (٢).

لقد وضع ابن تيمية نفسه في زاوية الخرق للمألوف حين صرح أن سبب خروج الخوارج كان نتيجة عدم اطاعتهم في مسألة السبي حتى قاتلهم على ذلك ، ولا يشك أحد أن هذا القول ليس له أي سند علمي فالخوارج كانوا قد خرجوا بعد صفين بعد أن أدركوا خطأهم في قبول التحكيم لا لإجل سبي وغنائم أهل الجمل (٣) .

بقي أن نشير إلى أن ابن تيمية قد عمد في النص المتقدم إلى مقارنة مهمة كان الغرض منها استغلال ما يمكن استغلاله للاعتذار عن مساوئ بني أمية وفضائحهم التي ارتكبوها في الأمة ، فهو يصور للمتلقي أن ما حدث من قتل محمد بن أبي بكر وإحراق جسده بالنار من قبل بني أمية ما هو إلا استجابة لدعاء عائشة الذي دعت به على من

١ - الطوسي ، المبسوط ، ٧ / ٢٦٥ ، النووي ، المجموع ، ١٩ / ١٩٩ ، الحلي ، تذكرة الفقهاء ، ٩ / ٢١٢ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٤٩٥ .

٣ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤ / ٥٢ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٣٤ .

مد يده إليه حين سقط الجمل وبالتالي فإن بني أمية هم اليد الإلهية التي حقق بها ذلك الدعاء ، وهذا ما لا يقوله أحد خصوصا وإن محمد بن أبي بكر لم يكن قد ارتكب معصية كي يستجيب الله دعاء عائشة فيه هذا أولا .

وثانيا قد عمد في النص المتقدم إلى المقارنة بين السبي الحسيني وإرجاع عائشة ، في عرض هدفه تخفيف حدة الشناعة التي ارتكبتها الأمويون مع الحسين وآل الحسين (عليهم السلام) ، في حين أن بشاعة الجرم الذي ارتكب مع أهل البيت في واقعة كربلاء وما بعدها ليس له أدنا مقارنة مع ما اتخذته الإمام علي (عليه السلام) مع السيدة عائشة ومعسكر أهل الجمل ، فهو ما أن بانته هزيمة أهل الجمل حتى أمر مناديه بأن لا يذفف على جريح ولا يتبع مول ومن ألقى سلاحه فهو آمن ومن أغلق داره فهو آمن^(١) في إجراء يتماثل مع إجراء الرسول حين فتح مكة المكرمة ، أما الأمويون فإنهم قتلوا الرجال والأطفال وحرقوا الخيام وروعوا النساء وسلبوهن ، ثم عمدوا إلى الطواف في البلدان والاستعراض بهم في منظر فيه من الإهانة والازدراء الشيء الكثير ، دون أن يحفظوا قرابتهم من الرسول أو أن يتعاملوا معهم بحلم وإنسانية ، ولكن صدق الشاعر الحيفي بيبص إذ قال :

ملكنا فكان العفو منا سجية	فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتمو قتل الأسارى وطالما	عدونا على الأسرى فنعمو ونصفح
وحسبكمو هذا التفاوت بيننا	وكل إناء بالذي فيه ينضح ^(٢)

١ . الشافعي ، كتاب الأم ، ٤ / ٢٢٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٤٥ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٢٥٧ ، ابن قدامة ، الشرح الكبير ، ١٠ / ٥٩ ، المغني ، ١٠ / ٦٣ .
٢ . التستري ، قاموس الرجال ، ١٢ / ١٠١ .

الفصل الرابع

استحضار البعد الشرعي في خلافة الثلاثة وفلسفة التجريد

يشكل الترويج لصحة خلافة الخلفاء الثلاث مبتنى أساس في منظومة ابن تيمية الفكرية ، وقد أثار ما أحتج به العلامة ابن المطهر من أحقية الإمام علي (عليه السلام) في الخلافة حفيظته لذا سارع إلى التعرض لخلافته وشخصيته (سلام الله عليه) وإسقاطها من حيز الترجيح و المقبولية وذلك بعدة آليات :

أولاً . آلية استلاب النص و إزاحة الدلالة

تعتمد نظرية مدرسة الصحابة في الحكم وانعقاد البيعة على عدة ابعاد منها وجود النص والبيعة و الإجماع اضافة إلى الغلبة والقهر^(١) ، ومن هنا فابن تيمية يحاول أن يغلب تلك الأبعاد على خلافة الثلاثة ليشرعنها ويجرد خلافة الإمام علي (عليه السلام) منها ، وهو أمر طاع على مجمل نظرتهم لخلافتهم ، فهو يمدد نظرتهم إلى جذور النظرية السياسية الإسلامية في مجال الحكم وتطبيقاتها، التي كانت قيادة الرسول (صلى الله عليه وآله) لدولة المدينة و حاكميته عليها هي اللبنة الأساس في هذا المجال ، فلم يستطع أحد أن يختلف على القيادة الدينية و السياسية للرسول (صلى الله عليه وآله) أو ينازعه عليها ، غير أن النزاع والاختلاف قد وقع بعده مباشرة ، حين احدثت صيغة جديدة جرى بموجبها اختيار حاكم للدولة الإسلامية بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، هذه الصيغة أصبحت محل شد وجذب واختلاف حتى قيل في ذلك " ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان "^(٢).

والتكيز على النص الشرعي جاء من كونه يعطي دلالة مهمة لتصحيح الخلافة ، فإذا كانت انطلاقة من جهة التشريع (الله سبحانه وتعالى والرسول) فإنه يأخذ مجالاً مهماً في شرعية الخلافة ومن هنا فابن تيمية يجذر لشرعية حالة الحكم الذي حدث بعد الرسول(صلى

١ . الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ٦ . ٧ . ابو يعلى الفراء ، الأحكام السلطانية ، ٢٣ ، ابن قدامة ، المغني ، ١٠ / ٥٣ ، الشرح الكبير ، ١٠ ، ٥٣ .
٢ . الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٢ / ٢٣ .

الله عليه وآله) لتكون متكأ و مرتكزا يعتمده في ضرب خلافة الإمام علي (عليه السلام) وذلك من خلال عملية استلاب واستباحة للنص وإعطائه تفسير مغاير للنصوص والأحداث يزيح من خلاله دلالتها و يحل محلها دلالة مغايرة .

ومن ابرز مظاهر هذه المغايرة هو تعرضه لرزية يوم الخميس المعروفة وجرها نحو خانة الدلائل على وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) لأبي بكر بالخلافة وإعدام دلالتها المتعلقة بشخص الإمام علي (عليه السلام) ، إذ لخص ابن تيمية رزية يوم الخميس بقوله : "وإما قصة الكتاب الذي كان رسول الله يريد أن يكتبه فقد جاء مبين كما في الصحيحين عن عائشة قالت : قال رسول الله في مرضه ادعي لي اباك وأخاك حتى اكتب كتابا فإني أخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى و يأبى الله و المؤمنين إلا أبا بكر"^(١).

وفي موقف آخر يقول " وفي الصحيح أنه قال لعائشة في مرضه : (ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه الناس من بعدي ثم قال يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)^(٢) فلما كان يوم الخميس همّ أن يكتب كتابا فقال عمر ماله أهجر؟! فشك عمر هل هذا القول من هجر الحمي أو هو مما يقول على عادته فخاف عمر أن يكون من هجر الحمي فكان هذا مما خفي على عمر كما خفي عليه موت النبي صلى الله عليه وسلم بل أنكره ، ثم قال بعضهم هاتوا كتابا وقال بعضهم لا تأتوا بكتاب فرأى النبي صلى الله عليه وسلم أن الكتاب في هذا الوقت لم يبق فيه فائدة لأنهم يشكون هل أملاه مع تغييره بالمرض أم مع سلامته من ذلك فلا يرفع النزاع فتركه ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت إذ لو كان كذلك لما ترك صلى الله عليه وسلم ما أمره الله به لكن ذلك مما رآه مصلحة لدفع النزاع في خلافة أبي بكر ورأى أن الخلاف لا بد

١ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٣٢ .

٢ - الحديث في صحيح البخاري ، ٧ / ٨ ، ٨ / ١٢٦ : مروى عن يحيى بن يحيى عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد بن أبي بكر قال : قالت عائشة : " وا رأساه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وادعو لك فقالت عائشة واتكلياها والله اني لأظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظلمت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل انا وا رأساه لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون "

أن يقع وقد سأل ربه لأتمه ثلاثاً فأعطاه اثنتين ومنعه واحدة سألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطاه إياها وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطاه إياها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعه إياها وهذا ثبت في الصحيح ... وقال ابن عباس الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه و سلم وبين أن يكتب الكتاب فإنها رزية أي مصيبة في حق الذين شكوا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وطعنوا فيها، وابن عباس قال ذلك لما ظهر أهل الأهواء من الخوارج والروافض..... ثم إن النبي صلى الله عليه و سلم ترك كتابة الكتاب باختياره فلم يكن في ذلك نزاع ولو استمر على إرادة الكتاب ما قدر أحد أن يمنعه ومثل هذا النزاع قد كان يقع في صحته ما هو أعظم منه ولهذا قال ابن عباس إن الرزية كل الرزية ما حال بين النبي صلى الله عليه و سلم وبين الكتاب فإن ذلك رزية في حق من شك في خلافة الصديق وقدح فيها إذ لو كان الكتاب الذي هم به أمضاه لكانت شبهة هذا المرتاب تزول بذلك ويقول خلافته ثبتت بالنص الصريح الجلي فلما لم يوجد هذا كان رزية في حقه من غير تفريط من الله ورسوله بل قد بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم البلاغ المبين وبين الأدلة الكثيرة الدالة على أن الصديق أحق بالخلافة من غيره وأنه المقدم وليست هذه رزية في حق أهل التقوى الذين يهتدون بالقرآن وإنما كانت رزية في حق من في قلبه مرض ... ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس من علماء السنة والشيعة^(١).

ثم يكمل فيقول : " وقول ابن عباس إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه و سلم وبين أن يكتب الكتاب يقتضي أن هذا الحائل كان رزية وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق أو اشتبه عليه الأمر فإنه لو كان هناك كتاب لزال هذا الشك فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه والله الحمد"^(٢) .

بعد هذا العرض يمكن أن نبين عدة أمور:

١ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٣٣ .
٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٣٣ .

١. إن حديث ادعوا لي أباك و أخاك قد ولج إلى التراث الإسلامي عن طريق سلسلة ابتدأت بالسيدة عائشة ، ولو نظرنا إلى موضوعه فإنه قد أتى في بيان تحشيد الأدلة على خلافة أبيها وهو شهادة منها لم تردف بشهادة آخرين ، إذ انحصر نقل هذا الحديث بها ولم يرد أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد تكلم به أمام أصحابه أو نقله منهم أحد مما يشير إلى إشكالية واضحة خصوصا وأن الفقه في مدرسة الخلفاء لا تقبل شهادة الابن لأبيه^(١) ، هذا فيما يخص السيدة عائشة ، ولكن الناقل الثاني لهذا الحديث هو عروة ابن الزبير ، وهو شخص يشكل مصدرا قلقا في نقل أحاديث السيدة عائشة ، فعروة من ابرز الذين انغمسوا في روايات المكذوبات والشواذ عن السيدة عائشة مستغلا قرابته منها ودخوله وخروجه عليها ولعل من أبرز تلك المروييات الشاذة التي رواها عنها والتي تدلل على حجم الطعن على الإمام ما نسب للنبي علي لسانها : "إن هذين يموتان علي غير ملتي أو : ديني"^(٢) يقصد الإمام علي (عليه السلام) والعباس بن عبد المطلب.

ومما رواه عن السيدة عائشة أيضا قولها " كنت عند النبي إذ أقبل العباس وعلي فقال : يا عايشة إن شرك إن تنظري إلى رجلين من أهل النار ، فانظري إلى هذين قد طلعا ، فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب"^(٣) ، يضاف إلى ذلك اتساقه والتصاقه بالأمويين ، وشهرته في اختلاق الأحاديث لهم وشدة ازدرائه للإمام علي (عليه السلام) إذ عد من المنحرفين عن الإمام علي (عليه السلام)^(٤) ، وهذا الأمر يجعلنا في حذر من قبول مثل هكذا حديث خصوصا وأنه قد تفرد به دون غيره .

كما أن الناقل الآخر لهذا الحديث ليس بأحسن حالا من عروة ، فالزهري ذا علاقة وطيدة مع الأمويين وهو أحد أعضاء اللجنة التي شكلها بني أمية في خلق مناقب وأحاديث

١- مالك بن أنس ، المدونة الكبرى ، ١٥٥ / ٥ ، الشافعي ، الأم ، ٣١٥ / ٥ ، الترمذي ، الجامع الصحيح ، ٣ / ٣٧٤ ، القيرواني ، رسالة ابن أبي زيد ، ٦٠٩ .

٢ . ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٤ / ٦٤ .

٣ . ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٤ / ٦٤ .

٤ . ابن ابي الحديد ، شرح النهج ، ٤ / ٦٤ .

للخلفاء قبالة مناقب الإمام علي (عليه السلام) ، إضافة إلى كونه شخص مثلون غير متزن كثيرا ما تبدل ولأته لمجرد هوى نفسه^(١) .

ولم يكونا بعيدين عن المساهمة و الترويج لما سنة الأمويون من النيل والتعرض للإمام علي (عليه السلام) في سياسة السب^(٢) ، إذا كانا يجتمعان على سبه والتعرض له في المسجد مما أثار الإمام السجاد (عليه السلام) " فجاء ووقف عليهما فقال : أما أنت يا عروة ، فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي علي أبيك ، وأما أنت يا زهري ، فلو كنت بمكة لأرينك كير أبيك "^(٣) .

زيادة على عدم ثقة العلماء بهما ، فقد روى عبد الرزاق عن معمر قال : " كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي ، فسألته عنهما يوما ، فقال : ما تصنع بهما وبحديثهما ، الله أعلم بهما "^(٤) ، هذا من جهة سند الحديث .

٢ . و لو بحثنا عن موضوع الحديث لوجدنا أن الضرورة كانت تحتم على أبي بكر وهو في السقيفة أن يورده كي يكون دلالة على شرعية خلافته فهو يخص عملية الاستخلاف غير أن هذا الأمر لم يحدث ولم يكن له أدنى وجود بل لم يكن متصورا في مخيلته كونه لم يسمع هكذا حديث ، ولم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد أرسل إليه أو عناه بكتابه ، إذ لو كان قد سمعه وتجاهله فإنه قد تخلى عن نص شرعي هو في أمس الحاجة إليه ، وقد خلت الصحاح من احتجاجه به أو روايته عنه .

وما دام هذا لم يحدث فإن لنا أن نتساءل عن العهد والتاريخ الذي ولد فيه هذا الحديث فأحجام أبي بكر عن إيراده أو الاستقواء به ينبأ أن هذا الحديث لم يكن قد ولد بعد وإنما يدل على أنه قد ولد لا في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا في خلافة أبي

١ . النصر الله ، هياة كتابة التاريخ ، ٩٦ .

٢ . الجابري ، الدعاية الأموية المضادة ، ٨٠ .

٣ . الثقفي ، الغارات ، ٢ / ٣٩٥ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ١٠٢ .

٤ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٤ / ٦٤ .

بكر وإنما ولد بعد هذا التاريخ والعهد الأموي هو الرحم الأنسب لولادة مثل هكذا مولود ومن ثم نسبته إلى السيدة عائشة كي يأخذ أكبر مساحة من المقبولية .

والعجيب أن الرواية تجعل إرسال الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى أبي بكر وابنه عبد الرحمن أشبه بما يكون إرسالاً أو دعوة سرية يرغب الرسول (صلى الله عليه وآله) من خلالها بعدم إطلاع الأمة عليه ، وهذا الأمر فيه من الاعتراضات أهمها أن السرية في مثل هكذا أمر لا تنفع ولا تنتج الهدف المطلوب من الكتاب ، وكان على الرسول (صلى الله عليه وآله) إذا ما أراد أن ينصب أبا بكر خليفة أن يجهر لا أن يكتفي بالسيدة عائشة و عبد الرحمن فالشك سيتسلل إلى الأمة في مثل هكذا أمر ، والدليل أن عمر وفي محضر الرسول لم يطق أن يسمح للرسول (صلى الله عليه وآله) بكتابة كتاب فيه تولية أبي بكر- حسب ما يقول ابن تيمية . ، فهل سيوافق الناس على كتاب يكتب بطريقة سرية؟! .

٣. وهناك شيء مهم وهو إذا كان أبو بكر قد كتب له الكتاب بنص من الرسول (صلى الله عليه وآله) فلماذا يذهب إلى السقيفة ، هل لتحصيل المشروعية فالمشروعية حاصلة من خلال النص المزعوم أم لاستغلال فرصة كونه لا دليل على خلافته؟! .

٤. لقد أشار ابن تيمية إلى أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد أرسل إلى أبي بكر ليكتب الكتاب قبل رزية يوم الخميس ثم أنه في يوم الخميس أراد أن يوثقها ، غير أننا نتساءل مالذي منع الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يكتب الكتاب حينما أرسل إلى أبو بكر ولماذا أجله ، ثم لماذا يقصد كتابته يوم الخميس؟! .

إن الجو العام للرواية ينبأ أن الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما أرسل إلى أبي بكر لم يكن مرضه قد اشتد عليه ، بل وصريح الروايات تقول أنه كان في اليوم الأول من مرض الرسول (صلى الله عليه وآله)^(١) ، ومن ثم كتابة الكتاب في ذلك الظرف كانت من الممكن أن تمر بسهولة ودونما يجري الذي جرى في رزية يوم الخميس ويبعده عن الوجود ، فلماذا يا ترى امتنع الرسول (صلى الله عليه وآله) عن ذلك واكتفى فقط بالاستدعاء أو الدعوة ثم أراد أن يكتب بعد ذلك؟! .

١. البيهقي ، السنن الكبرى ، ٨ / ١٥٣ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١ / ١٨٦ .

أما ما يخص رزية يوم الخميس ما جرى فيها من منع للرسول (صلى الله عليه وآله) فإن أهم ما يلاحظ فيها :

١. أنه لم يقل أحد أن رزية يوم الخميس مختصة باستخلاف أبي بكر وأن هذا الكتاب لتوثيق خلافته ، إذا كان الأمر متعلق به فلماذا منع عمر من كتابة الكتاب وبالتالي لماذا هو الوحيد الذي تخوف وأجج المعارضة ، فالروايات تشير إلى أن عمر رفض ذلك بقوله "حسبنا كتاب الله"^(١) ثم بعدها كثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى طردهم الرسول(صلى الله عليه وآله) قائلا " دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعوني إليه"^(٢) ، ولماذا هو الوحيد الذي رفع دعوى هجر النبي ألم يكن من مصلحته إذا كان الكتاب لأبي بكر أن لا يشكك بصحة النبي(صلى الله عليه وآله) حتى لا يشكك بخلافة صاحبه وتنازع الناس عليها؟!.

٢. أن ابن تيمية يستمر في آلية الالتواء على النص خدمة لرؤيته و ما يتوخى أن يصل اليه ، فهو يحاول تفسيره تفسير مغايرا لما توارث في كتب الحديث والتاريخ والسنن ، فليس هناك من المصادر من يذكر اختصاص رزية يوم الخميس وكتابة الكتاب بأبي بكر.

بل فسح المجال للعقل يجعل الإمام علي (عليه السلام) هو المصدق لذلك الكتاب ، فالروايات تصرح أن الرسول(صلى الله عليه وآله) قد قال "إني تارك فيكم الثقيلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي :كتاب الله وعترتي أهل بيتي"^(٣) ، ثم هو في يوم كتابة الكتاب يقول : "اتوني بدواة وكتف كي أكتب كتابا لن تضلوا بعده ابد"^(٤) ، فقد ربط

١- الصنعاني ، المصنف ، ٥ / ٥٣١ ، احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٣٣٥ ، ١ ، ٣٣٦ ، البخاري ، الصحيح ، ٥ / ٣٨ ، ١ ، ٧ / ٩ ، مسلم ، الصحيح ، ٥ / ٧٦ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ٣ / ٤٣٣ ، ابن حبان ، الصحيح ، ١٤ / ٥٦٢ ، النووي ، شرح صحيح مسلم ، ٥ / ٧٦ .

٢ . الصنعاني ، المصنف ، ٦ / ٥٧ ، احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٢٢٢ ، البخاري ، الصحيح ، ٤ / ٣١ ، ٤ / ٦٦ ، ٥ / ٣٧ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ٣ / ٤٣٤ .

٣ . احمد بن حنبل ، المسند ، ٣ / ٥٩ ، الطبراني ، المعجم الكبير ، ٣ / ٦٥ ، المعجم الصغير ، ١ / ١٣٥ ، ابو يعلى الموصلي ، المسند ، ٢ / ٣٧٦ .

٤ . احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٣٢٤ ، البخاري ، الصحيح ، ٤ / ٣١ ، ٥ / ١٣٧ ، ٧ / ٩ ، ٨ / ١٦١ ، مسلم ، الصحيح ، ٥ / ٧٦ ، ١١ / ٨٩ ، النسائي ، السنن الكبرى ، ٣ / ٤٣٣ ، ٤ / ٣٦٠ .

الرسول عدم الضلال بالعترة والكتاب ، وعمر يقول "حسبنا كتاب الله" فعمر إما أن يكون قد سمع من الرسول أن الكتاب يخص العترة ، أو أنه قد أحس بذلك وإلا لماذا يقول حسبنا كتابا الله و يقصي العترة ؟!!! .

والدلالة على ذلك أن عمر بن الخطاب نفسه بين لابن عباس اثناء خلافته أنه كان مدرك لقصد الرسول وموضوع الكتاب ، إذ ورد عنه أنه قال لابن عباس : " من أين جئت يا عبد الله ؟ قلت : من المسجد ، قال : كيف خلفت ابن عمك ؟ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر قلت : خلفته يلعب مع أترابه ، قال : لم اعن ذلك ، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت قلت : خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن قال : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها ! هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة ؟ قلت : نعم ، قال : أيزعم ان رسول الله صلى الله عليه وآله نص عليه ؟ قلت : نعم ، وأزيدك سألت أبا عما يدعيه ، فقال : صدق ، فقال عمر : لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله في امره ذرو من قول لا يثبت حجة ، ولا يقطع عذرا ولقد كان يربع في امره وقتا ما ولقد أراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الاسلام لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش ابدا ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها ، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله اني علمت ما في نفسه ، فامسك وأبى الله إلا امضاء ما حتم"^(١) .

بل إن عمر كان دائما ما يصرح بأحقية الإمام (عليه السلام) غير أنه يبرر لما فعله في رزية يوم الخميس ، فقد ورد أن عمر قال لابن عباس : " أما والله إن كان صاحبك هذا أولى الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله ، إلا أنا خفناه على اثنتين ، قال ابن عباس : ف جاء بمنطق لم أجد بدا معه في مسألته عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين : ما هما ؟ قال : خشيناه على حداثة سنه ، وحبه بني عبد المطلب"^(٢)

١ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٢ / ٢١ ، ثم أن ابن أبي الحديد صرح عن تلك الرواية بقوله : " ذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسندا " .
٢ . الجوهري ، السقيفة وفدك ، ٥٤ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ١٥٧ .

ويبدو أن هذا الأمر كان واضحاً جلياً عند أعداء أمير المؤمنين إذ يشير معاوية إلى الابتزاز الحاصل من أبي بكر وعمر بعد تمام الحجة عليهم بقوله في المراسلات التي جرت بينه وبين محمد بن أبي بكر : " فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا ، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا ، وفضله مبرزاً علينا ، فلما اختار الله لنبيه ما عنده ، وأتم له ما وعده ، وأظهر دعوته ، وأفلج حجته ، قبضه الله إليه ، فكان أبوك وفاروقه ، أول من ابتزّه ، وخالفه ، على ذلك اتفقاً واتسقا ، ثم دعواهُ إلى أنفسهما فأبطأ عنهما ، وتكأ عليهما ، فهما به الهموم ، وأرادا به العظيم ، فبايعهما وسلم لهما ... فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله ، وإن يكن جوراً فأبوك أسه ونحن شركاؤه ، فبهديه أخذنا ، وبفعله اقتدينا ، رأينا أباك فعل ما فعل ، فاحتدينا مثاله ، واقتدينا بفعاله ، فعب أباك بما بدا لك ، أو دع " (١) .

ومثل هذه المراسلات التي تظهر الغبن والمؤامرة التي وقع الإمام ضحيتها قد حاولت مصادر إسلامية لها ثقلها أن تركزها جانباً ولا تفصح عنها ومن أهم الأمثلة على ذلك موقف الطبري إذ يقول " أن محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لما ولى فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه مما لا يحتمل سماعها العامة" (٢) ، و أكدوا أن هذا الذي لم يستطع هؤلاء المؤرخون ذكره هو ما أفصح عنه معاوية من أمر خطير وتدبير ليس باليسير من قبل الخليفين ضد الإمام علي (عليه السلام) .

٣. على فرض أن عمر كان يعتقد أن هذا الكتاب كان بسبب الحمى أقلم يكن الأولى أن يسمع ويسمح للنبي (صلى الله عليه وآله) أن يكتب الكتاب لتقطع الحجة على الخصوم المخالفين الذين خالفوا خلافة أبي بكر وبالتالي ليس هناك أي داع لحضور اجتماع السقيفة والمشاورات والانقسام الذي حصل !؟ .

٤. إن عدم كتابة الكتاب وقعت بسبب التنازع بين القوم ولكن الروايات التي تحدثت عن ذلك التنازع لا تذكر غير اسم عمر الذي كان من المعارضين إلى أن كثر اللغط فقال عمر إنه يهجر ، فمن هم هؤلاء المعارضين وعلى ماذا اعترضوا ؟ إذا كانوا من أتباع

١ . البلاذري ، انساب الأشراف ، ٣٩٦ ، ٣٩٧. ، وينظر : المنقري ، وقعة صفين ، ١٢١ ، ابن أبي الحديد

، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ١٩٠ .

٢ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٥٥٧ .

أبي بكر وعمر فلماذا يعترضون إذا كان الكتاب نفسه لأبي بكر ، وإما إن كان الكتاب لغير أبي بكر فهنا يبدو الاعتراض الصادر من عمر طبيعياً جداً ووجيهاً كون الكتاب في حال إملائه وفي حال إيقاعه سيسد كل الطرق للإدعاء بالخلافة ومن هذا يتبين أن الكتاب لم يكن مختصاً بأبي بكر وإنما كان مختصاً بالإمام علي (عليه السلام) وإلا لما اعترض عمر .

٥. ولو كان المعني بالكتاب أبي بكر وعرف ذلك من قبل المسلمين لما اعترضوا عليه في السقيفة ، ولما قال عمر بعد ان قال الأنصار منا أمير ومنكم أمير " من ذا ينازعنا سلطان محمد ونحن عشيرته" ^(١) ، فوضع مقالة عمر تلك قبالة تخريج ابن تيمية لموقف عمر أثناء طلب الرسول كتابة الكتاب يفصح عن تناقض واضطراب كبير في توحي عمر لوقوع الفتنة ، وحتى العذر الذي اعتذر به ابن تيمية في أن عمر قد رفض خشية المنافقين واستغلالهم له وإحداث الفتنة فهو أمر غير صحيح فالانقسام حاصل غير أنه تناسى ذلك لكونه يدعى الإجماع على خلافة أبي بكر وهو ما يعاكس حقيقة الروايات التي وصفت على أقل تقدر حالة البيعة وما تلاها؟! كما أن ابن تيمية نفسه يقول أن الرسول قد دعا الله بثلاث فاستجاب له اثنان ومسألة الاختلاف وأن لا يجعل بأسمهم بينهم منعه إياها الله إياها إذا فالاختلاف واقع لا محالة وتخوف عمر ينافي السنن الكونية التي سنها الله ولم تغير حتى بدعاء الرسول (صلى الله عليه وآله)!!! .

٦. ولو كان الكتاب كما قال ابن تيمية في خلافة أبي بكر فلماذا لم يبايع أمير المؤمنين (عليه السلام)، فهل أمير المؤمنين مخالف للحق الذي انزل من الله وعلى لسان الرسول (صلى الله عليه وآله) ، إن الحال وكما هو واضح بأن الإمام مع الحق والحق معه كما صرح بذلك الرسول ^(٢) ، فهل يصح ممن كان مع الحق ان يتخلف عن الحق ، إذ لو

^١ . ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ / ١٥ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٤٥٧ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٣٠ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٣٨ .

^٢ . ابو جعفر الإسكافي، المعيار والموازنة ، ٣٥ ، ١١٩ ، ٣٢٢ ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ / ٩٨ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٤ ، ٣٢٢ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٤٩ ، ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٢ / ٢٩٧ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٧ / ٢٣٥ ، وينظر عن أسانيد هذا الحديث وصحتها : الميلاني ، شرح منهاج الكرامة ، ١ / ٤٠٣ وما بعدها .

كانت خلافة أبي بكر حق لما تخلف عنها أمير المؤمنين وكان بايعه بلا نقاش ولا اشكال فهو لم يعص للرسول (صلى الله عليه وآله) أمرا طيلة حياته .

والأمر الأهم من ذلك كله لو كان الكتاب كما يدعي ابن تيمية لأبي بكر وهو الخليفة الشرعي بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) فلماذا لم يصرح به الرسول أيام حياته كما صرح بأمر المؤمنين وهو أمر قد تفرد به الإمام فقد صرح بخلافته وولايته في أبرز تصريح في يوم الغدير^(١).

٧. مواقف ابن عباس مع الخليفة هل تؤكد ما ذهب إليه ابن تيمية من أن ابن عباس قد علل الرزية بشك الذين لم يبايعوا ابا بكر وما علاقة الذين لم يبايعوا برزية الخميس فهم لم يحضروا عند النبي حتى يتحملوا التبعات ، والمفروض أن تحمل المسؤولية يقع على الذين نهوا من كتابة الكتاب، وتصريح ابن عباس واضح من أن الرزية قد حدثت بسبب حالة التنازع يوم الخميس ولا علاقة لها بالشك في خلافة أبي بكر !!! إذ لو كان ابن عباس يدرك أن المقصود بالكتاب هو أبو بكر وأن الرزية قد حلت بسبب المخالفة لبيعته ، فلماذا لم يبايع هو وأبوه ، إذ كانا من الممتنعين عن بيعته شأنه شأن بني هاشم الذين تخلفوا مع الإمام علي (عليه السلام)^(٢) ، وعلى طول مسار الخلافة التاريخي كان ابن عباس ضمن جبهة الإمام علي (عليه السلام) فإذا كان يعلم ذلك فما الداع إلى وقوفه إلى جنب الإمام وتركه لأبي بكر وخلافته !!! .

٨. ثم إننا لو تأملنا الكتب لم نجد مصدرا يفسر كلام ابن عباس بأن الرزية هي للممتنعين عن خلافة أبي بكر بل أن نص ما ذكره الصحيحين أن ابن عباس قد سئل فقال " يوم الخميس وما يوم الخميس - وهو دلالة على استعظام الأمر - اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال انتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فتنازعوا ولا ينبغي عند

^١ . للتوسع في حديث الغدير وطرقه ينظر : الطباطبائي، عبد العزيز ، رسالة في طرق حديث من كنت مولاه بجميع صفحاته ، الأمين ، الغدير بجميع صفحاته .

^٢ . عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ، ٥ / ٤٧٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، ٢ / ٤٨ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٦ / ٣٠٠ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٤٦ ، الأربلي ، كشف الغمة ، ٢ / ١٠٣ ، وينظر : مرتضى العسكري ، أحاديث أم المؤمنين ، ١ / ١٣٨ وما بعدها .

نبي تنازع فقالوا ما شأنه أهجر استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعوني ... قال عبيد الله فكان يقول ابن عباس ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم" (١) .

إن ابن عباس كان مستاء من حالة التنازع والاعتراض الذي حدث والتي أطلقها عمر، كم تمنى أن يكتب الرسول (صلى الله عليه وآله) الكتاب وهو بالتالي على غير الشاكلة التي ينتمي إليها موقف عمر مما يؤكد أنه كان مدركا لحقيقة الكتاب وان تعليقه وتسميته لم تتأتى من كونهم منعوا كتابة الكتاب بخلافة أبي بكر، فهم إن منعوا فقد حصل مقصود الكتاب فلماذا يقول عنها رزية؟! .

كما أنه سماها رزية لشيء أساسي ألا وهو منع الرسول من كتابه لذا نراه يقول " ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغظهم" (٢) ، وهذا ما فهمه الباحثون وحلوا به الرزية، إذ يشير الدكتور صبحي الصالح إلى معنى الرزية بقوله " ولا بد لنا من الاعتراف بأنه لم يكن من المنتظر أن يقف من بين الصحابة مثل عمر ليقول ما قال ، حتى أكبر عبد الله بن عباس ، وهو حبر الأمة الاسلامية هذا الأمر وعده أكبر رزية أصابت المؤمنين ولم يكن من المتوقع إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يختار المؤمنون غير ما يختار لهم المعصوم" (٣) ، ومن ثم قسر مفهوم الرزية على خلافة أبي بكر أمر يخرج من دائرة التفكير المنطقي السليم .

٩ . كما أنه يقول أن ابن عباس قد قال ذلك أثناء ظهور الخوارج و الروافض وما هو في الحقيقة إلا إغفال لموضوع الكتاب و المجتمع المخاطب به والمقصود من وجوده ، فما الربط بين الخوارج و أبي بكر سيما وأن ظهورهم كان سنة ٣٧ هـ ، وهم لم

١ . البخاري ، الصحيح ، ٥ / ١٣٨ .

٢ . البخاري ، الصحيح ، ٥ / ١٣٨ .

٣ . النظم الإسلامية ، ٧٨ .

يظهروا على أنهم معارضون لخلافة أبي بكر وإنما ظهروا كمعارضين للإمام علي (عليه السلام) ، وبالتالي فلا داعي لقول ابن عباس أن الرزية متعلقة بالخارج الذين أنكروا خلافة أبي بكر .

أن حقيقة الأمر لا تتعدى القول من أن هذه الرواية . أي رواية أدعو لي أباك . خلقت وهي في حقيقتها صورة مقلوبة عن الرواية الأصلية كما يشير إلى ذلك ابن أبي الحديد إذ يقول : " وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه : ائتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلون بعده أبدا فاختلّفوا عنده وقال قوم منهم : لقد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله" (١) ، وكما وصفه الشيخ الأميني : " هذه صورة ممسوخة من حديث الكتف والدواة المروي بأسانيد جمة في الصحاح والمسانيد وفي مقدمها الصحيحان حولوه إلى هذه الصورة لما رأوا الصورة الصحيحة من الحديث لا تتم بصالحهم ، لكنها الرزية كل الرزية كما قاله ابن عباس في الصحيح ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع في وقته عن كتابه ما رامه من الإيذاء بما لا تضل الأمة بعده وكثر هناك اللغط ، ورمي صلى الله عليه وآله بما لا يوصف به ، أو قال قائلهم : إن الرجل ليهجر . أو : إن الرجل غلبه الوجع . وبعد وفاته صلى الله عليه وآله قلبوا ذلك التاريخ الصحيح إلى هذا المفتعل وراء أمر دبر بليل" (٢) .

كما إن الذي يبدو أن رواية أدعو لي اباك وأخاك إنما هي تعليق ونسج على صورة على الرواية الواردة في الصحاح من أن النبي قال ادعو لي حبيبي ، فهمت كل من حفصة وعائشة بدعوة أبيها ولما جاءوه كشح بوجهه عنهم فقالت أم سلمة ادعو له عليا فلما جاءه ناجاه وأطلعه على أسراره حتى توفي وهو على صدره (٣) وهكذا كان شأن المؤسسة الأموية التي حاولت أن تزيج مختصات الإمام وتضع مكانها أو تنسبها لأحد حكام مدرسة الخلفاء ،

١ . شرح نهج البلاغة ، ٣ / ١٧ ، وينظر : احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٣٢٥ ، البخاري ، الصحيح ، ١٦١ / ٨ ، ٣٧ / ١٠ .

٢ . الغدير ، ٥ / ٣٤٠ .

٣ . ابن مردويه ، المناقب ، ٧١ ، المحب الطبري ، بشارة المصطفى ، ٣٧٣ ، الموفق الخوارزمي ، المناقب ، ٦٨ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٣٩٣ ، ابن أبي حاتم ، الدر النظيم ، ١٩٤ ، العيني ، عمدة القاري ، ١٨ / ٧١ .

وابن تيمية وجد ضالته في مثل هكذا أحاديث فعمد إلى مغايرة دلالتها واستلابها وإصاقها للآخرين .

بعد ما أوردناه يمكننا القول أن ابن تيمية أراد بفلسفته تلك أن يزيح البعد الشرعي لخلافة الإمام وأن يمجد الخليفة بلا نص يذكر ، فضلا عن عدم وجود معطيات واضحة ومؤثرة في حياة أبي بكر حتى تكون خلافته مستندة على نص شرعي ، فكل ما ادعاه ابن تيمية ناتج عن حقد دفين لأمير المؤمنين لا أكثر بدليل أن كتابه لم نجد فيه أي اعتراف واضح بمناقب الإمام علي (عليه السلام) تلك المناقب التي أفاضت المصادر الأخرى وكتب الصحاح بها و امتازت بذكرها .

ثانياً . آلية توظيف الحديث الموضوع والشاذ والمحرف لدلالة المشروعية

من الآليات الأخرى التي زجها ابن تيمية للدلالة على مشروعية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان هو الاعتماد على نصوص نبوية يدعي كثرتها، نصت حسب ما يرى على أحقيتهم في الخلافة ، لذا نراه يقول : " كثرة النصوص الدالة على ثبوت خلافة أبي بكر وأن عليا لم يدل على خلافته إلا ما يعلم أنه كذب أو يعلم أنه لا دلالة فيه وعلى هذا التقدير فلم يستخلف بعد موته- أي الرسول - أحداً إلا أبا بكر فلهذا كان هو الخليفة فان الخليفة المطلق هو من خلفه بعد موته أو استخلفه بعد موته وهذان الوصفان لم يثبتا إلا لأبي بكر فلهذا كان هو الخليفة"^(١).

حقيقة إن ابن تيمية يببالغ جدا بتوافر النصوص الدالة على خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، وهي رؤية دفعت الباحثين إلى التنبيه لها والتنبيه عليها فهو يحشد للفكرة التي يريدتها ويحاول أن يستجمع أكبر قدر من الدلائل على صحتها لدعمها دون الإمعان في قرب أدلته أو بعدها عن الموضوع على أن كثرت الدلائل ما هي إلا أمور تحشيدية هدفها

١ . منهاج السنة ، ٣ / ١١ .

ابعاد المتلقي عن الحقيقة^(١)، وفي هذا الموضوع لو تتبعنا النصوص التي رأى أنها تدل على النص الشرعي على الثلاث وجدنا أهمها الآتي :

١- حديث المرأة المروي عن جبير بن مطعم وفيه "أنت امرأة إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأمرها أن ترجع إليه فقالت أرأيت إن جئت فلم أجذك كأنها تريد الموت قال إن لم تجديني فأتى أبا بكر"^(٢).

٢- رؤيا النيط والتي فيها : "أسند أبو داود عن جابر الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه و سلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه و سلم قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه و سلم وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه"^(٣).

٣ . حديث رؤيا الميزان "عن أبي بكره قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً أيكم رأى رؤيا فقلت أنا رأيت يا رسول الله كأن ميزانا دلي من السماء فوزنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان فقال النبي صلى الله عليه و سلم خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك لمن يشاء"^(٤).

إن أهم ما يلاحظ على النص الأول أنه قد تفرد بروايته جبير بن مطعم بن عدي من بني نوفل ، وهذا الشخص أهم صفاته أنه من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم و كان

١ . السمهودي ، نقد الخطاب السلفي ، ٥٤٥ .

٢ . منهاج السنة ، ١ / ٣٠٥ ، وينظر : احمد بن حنبل ، المسند ، ٤ / ٨٢ ، البخاري ، الصحيح ، ٤ / ١٩١ ، مسلم ، الصحيح ، ٥ / ١٧٥ ، الترمذي ، الجامع الصحيح ، ٥ / ٢٧٧ .

٣ . منهاج السنة ، ١ / ٣٠٧ ، وينظر : احمد بن حنبل ، المسند ، ٣ / ٣٥٥ ، عمرو بن عاصم ، السنة ، ٥٢٣ ، ابو داود السجستاني ، السنن ، ٢ / ٣٩٩ .

٤ . منهاج السنة ، ١ / ٣٠٥ ، ينظر : احمد بن حنبل ، المسند ، ٥ / ٤٤ ، ابو داود الطيالسي ، المسند ، ١٦٦ .

صاحباً لأبي بكر^(١) ولم يرو هذا الحديث عنه أحد من الصحابة إلا ابنه محمد ، الذي قام سعد بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف بدوره بالنقل عنه ولم يرو عنه غيره ، في حين أن البخاري قد رواه عن ابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وهو ذلك الشخص الذي حلف أن لا يحدث بحديث حتى يغني قبله انزعاجا ممن لامه على ذلك، وكان هارون قد استعمله على بيت المال ببغداد^(٢) .

إن الإشكالية على هذا الحديث أنه لو كان من دلائل النص على خلافة أبي بكر فلماذا لم يروه أبو بكر نفسه ويتمسك به في قبالة معارضيه لاسيما الإمام علي (عليه السلام) ، ولماذا لم يشهد به جبير بن مطعم لأبي بكر كي تتبين شرعيتها من النص ، ولماذا لم يعتمد الصحابة الآخرون إلى روايته هل تفرد بسماعه جبير بن مطعم فقط متى وأين؟! هذا أمر غير مقبول .

ثم أن البخاري وغيره من المحدثين كيف يستجيزون نقل الأحاديث من مثل شخص يحلف أن لا يحدث حديثاً إلا غنى قبله ، ألا يعتقد أن مثل هكذا شخص دليل أنحرافه عن الشريعة واضح ومفصوح ، ألا يعد الغناء مطعنا على المشتغل بالعلوم الشرعية ، و ألا يعد قسم ابراهيم هذا فيه نوع من التهكم والازدراء والحط من قدسية أحاديث الرسول وسنته ، ثم كيف تغافل ابن تيمية ومن قبله البخاري عن مثل هذه الشخصية حتى جعل ما حدثت به دليلاً على النص بخلافة ابي بكر؟! هذه الأمور لو كانت في حديث من الأحاديث التي تروى في خلافة الإمام (عليه السلام) لأقام الدنيا ولم يقعدا ولكنها تجاهلها كون الحديث يصب في الاتجاه الفكري نفسه الذي ينتمي إليه .

هذا من جهة السند ثم أنه من جهة الدلالة لا يمكن القبول بما ذهب إليه ابن تيمية ومن كان قبله من أن فيه دلالة على خلافة أبي بكر فالنص لم يشر حتى ولو ضمنا إلى موضوع الخلافة أو حتى الاستخلاف لا من قريب ولا من بعيد ، إذ نتساءل أي مفرداته فيها من

١- ابن قتيبة ، المعارف ، ٢٨٥ ، ابن الأثير ، اسد الغابة ، ١ / ٢٧١ ، ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ١ / ٥٧ ، تقريب التهذيب ، ١ / ١٥٧ .
٢ . الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٨ / ٣٠٧ .

الدلالة على ذلك ، ثم أننا لو وضعناها مقابل الأحاديث التي دلت على خلافة الإمام (عليه السلام) لوجدنا أنها أصرح بكثير ومع هذا ردها ابن تيمية واعتبرها من المكذوبات ، فالنصوص التي أوردها ابن المطهر فضلا عن غيرها أصرح بكثير من هذا النص المبهم ، فأيهما أدل وصرح الحديث الذي يقول فيه الرسول (صلى الله عليه وآله) للإمام علي (عليه السلام) : " لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي " (١) أم هذا الحديث؟! ، وإيهما أكثر دلالة على الاستخلاف ماروي عن بريدة من أن الرسول بعثهم إلى اليمن مع خالد بن الوليد ، وبعث علي (عليه السلام) على جيش آخر " وقال : إن التقيتما فعلي كرم الله وجهه على الناس ، وإن تفرقتما فكل واحد منكما على جنده . فلقينا بني زيد من أهل اليمن وظفر المسلمون على المشركين ، فقاتلنا المقاتلة وسبينا الذرية ، فاصطفى علي جارية لنفسه من السبي ، وكتب بذلك خالد بن الوليد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أنال منه ، قال : فدفعت الكتاب إليه ونلت من علي رضي الله عنه ، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لا تبغضن يا بريدة لي عليا ، فأنا عليا مني وأنا منه وهو وليكم بعدي " (٢) أم هذا الحديث؟! .

كما يمكن أن يضاف إلى أننا سبق وان بينا أن كثير من الأحاديث التي وردت دالة على مكانة الإمام علي (عليه السلام) قد أخذ إطارها العام ووضع على شاكلته ما يقابله من أحاديث في فضائل الصحابة أو للدلالة على أحقيتهم بالخلافة وفق نصوص حديثية ، وهذا الحديث لا يبعد كثير عن ذلك الموضوع فهو قد نسج على منوال حديث سألت فيه أم المؤمنين صفية رسول الله وذلك أثناء مرضه " يا رسول الله لكل امرأة من نسائك أهل يلجأ

١ . أحمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٣٣١ ، عمرو بن عاصم ، كتاب السنة ، ٥٥٢ ، النسائي ، خصائص أمير المؤمنين ، ٦٤ ، الطبراني ، المعجم الكبير ٢ / ٧٨ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٣٣ ، ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ١٠٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ٣٧٤ ، ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ٤ / ٤٦٧ .

٢ . النسائي ، الخصائص ، ٩٨ ، الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٦ / ١٦٣ ، ابن عقدة الكوفي ، فضائل أمير المؤمنين ، ٥٥ ، ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٩٠ ، الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٣ / ٦٢٨ ، القندوزي ، ينابيع المودة ، ٢ / ٣٦٤ .

إليهم وإنك أجليت أهلي فإن حدث فإلى من ، قال : إلى علي أبي طالب " (١) ، ثم بعد أن رواه الهيثمي علق قائلًا " أخرجه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح " (٢) غير أن غلبة اتجاه الخلافة غيبت ذلك الحديث ونسجت على منواله حديث المرأة التي حاولت التمويه على إسمها وبالتالي دخل هذا الحديث "في كتب الشيخين وغيرهما دون الحديث الثاني" (٣)

أما النص الثاني والذي أستدل من خلاله على أنه من نصوص الدالة على الخلافة فإن أهم ما يقف بوجهه هو ما يأتي :

١- إن تفسير هذا الحديث بالولاية والخلافة لا ينسجم مع الحديث الذي يقول أن الخلافة ثلاثون عاماً (٤) ، كونه لا يذكر خلافة الإمام علي (عليه السلام) التي أكدوا على أن مدة الثلاثون عام تتم بها وبالتالي إقصاء خلافته عليه السلام سوف يخلق مشكلة في وجه ذلك الحديث ، إذ اننا إذا لم نضيف خلافته إلى مدة الخلافة وهي الثلاثون عام ولم تكن خلافته ملكاً عضوياً فإلى أي مسمى سوف تنتمي ، فانتماؤها إلى الملك العضوض أمر لا يوافق عليه مجمل علماء مدرسة السنة ، كما أنهم لا يوافقون على إقصاءه من مدة الخلافة كونهم يشيرون صراحة إلى أن تمام الثلاثون بها (٥) .

٢- إن تفسير النوط في الحديث بالولاية هو تفسير لم يأتي من الرسول صلى الله عليه وآله ولم يكن الرسول هو الذي قال بذلك ، وإنما هو فهم أولده الصحابة وهو فهم خاص

١ . الطبراني ، المعجم الكبير ، ٤ / ٢٣٠ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٩ / ١١٣ ، المناوي ، شرح فيض القدير ، ٤ / ٤٧٢ .

٢ . مجمع الزوائد ، ٩ / ١١٣ ، وينظر : الطبراني ، المعجم الكبير ، ٤ / ٢٣٠ .

٣ . مركز الرسالة ، خلافة الرسول ، ٧٨ .

٤ . ابن راهويه ، مسند اسحاق بن راهويه ، ٤ / ١٦٤ ، أحمد بن حنبل ، المسند ، ٥ / ٢٢٠ ، ابن حبان ، الصحيح ، ١٥ / ٣٩٢ ، ابن عدي ، الكامل في الضعفاء ، ٧ / ٢٤٩ ، النووي ، شرح صحيح مسلم ، ١٢ / ٢١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣ / ٢٦٦ ، السيرة النبوية ، ٢ / ٣١٠ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٨ / ٦١ .

٥ . ابن راهويه ، المسند ، ٤ / ١٦٤ ، أحمد بن حنبل ، المسند ، ٥ / ٢٢٠ ، ابن حبان ، الصحيح ، ١٥ / ٣٩٢ ، ابن عدي ، الكامل في الضعفاء ، ٧ / ٢٤٩ ، النووي ، شرح صحيح مسلم ، ١٢ / ٢١٠ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣ / ٢٦٦ ، السيرة النبوية ، ٢ / ٣١٠ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٨ / ٦١ .

بالصحابية انفسهم ومن ثم لا يمكن الاستدلال به على أنه نص صريح بخلافة الخلفاء أو أنه تصريح من الرسول ، ففهم الصحابي غير فهم الرسول (صلى الله عليه وآله) .

٣- أننا يمكن أن نضيف ان الصحابة الذين فهموا هذا الفهم من هذه الرؤيا كان عليهم أن يُعملوا فهمهم في وقت الاختلاف الذي حصل وتحديدا في خلافة أبي بكر ، كما كان عليهم أن يذكروا عمر بأن لا داعي إلى الشورى فالنص والرؤيا قد حددت عثمان خليفة بعده .

إن مثل هكذا أمور لم توجد مما يجعلنا نزداد قوة في ما نعتقد به من أن كثير من الروايات والأحاديث الخاصة بتسلسل الخلفاء والذي يتوافق مع ترتيبهم في الخلافة إنما هي مرويات وضعت بعد انقضاء مدة خلافتهم^(١) وقد تكون فترة التدوين هي أخصب فترة زجت فيها مثل هكذا مختلفات وهي متوافقة مع التوجه السياسي القائم ولم تكن إلا نتاجا مشوها أتى به أمر معاوية المرتكز على كتابة فضائل للصحابية قبالة فضائل الإمام علي (عليه السلام)^(٢) .

٤- أن الميزة العامة لأغلب تلك النصوص إنها تعبر عن رؤية ولا تعتمد الواقع فهي قد اعتمدت على ما يدور في الأحلام وقررت به صحة الخلافة والنص عليها ومن ثم شرعيتها وهو أمر غير مقبول ، إذ التساؤل المطروح عن سبب اعتماد الرسول (صلى الله عليه وآله) على الرؤيا وانتظرها حتى يصرح بمثل هكذا توجه سياسي إذا كان راغبا فيه؟! .

أهل هو خشية من المسلمين؟! هو رسولهم ولا يمكن لهم أن يعارضوا ما يريدده خصوصا إذا كان مثل هكذا أمر يأتي في صالح الفئة التي عرف عنها شدة معارضتها له

١ . ويؤيد ما ذهبنا إليه ما ذكره السيد الميلاني في رسالة في الأحاديث الواردة في الخلفاء على الترتيب ص ١ . "إن كل حديث جاء في مناقب الخلفاء ، وذكرت فيه أساميهم على الترتيب فهو حديث موضوع بلا ريب . . ثم ظهر لي أن الحكم بالوضع لا يختص باخبار أبواب المناقب ، بل أكاد أقطع بان كل حديث كان كذلك في مطلق الأبواب فهو موضوع ، حتى التي جاء فيها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه يقول : جئت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان . . . خرجت أنا وأبو بكر وعمر وعثمان . . . أين أبو بكر وعمر وعثمان . . . وقد يكون فيها ذكر علي بعدهم وقد لا يكون ، ولربما جاء اسمه مقدما على عثمان لكنهما متى ذكرا فهما مؤخران عن أبي بكر وعمر" .

٢ . النصر الله ، هياة كتابة التاريخ ، ٩٥ وما بعدها .

!!! أم أن مستقبل الأمة غير مهم بالنسبة للرسول (صلى الله عليه وآله) ؟ ماذا لو لم تأتي الرؤيا للرسول هل ستبقى الأمة بدون خلافة نبوة !!! . هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نرى أن توظيف الرؤيا واعتمادها في تبيان فضائل مثلث الخلافة امر يكاد يكون واضح وغير مستبعد وكأنما فضائلهم لا تظهر إلا بالرؤيا ، إلا أن الأمر قد يكون منطقيا كون الواقع لا ينم لهم عن فضيلة ولا يسمح بظهور مثل هكذا فضائل إذ لم يعهد عنهم أي تميز عن الصحابة الباقين إن لم يكونوا أقل منهم بكثير ومع هذا راجت لهم المناقب والفضائل ما لم يصل لغيرهم .

٥- ان هذا الحديث لم يروه عن جابر إلا عمرو بن أبان بن عثمان وهو ما صرح به ناصر الدين الألباني في تحقيقه لكتاب السنة لأبن أبي عاصم ، إذ قال : " مجهول الحال لم يرو عنه غير الزهري وعبد الله بن علي بن أبي رافع الملقب (عبادل) ، لم أعرفه ، وكأنه لذلك لم يوثق ابن أبان هذا أحد غير ابن حبان على قاعدته المعروفة في توثيق المجهولين"^(١) ، وقد شدد الدرامي على مجهوليته عمرو ، وهذا مارواه عنه الحاكم النيسابوري ، إذ قال " فسمعت يحيى بن معين يقول محمد بن حرب يسند هذا الحديث والناس يحدثون به عن الزهري مرسلا إنما هو عمرو بن ابان ولم يكن لأبان بن عثمان ابن يقال له عمرو "^(٢) لذا صرح ابن أبي عاصم بضعف اسناده^(٣) ، ثم أن من رواه عن عمرو بن ابان شخصية لا يمكن الوثوق بها لأنها من الشخصيات المتلونة والمنقلبة ذات الميول الأموية ونقصد به الزهري ، علاوة على ذلك فقد شك ابن حبان في سماع الزهري من جابر إذ قال " ولا أدري أسمع منه أم لا "^(٤) ، كما أن الحديث موجود في الجامع الصحيح للترمذي ولما وصل إليه الألباني قال عنه (حديث ضعيف)^(٥) .

١ . ٥٢٣ .

٢ . المستدرک ، ٣ / ١٠٢ .

٣ . ابن أبي عاصم ، السنة ، ٥٢٣ .

٤ . ابن حبان ، الثقات ، ٧ / ٢١٦ .

٥ . الألباني ، ضعيف سنن الترمذي ، ١ / ٢٦٠ . ٢٦١ .

أما نص رواية الميزان والترجيح لأبي بكر وعمر وعثمان ، فإن أهم ما فيه أن ابن تيمية لم يكن أميناً في نقله فهو قد أخذ ما يريده وترك ما لا يريد ، فما نقله ابن تيمية من الحديث هو: " عن حماد ابن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً أيكم رأى رؤياً فقلت أنا رأيت يا رسول الله كأن ميزانا دلي من السماء فوزنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان فقال النبي صلى الله عليه و سلم خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك لمن يشاء"^(١) في حين أن الحديث بتمامه في مسند أحمد بن حنبل : " ... ثنا علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال وفدت مع أبي إلى معاوية بن أبي سفيان فأدخلنا عليه فقال يا أبا بكرة حدثني بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أيكم رأى رؤياً فقال رجل أنا يا رسول الله رأيت كأن ميزانا دلي من السماء فوزنت أنت بابي بكر فرجحت بابي بكر ثم وزن أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعمر رضي الله عنه فرجح أبو بكر بعمر ثم وزن عمر بعثمان رضي الله تعالى عنه فرجح عمر بعثمان رضي الله عنهم ثم رفع الميزان فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال خلافة نبوة ثم يؤتى الله تبارك وتعالى الملك من يشاء قال أبي قال عفان فيه فاستاء لها قال وقال حماد فساءه ذلك " ^(٢)

لقد أدرك ابن تيمية ان نقل التفاصيل التي ولدت فيها رواية ذلك الحديث أمر يعرض الحديث إلى هززة تفقده المكانة المزعومة له وبالتالي يفقد أهميته كنص فيه دلالة على شرعية مثلث الخلافة ، لذلك تجنب ذكر الجو العام والبيئة التي ولد فيها النص أو ما يمكن أن يسمى مقدمات النص ، فالنص قد ولد في بلاط معاوية بن أبي سفيان ولم يُتحدث به أو يسمع قبل ذلك ، وأن الشخص الذي أطلقه من سكونه طيلة حياة الرسول وعهد الثلاث وخلافة الإمام و أخرجه للعلن في عهد معاوية هو شخص قد قدم وافدا على معاوية وفي وقت كان معاوية يعطي العطايا الجزال لمن جاءه بحديث يظهر مناقب ذلك المثلث إذ ورد

١ . منهاج السنة ، ١ / ٣٠٥ .

٢ . ٤٤ / ٥ .

أن معاوية طلب من عماله أن يحثوا الناس على خلق واختلاق الحديث بفضائل الصحابة^(١)

كما أن الحديث قد جاء وفق رغبة من معاوية على سماع شيء من رسول الله ، لذا أدرك ابو بكر أن اقرب الأمور إلى نفس معاوية هي التقرب بحديث فيه إزاحة للإمام علي (عليه السلام) من سكة الخلافة الشرعية التي تؤيدها النصوص . ويبدو أن أبا بكر كان ملتفتا إلى ما كان يرغب به معاوية من حديث - مما أدى به أن يعلن لمعاوية ما يسمى بخلافة النبوة والتي تبدأ بأبي بكر وتنتهي بعثمان الأموي ابن عم معاوية !!! على أن يكون أعدى أعداء معاوية غير مشمول بها ونقصد الإمام علي (عليه السلام) ، مما ينتج أن حرب معاوية ضد الإمام علي لم تصطدم و لم تخرق مسألة شرعية وهي حرمة الخروج على السلطان (ال خليفة) ، وأن خلافة الإمام خليفة غير منصوص عليها هذا فيما يخص التفاصيل المتعلقة بالجو العام الذي ولدت فيه الرواية .

في حين أن ابن تيمية قد أقصى ذيل الرواية من الإيراد وتجاهله ، إذ أن تنمة الرواية تكشف أن تلك الرؤيا لم تُسر الرسول بل استاء لها " فساءه ذلك " أي أن ذلك الترتيب في الرؤيا قد ساء الرسول ومع ذلك يجعلها دليلا على النص !!! فهل رؤيا يستاء لها الرسول (صلى الله عليه وآله) تصنف ضمن الدلائل على النص الشرعي للخلافة في حين نص صريح لا يكون كذلك كما ذكرنا سابقا !!! .

ثم أن هناك أمر متناقض و حاصله الجمع بين استياء الرسول (صلى الله عليه وآله) من الرؤيا وبين تفسيره لها وقوله "خلافة نبوة" كيف يستاء الرسول (صلى الله عليه وآله) إذا كانت تلك الرؤيا معبرة عن خلافة النبوة التي هي شيء حسن والتي هي خلافة راشدة منسجمة مع توجه الرسول (صلى الله عليه وآله) ؟! ألم يكن من المنطقي أن تتفتح أسارير الرسول لتلك الرؤيا كونها قد حددت خلافة النبوة وعبرت عنها وعبرت عما يجول في خاطره وما يبتغيه ، أم أن خلافة النبوة شيء سيء ، نعتقد أن التصور المنطقي أن يفرح الرسول (صلى الله عليه وآله) لا أن يستاء ، فلماذا إذن استاء ، هل استاء للكذب الحاصل

١ . النصر الله ، هياة كتابة التاريخ ، ٩٥ .

من قاص الرؤيا أم لشيء آخر؟! ، يبدو لي أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد نقض الرواية في بدايتها - على فرض واقعيتها . وقدح بصحتها وإلا استياء الرسول (صلى الله عليه وآله) لا يدل إلا على ذلك الأمر .

ثم إننا لم نجد أن أبا بكر قد استشهد ولا حتى عمر بهذه الرواية طيلة خلافته و لا حتى أنهم استحضروا نص (خلافة النبوة) ، يضاف إلى ذلك ما قلناه سابقا من أن مناقب وخلافة الثلاث كيف لها أن تتعقد ويستدل على أنها نص من الرسول برؤيا تارة يراها شخص معلوم وأخرى شخص مجهول!!!؟ وما الموانع التي منعت الرسول من أن يصرح بها قبل تلك الرؤيا المتكررة الموضوع ولا حتى بعدها ويكتفي فقط بالرؤيا!!!؟ .

والمستغرب أن الرواية تذكر خلافة النبوة والتي انحصرت بالثلاث ، و حكم الملوك الذي ابتدأ بمعاوية ، إذ لم تشر إلى خلافة الإمام علي (عليه السلام) ، فهل يا ترى غابت خلافة الإمام عن الواقع؟! أم تبخرت؟! أم همشت؟! أم أعرض عن ذكرها الرسول (صلى الله عليه وآله) لأنها ليس لها محل من الشرعية الدينية!!!؟ .

ثم ما بال هذه الرؤى في كل مره تُغيب عليا عليه السلام منها سواء كانت رؤى المناقب أم الخلافة ، هل لها عداوة مع الإمام؟! أم أنها تأتي فقط بحق الذين ليس لهم حظ من المكانة في الواقع؟! إن كان كذلك فهو أمر مقبول!!!؟ ..

ومن هذا الرجل الذي رأى الرؤيا تلك والتي رتب على أثرها القول بالدلالة النصية على الثلاث ، هل كان اسمه معلوما لماذا لم يصرح أبو بكره باسمه ، هل لا يعرفه ، هل رؤيا بمثل تلك الأهمية لا يعرف من الذي رآها ، أم أنه قد نسي ، أم إن أغراض التعمية والتضليل هي التي القت بضلالها على هذه الرواية ، كثير ما نقرأ في الروايات مثل ذلك الأمر ولا مبرر له إلا غرض التضليل ، فنحن نجد مرويات فيها من أمور التعمية الشيء

الكثير ، فمنها ما نسى وصية للرسول كما ورد في البخاري : أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد أوصى بثلاث إثنان منها حفظت ونسيت الثالثة (١) .

ثم أنه لماذا انفرد بنقل مثل هذه الرواية شخص واحد فقط إذ أن الرواية تشير إلى كثرة الصحابة الموجودين أثناء تساعل الرسول بدليل قوله وقال رجل من القوم فالظاهر كان التساؤل في مكان عام قد يكون المسجد فلماذا نسيت من الموجودين وتذكرها أبو بكر وفي محضر معاوية ولماذا لم تنقل مثلا عن أبي بكر وعمر وعثمان فهم أحوج إليها من غيرهم ، يضاف إلى ذلك أن فيها علي بن زيد بن جدعان ، وهو الذي وصف بأنه ليس بقوي ولا يحتج بحديثه (٢) ، و أنه ليس بشيء وكان يقلب الأحاديث (٣) ؟!

كل هذه الأمور تجعلنا لا نقول بواقعية تلك الرواية و عدم انتمائها لأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) الصحيحة ، وبالتالي فإن كل ما ترتب عليها إنما هو مترتب على أمر غير قطعي الصدور من الرسول (صلى الله عليه وآله) .

ثالثا . دعوى الإجماع وعدمه وفلسفة التغافل عن الواقع التاريخي

يشكل الإجماع شرطا أساسيا في نظرية الحكم لدى مدرسة الصحابة (٤) ، وهو شرطا نظريا أكثر منه عمليا أو واقعيًا - كونه صيغ وفق قوالب جاهزة كانت المادة التاريخية هي عمدتها وأساسها - ، غير أن ابن تيمية يعتمد على وجوده ومسايرته إضافة إلى غيره أثناء

١ . البخاري ، الصحيح ، ٥ / ١٣٧ ، إذ روى أن الرسول أوصى أن " اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها " ، ولم يكن ذلك هو الإشارة المبهمة الوحيدة بل وجد لهذا الإبهام عدة مصاديق منها في يوم السقيفة " وقال قائل حين وطئ سعدا " دون ان يصرح بأسمه ، والرجل الذي ذكرت الروايات أنه يموت على غير سنة الرسول ترك مبهما ، الهيتمي ، مجمع الزوائد ، ١ / ١١٢ ، و الرجلان اللذان خرج الرسول منكأ عليهم ذكرت السيدة عائشة اسم أحدهما ولم تذكر الآخر ، مما يدل أن هذا الإبهام جاء أما لإخفاء فضائل أو لأخفاء واقع بعض الشخصيات غير المرضي ، أو لخلق فضائل مزعومة .

٢ . الرازي ، الجرح والتعديل ، ٦ / ١٨٧ ، العجلي ، معرفة الثقات ، ٢ / ١٥٤ .

٣ . ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ١٠٣ ، العقيلي ، الضعفاء ، ٣ / ٢٣٠ .

٤ . الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ٦ . ٧ . أبي يعلى الفراء ، الأحكام السلطانية ، ٢٣ ، ابن قدامة ، المغني ، ١٠ / ٥٣ ، الشرح الكبير ، ١٠ ، ٥٣ .

انتخاب الثلاث ومن ثم تأكيد صحة و شرعنة الخلافة ، وكذلك اقصاءه وإعدامه وانحساره عن الأجواء التي رافقت بيعة الإمام علي(عليه السلام) ومن ثم الطعن بمقبولية خلافته .

ففي الوقت الذي ساد فيه التفاهم وحالة المقبولية لأبي بكر وتم انعقاد خلافته بالبيعة والإجماع دونما أن يحدث النزاع وكل ما حدث من نزاع فإنه قد اقتصر على السقيفة ولم يتمدد إلى ما هو أوسع منها ، هذا الجو لا يكاد يتلمس المتلمس منه شيئاً في الأجواء التي رافقت بيعة الإمام علي (عليه السلام) فيقول ابن تيمية : " النزاع في الإمامة لم يظهر إلا في خلافة علي رضي الله عنه وأما على عهد الخلفاء الثلاثة فلم يظهر نزاع إلا ما جرى يوم السقيفة وما انفصلوا حتى اتفقوا ومثل هذا لا يعد نزاعاً" (١) .

فالأمة كل الأمة قد بايعت أبي بكر ورضيت بخلافة عمر وعثمان و " أن اتفاق الخلق ومبايعتهم لأبي بكر وعمر وعثمان أعظم من اتفاقهم على بيعة علي رضي الله عنه وعنهم أجمعين وكل أحد يعلم أنهم اتفقوا على بيعة عثمان أعظم مما اتفقوا على بيعة علي والذين بايعوا عثمان في أول الأمر أفضل من الذين بايعوا علياً فإنه بايعه علي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وعبد الله بن مسعود" (٢)

في حين أن القول بمبايعة المسلمين للإمام هو " من أظهر الكذب إذ أن كثير من المسلمين أما نصف أو أقل أو أكثر لم يبايعوه ولم يبايعه سعد بن أبي وقاص ولا ابن عمر ولا غيرهم " (٣) .

إن ابن تيمية يحاول أن يتغافل عن الحقائق التاريخية وينحي الروايات التاريخية عن الموضوع المطروح وهو بداية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، في حين يستعين بنموذج

١. منهاج السنة ، ١ / ٧٤ .

٢. منهاج السنة ، ١ / ٣٣٢ .

٣. منهاج السنة ، ٣ / ١٥٢ .

معين من الروايات في بيان موقف الأمة من خلافة الإمام (عليه السلام) هذا النموذج هو نموذج منتقى كونه يجسد النظرة التي يريدها ابن تيمية لخلافة الإمام (عليه السلام) ^(١) .

من الكلام السابق يمكن تلخيص ما يأتي :

- ١ . تجريد خلافة الثلاث من حالة المعارضة السياسية في حين كانت من أبرز السمات التي اقتصت بها خلافة الإمام علي (عليه السلام) .
- ٢ . التأرجح في نسبة المبايعين للإمام علي (عليه السلام) تتراوح بين (النصف أو أقل أو أكثر) في حين أن الخلق قد اتفق على مبايعة الثلاث .
- ٣ . الجو السلمي الذي رافق خلافة الثلاث فلم يقتتل الصحابة على خلافتهم وإنما حصل القتال على خلافة الإمام علي (عليه السلام) إذ كان سمة خلافتهم هو اجتماع الأمة عليهم "فإن الثلاثة قد اجتمعت الأمة عليهم وحصل بهم مقصود الإمامة"^(٢) .

إن ما يمكن اجماله على دعوى الإجماع وعدم وجود المعارضة إلا في خلافة الإمام يمر بعدة مسارات تجمل في بيان أمور متداخلة تركز على توضيح حالة الخلافة في بداياتها الأولى ، فالبدايات الأولى لما سمي بالعهد الراشدي وجدت وولدت بعيد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) إذ كانت سقيفة بني ساعدة هي المكان الذي أخذ شهرته من أهمية بداية الحدث الذي دبر فيه ، فخلافة أبو بكر ولدت بزيتها المعلن من هناك ، وذلك حين عرج أبو بكر وعمر وأبو عبيدة على سقيفة بني ساعدة والأنصار موجودين ، وهناك دارت مفاوضات حاول الأنصار أن يحصلوا من خلالها على مكاسب سياسية في ظل الوضع السياسي الجديد والطارئ فطالبوا بالخلافة ثم تنازلوا شيئاً فشيئاً إلى أن قالوا منا أمير ومنكم أمير ويقصدون أبي بكر وأصحابه وهذا يعني وجود نزاع حاد على المكاسب السياسية هذا النزاع طرفاه الأنصار من جهة وأبو بكر وعمر وأبو عبيدة من جهة أخرى، ولو لم يكن

١ . هذا النموذج تمثله روايات سيف ابن عمر ، وليبيان رؤية سيف ابن عمر ورواياته عن خلافة الإمام

علي في بدايتها ينظر : الشرهاني ، التغيير في السياسة المالية ، ٥١ ، وما بعدها .

٢ . منهاج السنة ، ١ / ٣٣٨ .

النزاع محتدم لما قال عمر " هيهات سيفان في غمد واحد، يصطلحان" ^(١) ولم يقل قال قائل الأنصار " انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وكثر اللغظ وارتفعت الأصوات" ^(٢) ، كما يشير بذلك أصحاب السنن والتواريخ ، مما حدى بأنصار أبي بكر أن يأخذوا ذلك المتكلم ويطئوا في بطنه ويدسوا في فمه التراب^(٣).

أليس في هذا الأمر دلالة واضحة على حجم النزاع والاختلاف الذي لم يكن منحصرًا بذلك الموقف بل كاد أن يصل إلى قتل زعيم الأنصار سعد بن عباد ، إذ يشير عمر بن الخطاب إلى ذلك بقوله " ونزونا على سعد حين قال قائل : قتلتم سعدا ، قلت : قتل الله سعدا، إنه منافق ^(٤) ، لا لشيء إلا لأنه لم يوافق على ذلك المستجد السياسي الذي يحاول أصحابه أن يستغلوا الفرصة .

ثم أننا لو تتبعنا أحداث السقيفة لوجدنا أن عمر قد استغل حالة النزاع وحالة الذهول من وفاة الرسول وعقد بيعة أبي بكر فيها دونما اجماع ، وهذا الموقف تصوره الرواية التي تصف بيعة أبي بكر " فلما قضى أبو بكر مقالته ، قام رجل من الأنصار فقال : أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير ، يا معشر قريش ! وإلا أجلبنا ، الحرب فيما بيننا وبينكم جذعا ، ... فقال عمر بن الخطاب : لا يصلح سفيان في غمد

١ . عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ، ٥ / ٤٤٥ ، النسائي ، فضائل الصحابة ، ٥ ، السنن الكبرى ، ٥ / ٣٧ ، كتاب الوفاة ، ٧٦ ، الجوهرى ، السقيفة و فدك ، ٦٤ ، ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ١٥٥ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣ / ٢٢٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٦ / ٣٨ .

٢ . عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ، ٥ / ٤٤٤ ، احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٥٦ ، البخاري ، الصحيح ، ٨ / ٢٧ ، ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ١٥٧ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٨ / ١٤٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٤ .

٣ . الجوهرى ، السقيفة و فدك ، ٦٦ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٤٠ .

٤ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٤٥٩ ، وينظر : عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ، ٥ / ٤٤٤ ، احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ٥٦ ، ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ١٥٧ ، البيهقي ، السنن الكبرى ، ٨ / ١٤٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٤ . وإذا كان عمر لم يجرؤ على قتل سعد بن عباد جهارا ، فقد سخر له جنا سياسيا قتله خلسة وغدرا بعد حين من السقيفة .

واحد ، ولكن منا الامراء ومنكم الوزراء ... فارتفعت الأصوات بيننا ، وكثر اللغط حتى أشفقت الاختلاف ، فقلت : يا أبا بكر ! أبسط يدك أبايعك ، قال : فبسط يده فبايعته " (١) .

هذا يعني أن بيعة أبو بكر قد عقد بمبايعة عمر بعد تهديد واضح من الأنصار بإعلان حالة الحرب ، وهذه الرواية توصف حالة الاحتقان والجو المكهرب الذي لم يكن فيه أدنى إجماع ولم تتعقد البيعة إلا بخطفة مباغثة قام بها عمر وبمعزل عن الإجماع الذي يدعيه ابن تيمية حين أخذ بيد أبا بكر وبايعه خليفة ثم بايعه أبا عبيدة أي إن البيعة قد انعقدت بإثتان ولا وجود للإجماع فيها كما يصرح بذلك الدكتور ابراهيم التهامي وذلك في رده على ابن تيمية في تلك الدعوى (٢) .

فالنص مروى بلسان عمر وهو صانع البيعة الأولى للخليفة لا بلسان غيره حتى ينتاب المشكك كثير من التدقيق والتحقيق فيه ، وابن تيمية أدرك ذلك لذا عمد إلى حالة من الإغفال المتعمد في أن لا يشير من قريب أو بعيد إلى مثل هكذا أمر كونه غير قابل للتأويل أو التفسير .

هذا من جهة ومن جهة أخرى أن دعوى وجود الإجماع وعدم وجود نزاع يخرقها احجام أو امتناع أهل البيت خصوصا الإمام علي (عليه السلام) وبني هاشم والزبير وطلحة واتباعهم من المبايعة، فهؤلاء من كبار الصحابة، فالمصادر تشير إلى حقيقة أن الإمام علي لم يبايع إلا بعد وفاة الزهراء ، وقيل بعد ستة أشهر من وفاة الرسول (٣) .

١ . عبد الرزاق الصنعاني ، المصنف ، ٥ / ٤٤٥ ، النسائي ، فضائل الصحابة ، ٥ ، السنن الكبرى ، ٥ / ٣٧ ، كتاب الوفاة ، ٧٦ ، الجوهرى ، السقيفة وفدك ، ٦٤ ، ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ١٥٥ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٣ / ٢٢٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٦ / ٣٨ .
٢ . موقف الإمام ابن تيمية من آل البيت ، ٢٩ .

٣ . الصنعاني ، المصنف ، ٥ / ٤٧٢ - ٤٧٣ ، البخاري ، الصحيح ، ٥ / ٨٣ ، مسلم ، الصحيح ، ٥ / ٨٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٤٤٨ ، ويذكر ابن الأثير في أسد الغابة ٣ / ٢٢ ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٣١ " أن من تخلف عن بيعة أبو بكر علي وبنو هاشم والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عباد الأنصاري " ثم إن الجميع بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سعد بن عباد فإنه لم يبايع أحدا إلى أن مات وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر على القول الصحيح ، على أن هذا الرأي قابل للمناقشة خصوصا مع اصرار علماء مدرسه أهل البيت على رفضه .

وهنا لا بد من الإشارة إلى الثقل الذي يمثله الإمام علي (عليه السلام) في كيان الدولة الإسلامية ، ويضاف إلى الإمام علي (عليه السلام)، العباس بن عبد المطلب إذ أشارت المصادر صراحة إلى موقفه الرافض لخلافة أبو بكر وذلك بعد أن وصلت أنباء السقيفة إليه ، إذ عمد إلى الإمام علي مخاطبا : " امدد يدك بأبيك ، فيقول الناس : عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان ، فقال له : أو يطمع يا عم فيها طامع غيري ! قال : ستعلم " (١) في محاولة منه استغلال قرابته للرسول بمثالية كبيرة لترجيح كفة الإمام علي (عليه السلام) على أصحاب السقيفة .

كما يضاف إليه موقف الأنصار ، إذ أورد الطبري أن : الأنصار أو بعض الأنصار قالوا لا نبايع إلا عليا (٢) .

و لا يبتعد كثيرا عن ذلك موقف أبي سفيان الذي تظاهر بمناصرتة للإمام علي (عليه السلام) بقوله " والله انى لارى عجاجة لا يطفئها إلا دم يا آل عبد مناف فيما أبو بكر من أموركم أين المستضعفان أين الأذلان علي والعباس وقال أبا حسن ابسط يدك حتى أبايعك فأبى علي عليه" (٣) .

غير أن الإمام كان يمتلك من المعايير السياسية والرؤيا التي كانت تستجلي حقيقة ذلك الموقف وأهدافه الكامنة لذا وصف حركته بعدة أوصاف منها (الغش لله ولرسوله - النفاق - الفتنة - تأكيده على وحدة المسلمين - الرفض لنصيحة أبي سفيان) (٤) .

١ ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ ، ٦ ، الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ٦ ، ٧ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ١٦١

٢ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٤٤٣ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٢٥ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٢ .

٣ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٤٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٢٦ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ٢٢١ .

٤ . البلاذري ، أنساب الأشراف ، ٢٧١ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٤٤٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٢٦ .

يضاف إلى ذلك أن عنصر الإرغام والقوة كان موجودا في البيعة ، فقد أشير إلى أن عمر هدد الممتنعين عن بيعة أبي بكر وهم في دار الزهراء بالحرق و الإيجاب حتى أن الزبير كسر سيفه من قبل المهاجرين ثم " أتاهم عمر فأخذهم إلى البيعة " (١) .

كما يشار هنا إلى أن ابا بكر لم تكتمل بيعته وتكتسب القوة إلا بعد أن قدمت قبيلة أسلم وبايعته ونص ما ذكره ابن الأثير يدل على حقيقة ذلك إذ يقول " جاءت أسلم فبايعت فقوي أبو بكر بهم وبايع الناس بعد" (٢) أي أن القوة العسكرية كانت هي السلطة التي فعلت خلافة أبو بكر وليس الإجماع ، فالتساؤل المطروح هنا ما معنى الاستقواء بأسلم ، وما معنى بيعة الناس بعدهم ألا يدل على الإيجاب والإكراه وليس السلم والإجماع!!؟ .

هذه الأمور تشير وتؤكد على حقيقة حجب الإجماع وانفراطه عن بيعة ابي بكر كما أنه يشير إلى أن المؤاخذة التي يطلقها ابن تيمية على عدم مقبولية خلافة الإمام بعدم مبايعة سعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر هي نفس المؤاخذة التي يمكن ان نطلقها على خلافة أبي بكر مع وجود الفارق في المكانة كون الإمام والزهراء والزبير هم من الذين لم يبايعوا الخليفة ، ومن ثم إذا قيل أن سعد لم يبايع الإمام فإن ابي بكر لم يبايعه هؤلاء وهم من كبار الصحابة ، وبالتالي فإن ابن تيمية يقرر القواعد ثم لا يلبث إلا أن يناقضها، إذ كيف تكون مخالفة الإمام والزهراء والزبير والعباس وعمار والمقداد و أبا ذر والأنصار وسيدهم سعد بن عبادة غير قاذحة في خلافة أبي بكر ويكون موقف سعد وعبد الله بن عمر قاذح ومضر بخلافة الإمام علي (عليه السلام) .

يضاف إلى ذلك شيء آخر هو أن ما جرى بعد السقيفة ينبئ بشدة النزاع وعدم الإجماع حتى وصل الأمر إلى :

١ - استباحة بيت الزهراء لشدة المعارضة التي التجأت إليه ومشاركتها في الامتناع عن البيعة ، فنقل النصوص الدالة على تلك المعارضة يعطي نتائج تخالف ذاتية الطرح التي اعتمدها ابن تيمية :

١ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٢٥ .

٢ . الكامل في التاريخ ، ٢ / ٣٣١ .

أ / قال ابن عبد ربه الأندلسي " وأما علي والعباس والزيير ، ففعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبو بكر ليخرجوا من بيت فاطمة وقال له : إن أبوا فقاتلهم ، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة فقالت : يا بن الخطاب ، أجننت لتحرق دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا ما دخلت فيه الأمة"^(١) .

ب / " حين بويح لأبي بكر بعد رسول الله (ص) كان علي والزيير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله (ص) فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة فقال : يا بنت رسول الله (ص) ! والله ما من أحد أحب إلينا من أبيك ، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك ، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك ، إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت ، قال : فلما خرج عمر جاؤوها فقالت : تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت وأيم الله ليمضين لما حلف "^(٢) .

٢- أن يقتل صحابي على اثر عدم قبوله للمستجد السياسي والنظام الذي يتأسسه أبو بكر ، فمالك بن نويرة كان واضحا في رفضه للخليفة وهو ممن شهد له الرسول بالجنة ، غير أنه ذهب ضحية خرقه للإجماع المزعوم من قبل ابن تيمية ، وحروب الردة في حقيقة الأمر مثال للقتال الذي حدث بين المسلمين لأهداف تقوية وإرساء قواعد خلافة أبي بكر التي يدعي ابن تيمية أن سل السيوف لم يكن فيها ، فمالك ابن نويرة نموذج لحروب الردة التي قتل فيها المسلمون في خلافة أبي بكر ، إذ لا يستطيع ابن تيمية أن يقول أن من قتل فيها كان كافراً إذ لو كان كافراً لما سميت حروب ردة وإنما سميت مسمى آخر كون الردة تقال لمن كان مسلم ثم خرج عن الإسلام^(٣) ، وهذه الحروب فيها رد صريح على السلمية المزعومة التي رافقت خلافة الثلاثة .

١ . العقد الفريد ، ١٣ / ٥ .

٢ ابن أبي شيبه ، المصنف ٨ / ٥٢٧ ، المتقي الهندي ، كنز العمال ، ٥ / ٦٥١ .

٣ . ابو حبيب ، القاموس الفقهي ، ١٤٧ ، فتح الله ، معجم الفاظ الفقه الجعفري ، ٢٠٨ ، قلجعي ، معجم لغة الفقهاء ، ٢٢١ .

في حين أن رأي الأمة في تنصيب عمر يكاد يكون معدوماً ، فالروايات لم تخفي الرغبة الشديدة من قبل ابي بكر وعثمان في أن تؤول الخلافة إلى عمر ، فأبو بكر وفي عنته الشديدة يلقت عثمان كتاب التنصيب الرسمي لعمر ولكن في اجتهاد موافق لتوجهه الخليفة يخط عثمان أسم عمر في الكتاب الذي يستحسنه ابو بكر بعد إفاقتة من غشوته ، وكان هذا الكتاب بمعزل تام عن أي اجماع أو إشارة من المسلمين وإنما أمضي تنصيباً من الخليفة أبي بكر (١) ،

كما أن إجماع الصحابة على عمر غير مستحضر ، فمن اللحظة الأولى لذلك الكتاب ولدت معارضة الصحابة له وابن تيمية يعترف بذلك إذ يقول " وتكلم طلحة وغيره في ولاية عمر لما استخلفه أبو بكر و لهذا لما استخلفه أبو بكر كره خلافتة طائفة حتى قال طلحة ماذا تقول لربك إذا وليت علينا فظا غليظا فقال أباالله تخوفني أقول و ليت عليهم خير اهلك" (٢) .

ومن ثم فدعوى اتفاق الخلق على عمر هو مجرد تخيلات بعيدة عن واقع تراثنا الإسلامي ، فهل كان ابن تيمية مطلعاً على أن هذا الأمر وهذه الرواية التي قد رويت في مصادر دائماً ما ينقض فضائل الإمام (عليه السلام) لعدم وجود نصوص تدل على أحقيته فيها ، أم إنه لم يستطع حال التصنيف أن يستحضرها من مضانها كما يعتذر له ابن حجر

١ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣ / ٢٠٠ ، ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١ / ٢٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٢ / ٦١٨ ، ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ١٩٢ ، الرازي ، التفسير ، ٩ / ٢٨٣٢ ، الأيجي ، المواقف ، ٣ / ٦٢١ ، ابن عساکر ، تاريخ دمشق ، ٣٠ / ٤١١ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٤٢٥ ، الزيلعي ، تخريج الحديث و الآثار ، ٢ / ٤٨١ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ١٦٥ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٣٤٠ ، كلام ابن تيمية ذلك لم يشر إليه في التحدث عن الخلافة وإنما جاء في معرض بيان بغض الكفار لعمر ، إذ يقول " و بغض الكفار و المنافقين لعمر اعظم من بغضهم لعلي بما لا نسبة بينهما بل لم يعرف أن علياً كان يبغضه الكفار و المنافقون إلا كما يبغضون أمثاله بخلاف عمر فانه كان شديداً عليهم و كان من القياس أن ينفروا عن جهة فيها عمر و لهذا لما استخلفه أبو بكر كره خلافتة طائفة حتى قال طلحة ماذا تقول لربك إذا وليت علينا فظا غليظا فقال أباالله تخوفني أقول و ليت عليهم خير اهلك" ولا ندري هل كان طلحة من المنافقين أو الكفار ؟!!! تناقض عجيب .

بذلك العذر^(١) ؟ ! انها تحية لذلك التراث وإغفالا للواقع الذي كانت عليه طبيعة بداية خلافة الخلفاء .

و أن الاتفاق المزعوم والسكينة و الطمأنينة التي رافقت اختيار عثمان فهي مجرد دعوى تجانب واقع الشورى التي تم على إثرها ترشح عثمان وهو لا يعدو أن يكون رغبة من رغبات ابن تيمية في ممارسة وضع الحواجز المفتعلة تجاه خلافة الإمام علي (عليه السلام) .

فالروايات تشير إلى أن عمر بعد أن طعن وكل الأمر إلى ستة^(٢) وحدد لهم برنامج العمل الذي يسرون عليه في اختيار الخليفة ، وكان هذا البرنامج محكما جدا فهو بطريقة غير مباشرة قد حدد شخص الخليفة وجعل عثمان هو الشخص الذي سيسفر عنه ذلك البرنامج !! .

فأهل الشورى كانوا ستة لم يجعلهم عمر متكافئين في الأصوات ، إذ جعل حق الإطاحة بالمرشح بيد الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن^(٣) ، وأكدوا أن التوجه وصلة القرى سوف لن تجعل من عبد الرحمن مؤيدا للإمام علي (عليه السلام) كونه صهر لعثمان ، وفعلا تمت البيعة بعد اجتماع صوري أكثر منه واقعي .

إذ تشير الروايات أن سعد قد أعطى حقه في الانتخاب لعبد الرحمن يتحكم به ، والزبير أعطى صوته للإمام علي (عليه السلام) ، وبقي الصوت المرجح هو صوت عبدالرحمن - حسب الروايات التي تقول بغياب طلحة . .

أما إذا أخذنا بالروايات التي تقول بوجود طلحة فإن صوته أعطي للإمام علي (عليه السلام) ، وبقي صوت عبدالرحمن الذي كان راغبا في تولي عثمان الحكم ، لذا عمد وكما قلنا إلى أمر صوري ليس له من الواقعية الشيء الكثير ، أراد فيه من الإمام أن يتعهد إذا ما

١ . لسان الميزان ، ٦ / ٣١٩ .

٢ . الصنعاني ، المصنف ، ٥ / ٤٨١ ، ، ابن شبة النميري ، ٣ / ٩٢٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،

٣ / ٢٩٣ ، الطبراني ، المعجم الأوسط ، ١ / ١٨٢ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٦٦ .

٣ . ابن سعد، الطبقات، ٢ / ١٦٠، ابن شبة النميري، تاريخ المدينة، ٣ / ٩٢٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل

والمملوك ، ٢ / ٦١٨ .

ببيع أن يسير بسيرة الشيخين إضافة إلى كتاب الله وسنة النبي ، وعبد الرحمن كان واثق من أن هذا الأمر مرفوض من قبل الإمام فالخليفتين ليسا معصومين وسيرتهما كان فيها من الأمور التي ينبغي النظر فيها وتصحيحها وهو ليس ملزماً أن يتقبل سيرة الشيخين بعلاقتها ، مما حدى به أن يتوجه إلى عثمان الذي تقبل مثل هكذا أمر بالقبول ، حينها حسم الأمر وأعطى الصوت لعثمان فأصبح عثمان خليفة^(١) .

ولم تكن القواعد الشعبية في سكينة وطمأنينة مدة الأيام الثلاث التي استمرت فيها الشورى كان هناك كثير من الصدام والخلاف الذي حدث بين المؤيدين للإمام علي (عليه السلام) وهم بني هاشم وأجلاء الصحابة وعامة الناس يقودهم عمار بن ياسر ، وبين المؤيدين لعثمان وهم الأمويون وأصحاب المصالح والطبقة العليا يقودهم عبد الله بن أبي سرح^(٢) .

أما ما يدعيه ابن تيمية من مشاوره المسلمين التي قام بها عبد الرحمن والذين أيدوا تولي عثمان هو أمر غير واقعي فلم تصرح المصادر بذكر من هم المسلمون حتى نعرف توجهاتهم وكم عددهم هل شاور كل السابقين والتابعين ، هل الظروف تسمح له بذلك ، وما هي اشاراتهم عليه حتى نعرف انه أخذ بها أم لم يأخذ؟! .

وإذا كانوا قد أشاروا عليه بتولي عثمان وكانت إشارتهم ملزمة له و كانت المشاورة والإجماع قد أفضت إلى اختيار عثمان فلماذا رجع إلى الإمام مطالباً له بان يسير بسيرة الشيخين حتى يبياعه ، ألا يعد ذلك خروجاً على الإجماع وشورى السابقين و التابعين وموقف تفردياً وارتجالياً يؤخذ عليه عبد الرحمن بن عوف ؟ كل هذه الأمور تحتاج إلى إجابات من قبل ابن تيمية .

بل قد وجد ما يعاكس تلك المشورة المزعومة التي قام بها عبد الرحمن ، فوصية عمر كانت واضحة وحددت المعالم وهي لم تجعل للأمة أي دور في اختيار الخليفة بل فرضته

١ . ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ٣ / ٩٢٣ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٢٩٤ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ١٩١ .

٢ . ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ٣ / ٩٢٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٢٩٧ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٧٠ .

فرضا و أن من يصوغ أعلى منصب سياسي وديني في دولة الإسلام هم الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن فمشاركة الباقيين هي لذر الرماد في العيون لا أقل ولا أكثر وهذا ما أوضحه الإمام علي بقوله للعباس " عدلت عنا فقال وما علمك قال قرن بي عثمان وقال كونوا مع الأكثر فان رضى رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فسعد لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن عثمان أو يوليها عثمان عبد الرحمن فلو كان الآخرون معي لم ينفعاني بله إني لأرجو إلا أحدهما" (١) .

وقد ذكر الإمام علي (عليه السلام) ذلك التحيز بقوله : "حتى إذا مضى لسبيله ، جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم ، فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ، لكنني أسففت إذ أسفوا ، وطرت إذ طاروا . فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره ، مع هن وهن" (٢) .

أضف إلى ذلك أن الوصية لم يكن فيها ما يؤيد شورى الأمة والتلميح إلى دورها ، بل إن فيها من الصرامة و الحدة ما قد منع أصحاب الشورى الستة فضلا عن الأمة في أن يعارضوا ما ينتج عن ذلك الإجتماع .

فالمصادر تشير إلى أن عمر قد أباح قتل أهل الشورى " فان اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف وان اتفق أربعة فرضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رؤسهما فان رضى ثلاثة رجلا منهم وثلاثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكوتوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقيين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس" (٣) وهذا غاية التهديد والإجبار .

١ ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ٣ / ٩٢٥ ، الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٣ / ٢٩٤ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ١٩١ .

٢ . نهج البلاغة ٣٥ .

٣ . الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٣ / ٢٩٣ ، وينظر : ابن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ٣ / ٩٢٥ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١ / ١٩١ .

فإذا كان أصحاب الشورى وهم من كبار الصحابة وممن مات النبي وهو عنهم راض ومن العشرة المبشرة بالجنة هذا بوصف عمر يهددوا بالقتل في حال المخالفة فكيف بعامّة المجتمع الإسلامي خصوصا وأن عمر قد عين فرقة إعدامات يقودها أبو طلحة الأنصاري قوامها خمسون شخصا مهمتها تنفيذ تلك الوصية .

إن هذا الاستعراض الإيجابي لأجواء بيعة الخلفاء الثلاثة والترويج للإجماع الذي كانت عليه بيعتهم ينفقد عندما يصل ابن تيمية إلى بيعة الإمام علي (عليه السلام) وأجوائها ، فهو يصف الجو المرافق لبيعة الإمام بقوله " وكان لأهل الفتنة بالمدينة شوكة لما قتلوا عثمان وماج الناس لقتله موجا عظيما وكثير من الصحابة لم يبايع عليا كعبدالله بن عمر وأمثاله وكان الناس معه ثلاثة أصناف صنف قاتلوا معه وصنف قاتلوه وصنف لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه فكيف يجوز أن يقال في علي بمبايعة الخلق له ولا يقال مثل ذلك في مبايعة الثلاثة ولم يختلف عليهم أحد بل بايعهم الناس كلهم لا سيما عثمان " (١) .

تعتبر تلك الطروحات مساع واضحة في محاولة تقويض للمشروعية من خلال ابراز صورة مغايرة للتأييد الذي كانت عليه بيعة الإمام برسم صورة و بعدا مجتزئا بعيد عن الواقع الذي كان عليه حال انتخاب الإمام علي خليفة للمسلمين ،فاين تيمية يدعى أن كثير من الصحابة لم يبايع الإمام و أن نسبة من رفض بيعة الإمام تتراوح بين النصف أو أقل أو أكثر المسلمين ، وهي أمور إذا اخضعناها للموروث التاريخي نجدها فاقدة لأدنى تأييد إذ لا مصدر يؤيد مثل هكذا كلام ، ولم يتفق التراث التدويني على هكذا أمر بل يناقضه ويعاكسه ، فالتراث الإسلامي يصف أجواء عاصمة الدولة الإسلامية أبان مقتل عثمان وكيف أن الناس أجمعوا على التوجه نحو الإمام والطلب منه أن يتولى أمور المسلمين ، وكان هذا الطلب موجه من كبار الصحابة كما نصت بذلك الروايات ، نعم توجد روايات من مختلفات سيف ابن عمر فيها مما قاله ابن تيمية (٢) .

١ . منهاج السنة ، ١ / ٥٣٤ .

٢ . ينظر عن بيعة الإمام و دور الصحابة فيها ، وروايات سيف ابن عمر عنها : الشرهاني ، التغيير في السياسة المالية ، ٥٠ . ٦٥ .

غير أن دراسة مثل هكذا روايات عليها مجموعة من المآخذ والتي أهمها : أن راويها هو سيف بن عمر وهو الذي سبق وأن اشرنا فيما سبق إلى تقييم العلماء لمروياته وكثرة الانتقادات التي طالته والتي انفرد بها إذ كان يشير في رواياته ويوحى إلى أن جل الصحابة لم يبايعوا الإمام وإنما كان الاختيار من الثوار ، والعجيب أن نفس هذه الروايات والتي وردت من خلال سيف بن عمر بعدم مبايعة الصحابة للإمام وأوردها الطبري ، قد اورد ما يناقضها في نفس تاريخه ونحن نعلم أن هذه منهجية سار عليها الطبري في سرد الأخبار ، إلا أن ما يهمنا هو الرواية التي تقول أن أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) قد توافدوا على الإمام وأشاروا إلى حرجة حالة الدولة الإسلامية بعد مقتل عثمان غير أن الإمام رفض قائلاً بعد أن طلبوا منه أن يكون خليفة " لا تفعلوا فاني أكون وزير خيرا من أن أكون أميرا ، فقالوا : لا والله مانحن بفاعلين حتى نبايعك ، قال ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفي ولا تكون إلا برضا الناس" (١)

يضاف إلى ذلك أن من الروايات ما يصرح بأن المهاجرين والأنصار قد أجمعوا على بيعة الإمام علي (عليه السلام) وكان رافضا حتى اختلفوا عليه مرارا ولم يقبل إلا بعد أن تعهدوا له بقبول الإجراءات التي يتخذها وتشير رواية أخرى أن الإمام كان مصرا على الرفض ولما وجد من الحاح الناس عليه خرج إلى السوق وإذا بالناس تتبعه حتى " بهشو في وجهه فدخل حائط بني عمرو بن مذبول وكان فيهم طلحة والزبير فقالا ابسط يدك فبايعاه" (٢)

يضاف إلى ذلك الروايات التي تشير إلى أن الانصار قد بايعوا الإمام بايعة الأنصار عليا "إلا نفيرا يسيرا منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة كانوا عثمانية فقال رجل لعبد الله بن حسن كيف أبى هؤلاء بيعة علي وكانوا عثمانية قال أما حسان فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع وأما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان وبيت المال فلما حصر عثمان قال يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين فقال أبو

١ . الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٣ / ٤٥٠ .، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١١ / ٩ .

٢ . الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٣ / ٤٥٠ .

أيوب ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان فأما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له^(١) .

ونحن نعلم أن الانصار يمثلون الثقل الأكبر في المدينة ، ومن ثم إذا أدركنا عدد المهاجرين بعدد الانصار لوجدنا أن النسبة تكون أكثر من نصف أو أكثر أو أقل من المسلمين الذين لم يبايعوا الإمام وهو أمر غير حقيقي ، نعم يمكن ان يقال أن مقصود ابن تيمية لم يكن منحصرًا على مسلمي المدينة غير أن تأكيده وقوله لم يبايعوا يعطي انطباعًا على أنه يقصد بداية خلافته (سلام الله عليه) .

ولو فرضنا أنه يقصد المسلمين في الأمصار الإسلامية الأخرى فالروايات تذهب إلى ما لا يؤيد تصور ابن تيمية ، فالبصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن وأغلب الأمصار الإسلامية أقرت بخلافة الإمام باستثناء الشام ، كون الثوار هم ممثلين لتك الأمصار واهل الحل والعقد فيها ، يضاف إلى ذلك أن كل الروايات التي تذكر بيعه الإمام لا نجد لها تشييراً إلا إلى أشخاص معروفين بأسمائهم هم من لم يبايعوا ولم تشر إلى ذلك العدد الذي يقوله ابن تيمية ، مما يعني أن الإجماع لم يكن مبتعدًا عن خلافة الإمام أو مقصورًا على خلافة الثلاثة ، وما يؤيد هذا الإجماع قوله (صلوات الله عليه) : " فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي ، ينثالون علي من كل جانب ، حتى لقد وطئ الحسنان ، وشق عطفائي مجتمعين حولي كربيضة الغنم "^(٢)، في إشارة إلى ازحام الناس على بيعته .

فالروايات لم تذكر إلا عدد قليل لم يبايع الإمام لتوجهات مختلفة من بينهم الأمويين الذين اتهموا الإمام علي (عليه السلام) بقتل عثمان ، أو ممن أراد الحصول على تنازلات مادية من قبل الخليفة لقاء بيعته فقد ورد أن منهم من طالب بأن يبقي الإمام (عليه السلام) على الأموال التي حصلوا عليها في خلافة عثمان لقاء تأييده وذلك بعد أن أعلن سياسته المالية الواضح والتي تقضي بالمساواة وإرجاع الأموال المنهوبة من بيت المال غير أن الإمام (عليه السلام) رفض ذلك، وأعلن بيانه الإصلاحية الأول " لو وجدته قد تزوج

١ . الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٣ / ٤٥٠ .

٢ . نهج البلاغة ، ٣٦ .

به النساء وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق" (١) .

و غيرهم من ذوي القناعات الشخصية التي ليس لها أدنى علاقة بأهلية الإمام لتولي الحكم مما يشير إلى أن الطعن بالشرعية عن طريق هذا الأمر هو محاولة يتبناها ابن تيمية معتمدا على قناعات وتوجهات مسبقة حكمت باتجاه فكري مغرق في التحامل على تلك الشخصية العظيمة ، أطرها بتجاهل متعمد للموروث التدويني الراجح ، مرجحا عليه روايات راويها سيف ابن عمر المقدوح والمجروح ، في مخالفة صريحة لمنهج يتظاهر اعتماده والذي يعتمد على خبر الثقة وصحة الإسناد ، بينما تغافل عن مثل هكذا مطلب واستعان بروايات المقدوحين .

إن فقدان الإنصاف في طروحات ابن تيمية الخاصة بخلافة الإمام علي (عليه السلام) واضحة حتى أشار أحد الباحثين إلى ذلك بقوله " إن أقل ما يمكن قوله عن منهج ابن تيمية في مقارنته بين علي وغيره كابي بكر وعمر وحتى معاوية انه لم يكن منصفا بل كان منحرفا حائدا عن العدل في الحكم بينهم فهو عند حديثه عن علي وتناوله له يجرده من كل فضيلة ويلصق به وبخلافته كل نقيصة ، بينما اقتصر حديثه عن غير علي على اختلاق الفضائل فقط وإخفاء الجوانب السلبية" (٢) .

رابعاً - آلية الترجيح و التجريح

شكلت آلية الترجيح لخلافة الثلاث ركناً من أركان فلسفة ابن تيمية في الطعن بخلافة الإمام علي (عليه السلام) إذ حاول أن يعطي خلافة الثلاث ميزات إستحالت بموجبها إلى خلافة متميزة بعيدة عن الطعن أو النقص الذي لم ينفك عن خلافة الإمام علي (عليه السلام) وبالتالي انعكست آثار هذا النقص على الدين والدولة ، و يمكن تبويب هذا الأمر تحت عدة عناوين أبرزها :

١ - خلافة العجز عن العدل

١ . نهج البلاغة ، ٤٦ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٢ / ١٧٩ .

٢ . التهامي ، موقف الإمام ابن تيمية من آل الرسول ، ٣٠ .

من المطاعن التي أخذت حيزا واسعا في تعريض ابن تيمية بخلافة الإمام هي دعوى العجز عن العدل الذي تبجح به كثيرا ، وقد أطلق هذه الدعوى في عدة مناسبات إلا أن أهمها التبرير لمعسكر معاوية بن ابي سفيان في رفضه لبيعة الإمام علي (عليه السلام)، وكذلك الخوارج^(١).

إذ شكل العجز و فقدان العدل و دعوى الظلم من اهم التبريرات التي أطلقها ابن تيمية لمعسكر معاوية في عدم بيعته للإمام علي (عليه السلام) ، لذا نراه يقول " وطالب الحق من عسكر معاوية يقول لا يمكننا أن نبايع إلا من يعدل علينا ولا يظلمنا ونحن إذا بايعنا عليا ظلمنا عسكره كما ظلم عثمان وعلى إما عاجز عن العدل علينا أو غير فاعل لذلك وليس علينا أن نبايع عاجزا عن العدل علينا ولا تاركا له "^(٢) .

إن ابن تيمية يحاول أن يزرق افكاره التي تتطوي على الضدية والقصدية الذاتية و يبطنها بلسان الغير ، أي أنه يعرضها على أنها أفكار وآراء المعاصرين للإمام وتقييماتهم له بالتالي لخلافته ، في محاولة ابتعاد عن تبعات الرأي المطروح أو لأعطائه بعدا شموليا و مساحة واسعة يمكن أن تترتب عليها مقبولية من أطراف أخرى قد تسايره على ما هو عليه ، إلا أن ابن تيمية لا يبتعد في أن يعتمد ذلك الغير من المنتمين للجهة التي عرفت بمعارضة الإمام علي (عليه السلام) والتي أظهرت عداوته ولم تستبطنها وهذا أمر غير مقبول وغير مرحب به في حالة التفكير السليم والموضوعي ، إذ لا يرتجى من الضد إلا أن يأتي بما فيه من الضدية تجاه عدوه فالاستعانة برأي المخالفين في نقض خلافة الإمام أمر قد أثار الباحثين مما عدوه خروج عن المنهجية الصحيحة في النقد^(٣) .

ومن جهة أخرى ان آلية الالتواء على الواقع التاريخي هو منهجية وفلسفة لم يناد بها ابن تيمية عنها طيلة منهاج السنة ، وهو هنا يعتمدها في بيان العذر لمن لم يبايع الإمام علي (عليه السلام) أو عارضه أو حاربه ، ليجعل الطعن بعدل الإمام هو المبرر لذلك او قد

١ . منهاج السنة ، ٣ / ٧٦ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٧٦ .

٣ . التهامي ، موقف الإمام ابن تيمية من آل الرسول ، ٢٧ .

يكون فيه من المنطقية الشيء الكثير لهؤلاء الخارجين على السلطة الشرعية المتمثلة بالإمام علي (عليه السلام) .

فهو يتغافل عن واقع معسكر معاوية ، فتاريخيا وفكريا لم يكن الظلم و العجز عن العدل هي الدعوى التي استباحوا من خلالها شرعية الخلافة بل أن التمويه والاستغفال الذي وقع فيه أهل الشام من قبل معاوية بن أبي سفيان بعد المستجد الإداري الذي قام به الإمام علي (عليه السلام) بإقالة حاكم الشام من ولايته والتي استمر في حكمها طيلة عهد عمر وعثمان والذي وصف فيها بأنه خليفة ثاني يأمر وينهى بمعزل عن الخلافة الرسمية في المدينة^(١) .

فمسارعة الإمام بعزل الحكام الفاسدين وكان على رأس القائمة معاوية بن ابي سفيان ، الذي لم يستغ أن يقال أو يعزل من امبراطوريته التي عاشت حالة من الحكم الكونفدرالي حسب التعبيرات السياسية المعاصرة ، لذا عمد إلى التغطية على ذلك الأمر ورفع شعار الثأر للخليفة عثمان مستغلا قرابته منه ، تلك الدعوى التي راجت ولاقت تعاطفا من أهل الشام خصوصا بعد وصول قميص عثمان إلى الشام ونصبه على منبر جامعها^(٢) ، والترويج لمقتله بحالة تراجيديه وصفها ابن الأثير بقوله : " فكان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع فإذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظا وجدا في أمرهم ثم رفعه فإذا أحس بفتور يقول له عمرو بن العاص حرك لها حوارها تحن ، فيعلقها"^(٣) ، هي الأمور التي جعلت أهل الشام بمواجهة الخلافة ، دون أن يكون هناك أدنى التفاته أو دعوى قد رفعت من الشاميين و اشتراطهم العدل وعدم الظلم في بيعة الخليفة الذي لم تصل سلطته اليهم ، كما أن رفض البيعة قد أتى في بداية خلافة الإمام علي (عليه السلام) دون أن يتبين بعد عجز الإمام عن اقامة العدل وإنهم كما يقول التهامي "لم يكن خروجهم نقمة على ممارسته

١ . الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٣ / ٣٧٧ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ١٥٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح النهج ، ٩ / ٢٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ١٨٩ .
٢ . الدينوري ، الأخبار الطوال ، ١٤٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٣ / ٤٦٤ ، ابن حبان ، الثقات ، ٢ / ٢٧٦ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ١٩٦ ، ٦ / ٣٢٢ ، ١٤ / ٣٨ .
٣ . الكامل في التاريخ ، ٣ / ١٩٢ .

في الحكم لانهم لم يمهلوه حتى يحكم ثم يحكموا عليه بل باغتوه بالخروج من أول الأمر" (١)

كما أن الذي أطلقه ابن تيمية لا يعبر في الحقيقة عن الحالة الفكرية أو المذهب الفكري الذي ينتمي إليه، والذي راج عنه في منهاج السنة وغيره من التراث المنسوب إليه، فهو يعطي انطبعا عاما على ضرورة أن تكون الرعية مطيعة للحاكم وإن رأته منه ما تكره وذلك الأمر يمكن استنتاجه بوضوح من خلال التمعن في كثرة ترديد الأحاديث والروايات المنسوبة للرسول والتي ترى ضرورة الصبر على طاعة الحاكم ومن خلالها صاغ رؤيته الفكرية للسلطان والتي تقول: "أنهم لا يوجبون طاعة الإمام في كل ما يأمر به بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة فلا يجوزون طاعته في معصية الله... فأهل السنة لا يطيعون ولاية الأمور مطلقا إنما يطيعونهم في ضمن طاعة الرسول صلى الله عليه" (٢)، "و على الرعية أن أن لا يمنعوا الراعي أو السلطان أو الأمير ما يجب دفعه إليه وإن كان ظالما" (٣) وكذلك يقول: "الإمام العدل تجب طاعته فيما لم يعلم أنه معصية، وغير العدل تجب طاعته فيما علم أنه طاعة كالجهاد" (٤).

ومن ثم فلماذا لا يكون أهل الشام مصداقا لذلك؟! ولماذا لا يكون الإمام مصداقا لذلك الحاكم؟!، ولماذا لا تكون تلك الدعوة موجه لأهل الشام ويكونوا جزءا منها ويصبروا على خلافة الإمام وإن رأوا بعض ما يكرهون منه؟! فلماذا تناساها ابن تيمية وبدأ يبرر للخارجين على الخلافة الشرعية، ألم يكن الإمام مشمولاً بمثل هكذا احاديث وهكذا تنظير، أم شروط الأمير أو الحاكم الوارد في الأحاديث لا تنطبق على الإمام علي (عليه السلام) وبالتالي أصبح الخروج عليه أمر مبرر !!! .

١ . موقف الإمام ابن تيمية من آل الرسول ، ٢٦ .

٢ . منهاج السنة ، ٢ / ٤٤٦١ .

٣ . السياسة الشرعية ، ٤٣ .

٤ . مجموع الفتاوى ، ٢٩ / ١٩٦ .

ثم انه ما موقف العلماء من الخارجين على الإمام أو الناقضين لبيعته وما موقفهم من خلافته ، هل ينسجم الموقف الإسلامي العام مما ذهب اليه ابن تيمية من التبرير لمثل هؤلاء ؟

أعتقد أن ابن تيمية لا يستطيع أن يقف بوجه الحالة الإسلامية التي قالت بشرعية خلافة الإمام علي (عليه السلام) ولم تقدح بها والتي صرحت بالموقف العلني الواضح من الخارجين عليه أو عدم المبايعين أو الناقضين لبيعته حتى ورد عن ابن حجر العسقلاني قوله : " ثبت أن أهل الجمل وصفين والنهروان بغاة وبدل عليه حديث علي أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين... والناكثين أهل الجمل لأنهم نكثوا بيعته والقاسطين أهل الشام لأنهم جاروا عن الحق في عدم مبايعته والمارقين أهل النهروان لثبوت الخبر الصحيح فيهم أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وثبت في أهل الشام حديث عمار : " تقتلك الفئة الباغية "(١).

كما يشهد بذلك أبو بكر بن خزيمة الذي يقول " فنشهد أن كل من نازع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته فهو باغ على هذا عهدت مشايخنا وبه قال بن إدريس رضي الله عنه "(٢) .

وكذلك قول البيهقي : "علي كان إماما حقا في ولايته ومقاتلوه بغاة وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير ... وأجمعوا على أن عليا كان مصيبا في قتال أهل الجمل وهم طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وأهل صفين وهم معاوية وعسكره... أما خروج من خرج على أمير المؤمنين رضي الله عنه مع أهل الشام في طلب دم عثمان ثم منازعته إياه في الإمارة فإنه غير مصيب فيما فعل "(٣) ..

١ . تلخيص الحبير ، ٤ / ٨٤ ، وينظر عن حديث قتال الناكثين والقاسطين والمارقين : الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٨ / ٤١٣ ، ٩ / ١٦٥ ، ٤ / ١٧٢ ، أبو يعلى الموصلي ، المسند ، ٣ / ١٩٤ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣ / ١١١٧ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٨ / ٣٣٨ .
٢ . الحاكم النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، ٨٤ ، البيهقي ، الاعتقاد والهداية ، ٥٠١ .
٣ . الاعتقاد والهداية ، ٥٠١ .

أما ابن العربي فقد قال: "فتقرر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين أن علياً رضي الله عنه كان إماماً ، وأن كل من خرج عليه باغ وأن قتاله واجب حتى يفيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح" (١) ، ومن الكلام السابق يتبين أن من أسباب شرعية قتال أهل الشام هي عدم البيعة وأن الإمام لم يكن مخطأً

ولم تكن فئة الشام هي الفئة الوحيدة التي استغلها لبيان الطعن في خلافة الإمام علي (عليه السلام) ، بل تعداها ليوسع دائرة ذلك الادعاء ليشمل أصناف أخرى مجمل القول عنها بالنص " لكن نصف رعيته يطعنون في عدله فالخوارج يكفرونه وغير الخوارج من أهل بيته وغير أهل بيته يقولون إنه لم ينصفهم وشيعة عثمان يقولون إنه ممن ظلم عثمان وبالجملة لم يظهر لعلي من العدل مع كثرة الرعية وانتشارها ما ظهر لعمر ولا قريب منه" (٢)

إن لغة التعميم وطرح الأمور على عواهنها أمر غير مقبول إذ كان علي ابن تيمية أن يعرفنا عن نصف رعية الأمام التي ادعى أنها تتنادى بالعدل و تطلبه من تلك الخلافة ولم تحصل عليه ، وهل من مصدر قد ذكر ذلك أو أي احصاء دقيق صرح به !!؟ ، إن ظاهرة عدم التوثيق أو بالأحرى التهرب من التوثيق هي أمر قد لا يكون مألوفاً في المؤلفات التي يراد منها إلقاء الحجة على المخالف الفكري ، ولكن وجودها عند ابن تيمية وفي مواضيع مثل هكذا أمر تجعلنا نشك بانعدام مصادرها ، ويمكن ان يستنتج منه إنه دليل فقدان الحجة والنقل الموثوق أو بالأحرى انعدامه و إلا لو كان موجوداً لما أحجم عن إيرادها ولو حتى تليقاً لا حقيقة ، ومن ثم انعدام التوثيق يؤدي إلى اليقين الذي لا ينتابه الشكل من أن الطرح الموجود لا يمثل إلا إملاءات لا تتحدر و تندرج إلا تحت التدليس و الذاتية التي لم تعتمد على ما يمكن ان يؤيدها من النقل أو العقل وإنما هي وليدة لتلك النبوة التحاملية التي اعتمدت روح النقض والمحااجة والمجادلة بدلاً من الروح التي تجعل من الحقيقة هي المرام والهدف المقصود .

١ . أحكام القرآن ، ٤ / ١٥٠ ، القرطبي ، التفسير ، ١٦ / ٣١٨ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٢٩ .

كما أن ابن تيمية يستشهد بالخوارج في ذلك الاستدلال وهو أمر في غاية الانحدار والمجانبة للمقبولية لأمر أبرزها، أن الخوارج هم الطرف المناهض لخلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وكان عليه و توخيا للإنصاف أن يستشهد بكلام أو آراء المقبولين من الناس كأن يستشهد بآراء المجتمع الذي عاصر الإمام (عليه السلام) من الصحابة أو التابعين أو العلماء الذين تحدثوا عن الإمام (عليه السلام) في شتى المجالات ، فالعلماء وعلى مختلف انتمائهم المذهبي لم يذكروا أن المجتمع ابان خلافة الإمام قد اشتكى من ظلمه (سلام الله عليه) ، إذ لم يترجموا له إلا بعبارات الثناء و التمجيد والإجلال والإكرام ، والعجيب أن ابن تيمية نفسه يعتبره من الخلفاء الراشدين المهددين^(١) ، فكيف يكون كذلك و نصف رعيته تشتكي من ظلمه ، إنه تناقض غير مقبول و ازدواجية واضحة في الطرح والتقييم!!! .

ثم أن ابن تيمية يعطي للخوارج وزنا وأهمية في بيان مكانة خلافة الإمام علي وشخصيته وهو امر لم يكن قد تعاطاه أحد من العلماء من قبل او استدل به على فساد خلافة الإمام علي (عليه السلام) .

بل على العكس حتى هو نفسه ، وعلى الرغم من طعنه للغالبية الكبرى من جوانب شخصية الإمام وخلافته إلا أنه يعتبر أن حربه معهم هي الحرب الوحيدة التي كان فيها موافقا للشرعية لامتلاكه نصا من النبي بذلك^(٢) ، وهذا التفرد من جهة والتناقض من جهة أخرى ينبأ عن حقيقة الحقد الذي طغى عليه حتى جعله يجتهد في الطعن بأمر لا يمكن أن تأتي او تخطر على قلب احد غيره أو أن يناقض نفسه في الموقف الفكري الواحد ، مما يؤكد مقولة ابن حجر الهيتمي عندما قال " ابن تيمية عبد أدله الله واخزاه ومن ابن تيمية حتى يقام لكلامه وزنا"^(٣) ، وفعلا فهو في مثل هذا لا يقام لكلامه وزنا كونه لا ينم إلا عن شخصية تحاملية في داخلها تناقضية في علميتها ، خصوصا فيما يخص الإمام علي عليه

١ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٢٩ .

٢ . منهاج السنة ، ٤ / ٦٧٨ .

٣ . الفتاوى الحديثية ، ١ / ٨٢ . ٨٣ .

السلام ، إذ أنه وفي مواقف أخرى خارج منهاج السنة يشن حملة شديدة على الخوارج وضلالهم وكفرهم وشرعية قتالهم من قبل الإمام علي (عليه السلام)^(١) .

واللافت للنظر أنه كيف يقول بضلالهم وشرعية الحرب التي شنها الإمام عليهم ومن ثم يعطي لكلامهم وزنا في بيان فساد خلافة الإمام (عليه السلام) ، هذا إن كان لكلامهم المزعوم حقيقة وجودية ، أما إذا كان مجرد إدعاء شأنه شأن سابقه فالأمر أدهى و أمر وإنها لأحدى الكبر .

كما أننا حين نستعرض حال الخوارج وسبب خروجهم على الإمام (عليه السلام) نجد ان إدعائهم الجور و فقدان العدل لم يكن هو المسبب لذلك الخروج ولم يصرحوا به ، بل أن الأمر لا يمت بصلة لهذا الموضوع مما يكشف أن ابن تيمية ينحدر في طروحاته ويستلها من الخيال ، فالمصادر تتعرض وباستفاضة وإجماع أن بداية خروجهم كان بعد القبول بالتحكيم وأنهم اتهموا الإمام بالذنب لأنه قد قبل التحكيم إذ روي " أن عليا لما أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج زرعة بن البرج الطائي و حرقوص ابن زهير السعدي فدخلا عليه فقالا له لا حكم الا الله فقال علي لا حكم إلا الله فقال له حرقوص تب من خطيبتك وارجع عن قضيتك و اخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال لهم علي قد أردتكم على ذلك فعصيتموني وقد كتبنا بيننا وبينهم كتابا وشرطنا شروطا وأعطينا عليها عهدنا ومواثيقنا وقد قال الله عز وجل " وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ " (٢) فقال له حرقوص ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه فقال علي ما هو ذنب ولكنه عجز من الرأي وضعف من الفعل وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه فقال له زرعة بن البرج أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عز وجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه " (٣) .

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٦٧٨ .

٢ . سورة النحل ، الآية : ٩١ .

٣ - الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٤ / ٣٥ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٣٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ٣١٥ ، ابن خلدون ، التاريخ ، ٢ / ١٧٨ .

مما يعني أن خروجهم عن الإمام لسبب يخالف ما نظر له ابن تيمية وأدعاه ، وإنما كان لشبهة فكرية واعتقادية دفعتهم إلى القول بذنب الإمام (عليه السلام) وإصرارهم على مخالفة ما تعهد به لمعاوية ، و أن الإدعاء المطروح ما هو إلا كذب وامتهان فاضح قام بها ابن تيمية لتبلي نشوة القذح بسيد العترة وأمير المؤمنين سلام الله عليه .

ثم أننا لو تسائلنا عن العدل الذي افتقده الخوارج في خلافة الإمام علي وقارنااه بالمدة التي تلت خلافته ، فالإمام وعلى طيلة مسيرة خلافته المباركة لم ينل الخوارج منه أي ظلم ، بل أن طابع الإنصاف والمسالمة يكاد يكون هو الغالب على تعامله معهم ، فقد أعطاهم حرية التكتل السياسي والمعارضة السلمية بشرط أن لا تمس أمن وكيان المجتمع الإسلامي ولا تضعف هيبة الدولة أو تتعرض لها ، ولم يمنعهم من ممارسة المعتقد الديني الذي اعتقدوه ، ولم يقطع عنهم استحقاقهم المالي المعين لهم من بيت مال المسلمين ، لذا ورد عنه (صلوات الله عليه) أنه قد تعرض لأكثر من صورة من صور التطرف الخارجي المعارض غير أن قابله بالرد الذي يتناسب مع نوع المعارضة فمن تلك الصور أن أحد الخوارج نادى في ظهر أمير المؤمنين وهو يصلي " لئن أشركت ليحبطنَّ عمَّاك " (١) .

وفي أخرى قام إليه أحد الخوارج قائلاً : " لاحكم إلا الله ، ثم قام آخر فقال : لاحكم إلا الله ، ثم قاموا من نواحي المسجد يحكمون الله . فأشار عليهم بيده : اجلسوا . نعم ، لاحكم إلا الله ، كلمة حق يبتغى بها باطل ، حكم الله ينتظر فيكم . ألا إن لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا : لن نمنعكم مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، ولا نمنعكم فيما كانت أيديكم مع أيدينا ، ولا نقاتلكم حتى تقاتلوا . ثم أخذ في خطبته "وفي رواية " إنا لا نمنعهم الفياء ولا نحول بينهم وبين دخول مساجد الله ولا نهيجهم ما لم يسفكوا دما وما لم ينالوا محرماً " (٢) .

١ . سورة الروم ، الآية : ٦٠ .

٢- البلاذري ، انساب الأشراف ، ٣٥٥ الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٤ / ٥٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٣٣٤ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٢٦٩ ، ١٧٨ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣١٢ / ٧ .

وحتى في نهاية حكمه لم يسمح بقتالهم إنصافا وعدلا فهو القائل " لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه يعني معاوية وأصحابه " (١) فإذا متى انتابهم ومسهم جور الإمام علي عليه السلام حتى يكون ذلك هو السبب في خروجهم عليه ، ولو قرنا ذلك الموقف من الإمام بما فعله معاوية بن ابي سفيان لكان الفرق واضحا فمعاوية لم يسمح لهم بأن يبقوا في جزيرة العرب وشن عليهم حربا ابتدأها من أول يوم دخل فيه الكوفة سنة ٤١ هـ ، إذ تشير المصادر إلى أن معاوية تشدد في أمر خروج الكوفيين على الخوارج فلم يسمح لمعتذر منهم ولم يقبل عذر أحدهم ، لذا خرجت الكوفة طالبة مناجزة الخوارج ، ولم تحفظ لهم هوية المعارضة السلمية او الحقوق التي حفظت لهم زمن الإمام علي (عليه السلام) .

لقد غيب ابن تيمية تلك الصورة ولم تكن مستحضرة في مدونته التي كان من المفروض أن لا تحابي أو تتعافل و أن تستعرض الأمور على حقيقتها ، إن عليا أنسانا لم يكن ليسلب نملة جلب شعيرها فكيف بالمسلمين والمال مال الله وهم عبيده .

ثم أن زج اهل البيت وجعلهم من الشكاة من عدله (صلوات الله عليه) هو افتراء واضح وفاضح - وكأن الله يريد أن يفضح ابن تيمية به - فما هو إلا استجداء والتمسك بمواقف غير حقيقية أو موجود غرضها احكام الطعن على خلافة الإمام وعدله ، فابن تيمية لم يحدد من أهل البيت قد طعن بالخليفة وعدله ، فمع توسيع دائرة أهل بيت الرجل ، هل كان أولاده أو زوجاته أو بني عبد المطلب أو الهاشميين قد طعنوا الإمام(عليه السلام) بالجور ومتى كان ذلك !!! يكفي ان الطالبيين وبشكل عام كانوا من المؤيدين لخلافة الإمام(عليه السلام) وهم ركن من أركانها وكانوا يؤمنون بشرعيتها ولم يرد أنهم قد عارضوا في أمر مثل هذا ، بل أن ابن تيمية ومع ادعاءه لهذا الأمر الخطير كان عليه أن يشير صراحة إلى تلك الشخصية التي طعن على الإمام(عليه السلام) عدله ومصدر تلك المعلومة ، ومكانة روايتها .

١ . ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٥ / ٩٨ .

لكن الملاحظ أن ابن تيمية في هذا الإدعاء وما سبقه لا يتشدد كثيرا في التعريف على مدى مقبولية المصدر الذي استقى منه المعلومة مما قد يثير تساؤلا عن سبب ذلك؟! ويبدو أن مرده لشيء واحد لا غيره هو فقدان المرتكز الذي استقاها منه و انعدام وجودها في تراث المسلمين وإنما هي من المختلقات التي لا حقيقة لوجودها ، فهو لم يكتف أن يعتمد على مختلقات غيره ، حتى بادر هو بنفسه إلى تلك الآلية التي تكشف وبضرس قاطع مدى التلفيق الذي استعان به ابن تيمية و أنه لم يدخر أي وسيلة لخلق رؤية تجريحية لخلافة الإمام علي (عليه السلام) وشخصيته ، في محاولة منه لحجب شمس في رابعة النهار بغرباله الممزق الأخرق .

ويبدو لنا أن منهج الإقلاب هو منهج قد التفت إليه ابن تيمية في هذه الدعوى واستعمله ، فهو قد حاول نسج موقف لأهل البيت (عليه السلام) من عدالة الإمام علي (عليه السلام) مستغلا رواية عقيل ورغبته في الاستزادة من العطاء ليقوت به أطفاله ولما لم يجد ذلك عند الإمام توجه نحو معاوية ، وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا تدل على ما ذهب إليه ابن تيمية بل على العكس تثبت العدالة الحقيقية عند الإمام (سلام الله عليه)^(١)، إضافة إلى ما فيها من مغالطات ، إلا أن ابن تيمية وهو المتصيد للنصوص وجد في نص تلك الحادثة ضالة له فقلبها بما لا تتم عنها في تدليس واضح وصريح .

ثم أننا لو تسائلنا عن معنى العدل المفقود من خلافة الإمام (عليه السلام) هل العدل في الحكم ، أم العدل المادي؟! .

يبدو أن كلا الحالتين أمر غير صحيح ، إذ محال أن يكون الجور في الحكم هو المقصود كون الإمام (عليه السلام) كان قاضيا بل أفضى الصحابة بأعتراف عمر إذ ورد عنه أنه قال " أقضانا علي " ^(٢) ، فإذا كان الجور يصدر من أفضى الصحابة في الأحكام فما بالك بغيره ، ثم أن واقع الحال لا يؤيد وقوع الخلل في الحكم الصادر من الإمام علي

^١ . ينظر : نهج البلاغة ، ٢١٨ . .

^٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٣٣٩/ ٢ ، البخاري ، الصحيح ، ١٤٩ / ٥ ، الطبراني ، المعجم الأوسط ، ٣٥٧ / ٧ ، ابن حيان ، أخبار القضاة ، ٨٨ / ١ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٦٨ / ١ .

(عليه السلام) لما حصل له من ضمانات تطمينية من قبل الرسول بعدم ولوج الزلل إلى أحكامه ، إذ ورد عن الإمام علي أنه قال " بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال فقلت يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن منى وأنا حديث لا أبصر القضاء قال فوضع يده على صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال فما اختلف علي قضاء بعد أو ما أشكل علي قضاء بعد" (١) .

أما مسألة الجور المادي ، فإن هذا الأمر منعدم الوجود في سيرة الإمام علي (عليه السلام) فالتراث المنقول عنه وتجربته العملية في الحكم تشهد له بذلك ، حتى صور لنا ذلك بقوله " والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهدا أو اجر في الأغلال مصفدا أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظم وعاودني مؤكداً وكرر على القول مردداً فأصغيت إليه سمعي فظن فقال إنني أبيع ديني واتبع قياده مفارقاً طريقتي فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من المها وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له تكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها انسانها للعبه وتجرتني إلى نار سجرها جبارها لغضبه أتئن من الأذى ولا أتئن من لظى وأعجب من ذلك طارق طرقتنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنتتها كأنما عجنت بريق حية أو فيئها فقلت أصله أم زكاة أم صدقة فذلك محرم علينا أهل البيت فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هديه فقلت هبلك الهبول أعن دين الله اتيتني لتخدعني أمختبط أم ذو جنه أم تهجر والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم

١ . احمد بن حنبل ، المسند ، ١ / ١١١ ، الحاكم النيسابوري ، المستدرک ، ٣ / ١٣٥ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، ٤ / ٢٢ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٥ / ١٣٤ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٨ / ٥٢ .

جرادة تقضمها ما لعلى ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين" (١) .

كما أن برنامجه السياسي كان متوخيا العدل المادي على أتم وجه فهو قد رفض سياسة التفريق في العطاء على أساس السابقة والفضل ، واعتمد المساواة حتى أنه قد عوتب على ذلك فما كان منه إلا أن رد على المعاتبين بقوله "أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه ! والله لا أطور به ما سمر سمير ، وما أم نجم في السماء نجما ! ولو كان المال لي لسويت بينهم ، فكيف وإنما المال مال الله" (٢) هذه العدالة كانت واضحة حتى أجاج بسببها المعارضة له من المتضررين (٣) ، فلم يستسغ حتى كبار الصحابة بمبدأ التساوي الذي اعتمده الإمام لذا بطنوا تلك الاعتراضات وهذا الرفض بخلق المشاكل و ارباك الدولة والخروج عليه (٤) .

تلك العدالة كان الإمام مدركا لنتائجها ، لذا ذكرت المصادر أنه خاطب المنتفعين من السياسة المالية السابقة لعهد بقوله : " ألا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار ، وفجروا الأنهار ، وركبوا الخيول الفارهة ، واتخذوا الوصائف الروقة ، فصار ذلك عليهم عارا وشنارا ، إذا ما منعتم ما كانوا يخوضون فيه ، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون ، فينقمون ذلك ، ويستتكرون ويقولون : حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا ! ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته ، فإن الفضل النير غدا عند الله ، وثوابه وأجره على الله ، وأيما رجل استجاب لله وللرسول ، فصدق ملتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده ، فأنتم عباد الله ، والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل فيه لأحد على أحد ، وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء ، وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا

١ . نهج البلاغة ، ٢١٨ .

٢ . نهج البلاغة ، ١٠٩ .

٣- نجمان ، تطور الأوضاع الاقتصادية ، ٢٨ ، العيساوي ، النظم الإدارية والمالية ، ٣٤٠ . ٣٤٣ ، ذكرى

عواد العامري ، الفكر الإقتصادي في نهج البلاغة ، ١١٠ .

٤ . الشهراني ، التغيير في السياسة المالية ، ٧٢ . ٧٣ .

للمتقين أجرا ولا ثوابا ، وما عند الله خير للأبرار . وإذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا ، فإن عندنا مالا نقسمه فيكم ، ولا يتخلفن أحد منكم ، عربي ولا عجمي ، كان من أهل العطاء أو لم يكن ، إلا حضر ، إذا كان مسلما حرا . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ثم نزل " (١) .

حتى وجد مجموعة من الصحابة أن هذه السياسة العادلة لا تروق لهم لذا نبذوها وعارضوها ، وقد أشار ابو جعفر الإسكافي إلى حقيقة تلك السياسة التي اعلنت فيها المساواة وأثرها على الإمام بقوله " وكان هذا أول ما أنكروه من كلامه عليه السلام ، وأورثهم الضغن عليه ، وكرهوا إعطائه وقسمه بالسوية " (٢) ، لقد أصبحت تلك العدالة واقعا عمليا وطبقها بدون استثناء ، وهو أمر غير مستساغ فبدأت الاعتراضات لا للجور بل للعدالة التي تسالم المنتفعون في المجتمع انذاك على ما هو ضدها ، ومن ثم فمسألة العدل المادي والجور في الحكم هي أمر ليس له من وجود أو تطبيق عملي في حياة علي (عليه السلام) ولو كان هناك نموذج واحد قد زج في الكتب لما توانى ابن تيمية أن يؤسس عليه وي طرحه كدليل على الجور ولكنه فاقد لذلك المثال .

ثم أنه كان من المفروض أن تكون هناك وحدة موضوع بين المخالفين للخلفاء وأن يخضع الخلفاء إلى نفس المعايير في مسألة الجور لا أن يشرع جور الإمام (عليه السلام) - الخيالي - في الخروج عليه ، ولا يسمح للشاكين من جور الخلفاء الباقين ويطالبوا بالصبر على الجور ، إذ لم يخضع كلا من خلافة الإمام (عليه السلام) وخلافة ابي بكر إلى نفس الموازين.

فهو يرى أن الواجب على الزهراء أن تصبر لو كان ابو بكر قد ظلمها فلماذا لم يطالب هؤلاء بالصبر إذا كان الإمام قد ظلمهم والنص واضح وصريح في ذلك فهو يقول : " فلو قدر أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا ظالمين مستأثرين بالمال لأنفسهما لكان الواجب مع ذلك طاعتهم والصبر على جورهما ثم لو أخذ هذا القائل يقدر في علي وفاطمة

١ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧ / ٣٧ .

٢ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٧ / ٣٧ .

رضي الله عنهما ونحوهم بأنهم لم يصبروا ولم يلزموا الجماعة بل جزعوا وفرقوا الجماعة وهذه معصية عظيمة لكانت هذه الشناعة أوجه من تشنيع الرافضة على أبي بكر وعمر^(١)

ونحن نتساءل لماذا تطالب الزهراء بالصبر على الجور و لا يطالب الأمويون بذلك ، ولماذا يكون عدم الصبر فيه شناعة على الإمام علي والزهراء (سلام الله عليهما) وليس فيه شناعة على الأمويون ، ولماذا يكون ذلك خروجاً على الجماعة وتفريقاً لها ولا يكون رفض معاوية البيعة للإمام وتجيئته الرأي العام ضد الخليفة الشرعي خروجاً على الجماعة وتفريقاً لها؟؟!! .

إن الهوى الأموي والتعصب والقدح ولغة الحجاج البعيدة عن الواقع هي المستحكمة على ابن تيمية حتى جعلته يقع في المتناقضات اللامتناهية في الموضوع المطروح في كلا الحالتين ، فهو موضوع واحد ولكن جعله على طرفي نقيض تماماً ولم تكن هناك أدنى معيارية في ذلك الطرح .

والمستغرب كثيراً أنه يستبيح لنفسه التماهي والتغافل عن عدل الإمام في حين يروج للعدل الذي كان عند عمر فهو يرى أن عمر " كان عند المسلمين كالميزان العادل الذي لا يميل لا إلى ذا الجانب و لا ذا الجانب "^(٢) .

إنها آلية الترجيح التي لم تعتمد على بصيص من الموضوعية ، هي أمر واضح في فلسفة ابن تيمية ، فكم من حقيقة قد غيبتها لا لشي إلا لبيان ذلك الترجيح الذي لا يرتقي إلا أن يكون مدع ، فواقع عمر لا يدل على تلك العدالة ، ففي الحكم نجد أن هناك مجموعة

١ . منهاج السنة ، ٢ / ٦٧٣ . ٦٧٤ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٥٤٠ .

من الأحكام كانت قد خالفت العدل وبنات عنه لولا أن تداركها الإمام (عليه السلام) حتى كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن (١) .

أما العدل المادي فسياسة التفريق والتفاضل لهي أوضح الأدلة على أن عمر لم يكن ميزانا عند المسلمين ، فقد مال عمر كثيرا على مجموعة المسلمين بعد أن أثر في سياسته المالية مجموعة من المسلمين على حساب حرمان آخرين ، كيف يكون ميزانا وهو قد أعطى لصحابة أكثر من عشرة آلاف ، في حين أعطى آخرين مئتان وخمسون أو ما دون ذلك (٢) .

أتعد تلك السياسة عادلة وهي كالميزان ، أم تلك التي ساوت وأعطت بالتساوي ، أكون ذلك ميزانا للعدل وابن تيمية نفسه يذكر أن الصحابة قد اعترضوا على سياسة عمر واتهموه بعدم العدل وقد ذكر منهم عيينة بن حصن ، إذ روى البخاري عن ابن عباس قال قدم عيينة بن حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من نفر الذين يدينهم عمر وكان القراء أصحاب مجالس عمر كهولا كانوا أو شبانا فقال عيينة لابن أخيه يا ابن أخيك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه فقال سأستأذن لك عليه قال ابن عباس فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به " (٣) .

فمثل هذا النص يدل على نموذج معين ومحدد عن اعتراض الناس على عمر واتهامه بالجور ، وهو نموذج لم يكن باستطاعته أن يأتي بما يشابهه عن الإمام علي وإنما استخدم لغة التعويم وخلق دعوى دون دليل ، ثم أن مثل هذا الاتهام بعدم العدل لا يستطيع

١ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ٢ / ٣٣٩ ، البلاذري ، أنساب الأشراف ، ١٠٠ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٣ / ١١٠٣ ، المزي ، تهذيب الكمال ، ٢٠ / ٤٨٥ ، ابن مردويه ، المناقب ، ٨٩ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٤٢ / ٤٦ ، ابن الأثير ، اسد الغابة ، ٤ / ٢٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٧ / ٩٧ ، ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ١٣ / ٢٨٦ ، الإصابة ، ٤ / ٤٦٧ ، تهذيب التهذيب ، ٧ / ٢٩٦ .

٢ . ينظر عن تفاصيل ذلك : الشرهاني ، التغيير في السياسة المالية ، ١٩٧ . ١٩٩ .

٣ . البخاري ، الصحيح ، ٥ / ١٩٨ ، وينظر : منهاج السنة ، ٣ / ٥٣٩ .

ابن تيمية أن ينكره كونه قد أتى في صحيح البخاري الذي له من القدسية عند ابن تيمية الشيء الكثير ، لكن شاء الله أن يورده في مقام ليس له علاقة بموضوع العدل وانما كان في استدلاله من أن عمر كان اذا احتج عليه بالكتاب والسنة يرجع ، الله أكبر ما أعجبك يا علي ابن أبي طالب ما كاد لك الكائدون إلا وأظهر الله نوره ولو كره الكافرون .

فالعدل المزعوم لعمر قد قدح من ابن تيمية نفسه دون أن يلتفت لما قد سطره في منهاجه ، إنه وقوع في التناقض الذي لا جابر له فالرواية صحيحة وعلى شرط البخاري وإلا لم يضمنها في صحيحه ، لكن هذا التناقض هو سمة مميزة لحالة ابن تيمية (العلمية) وهي أمر قد شخصه العلماء من قبل حتى إننا نجد السبكي يشير إلى ذلك صراحة بقوله " أنه لم يدع دعوى إلا نقضها ولا اطرد قاعدة إلا هدمها^(١) .

يضاف إلى ذلك أن هناك وضوحا ذو تجلي لا يحجبه ابن تيمية ولا غيره ، فعدل أمير المؤمنين قد وصل إلى أبعد الغايات التي قد لا يلتفت إليها أي أحد ، فالمحاحة على عهده لمالك الأشتر تعطينا تصورا عن مدى العدل الذي وصل إليه ، فهو يشير على مالك أن لا يكتف بالمساواة المادية بل يرى أنها أمر بديهي يتوجب على والي الأمر أن يتحلى بها ، ولكن يأخذه إلى عمق العدالة التي تستوجب منه أن يساوي ويعدل حتى في نظرتيه لرعيته بمختلف الجوانب لا جانب المادة فقط^(٢) .

٢. المعيار الإداري

كان التغيير في المعالم الإدارية مرافقا للتغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية ، ففي الوقت الذي اصبح فيه أفراد المجتمع الإسلامي سواسية ، كان على الإمام أن يولى من يعتقد بهذه النظرة الإنسانية والدينية ، ولما كان الولاة السابقين ينتمون لإدارة قد لا تتفاعل مع

١ . طبقات الشافعية ، ٦ / ١٨١ .

٢ - نهج البلاغة ، ٩٦ . ، ونتيجة لذلك العدل الذي تملأ في هذا العهد فقد ذكر الدكتور الشرهاني في كتابه ، السياسة المالية ، ٣٤٠ ، أن كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة أوعز إلى اللجنة القانونية في المنظمة من أجل مناقشته ، ثم صوتت عليه الدول واعتمد مصدرا من مصادر التشريع ، وقد كان كوفي عنان يقول : "يا مالك الناس إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق هذه العبارة يجب أن تعلق على كل المنظمات ، وهي عبارة يجب أن تتشدها البشرية () .

المعطيات المستجدة و أكيدا لا تؤمن بها ، إضافة إلى كونهم عنصر من عناصر الاضطراب الذي ساد في كل مفاصل مؤسسة الخلافة ، أعلن الإمام (عليه السلام) سياسته الإدارية الجديدة والقاضية بعزل عناصر الاضطراب تلك ، فكان ولاية الأمصار الأكثر وضوحا والأكثر استهدافا في تلك التغييرات ، ومن بين من طالتهم تلك التغييرات والي الشام الأموي معاوية بن أبي سفيان .

ابن تيمية ذلك الموغل في الهوى الأموي لم يستطع إلا أن يروج لخطأ ذلك الإجراء الإداري ، إذ يمكن ترتيب اعتراضه على ذلك من خلال الطعن بعزل معاوية .

إذ كان عزل معاوية غير منسجم مع الحالة الإدارية التي كانت متعارفة في الدولة الإسلامية ، فحتى مع قوة حكومة عمر وعزله ومحاسبة للولاة لم نجده يتعرض لمعاوية أو يعزله ، ولكن عندما تولى الإمام (عليه السلام) وجد لزاما عليه أن يقوم بذلك العزل المستحق ، إلا ان نظرة ابن تيمية لهذا الإجراء كانت بالضد واعتبرها من المساوي في خلافة الإمام (عليه السلام) .

هذه المساوي جاءت نتيجة لرؤيته أن معاوية لا يستحق العزل وبني امية قد تسنموا عدة مناصب في عهد الرسول (صلى الله عليه و آله) والخلفاء ولم يفكروا في أن يعزلوهم عن الجهاز الإداري الحكومي^(١) ، كما أن هذا العزل لم يكن منسجما مع معايير الكفاءة "إذ كان معاوية خير من كثير ممن استتابه علي فلم يكن يستحق أن يعزل ويولى من هو دونه في السياسة"^(٢) .

ويشير إلى أن العزل قد جاء برؤية تفردية قام بها الإمام (عليه السلام) فهو لم يأخذ بقول الصحابة "وله شهرا وأعزله دهر"^(٣) ، ثم أنه ولكي يحكم اعتراضه فإنه يجعل ما

١ . منهاج السنة ، ١ / ١٢٠ . ١٢١ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ١٢١ .

٣ . منهاج السنة ٣ / ١٢١ . ١٢٢ ، وينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٠ / ٢٣٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٨ / ٣٣٠ .

قام به الإمام (عليه السلام) هو اجتهاد ، هذا الافتراض يتوخى منه نتيجة صرح بها بقوله " فإذا قيل إن عليا كان مجتهدا في ذلك قيل وعثمان كان مجتهدا فيما فعل"^(١)

إن مقتضيات الواقع الفكري والسياسي والديني كانت تحتم على ابن تيمية أن لا يقدم مثل هكذا اعتراض او يجعله جزء من فلسفته لما فيه من مغالطات واضحة أهمها :

(١) إن الإمام (عليه السلام) هو الخليفة الشرعي وهو الأعرف بمصلحة الأمة وإدارة شؤون الدولة ولا يعد ذلك العزل مخالفا للمهام التي تحددها نظرية المدرسة التي ينتمي لها ابن تيمية لولي الأمر فهي تبيح له التصرف بأمر الدولة كيفما يرى المصلحة وترى أن ولاة الأقاليم هم خلفاء الإمام^(٢) .

بل انها تتعدى ذلك وتجعل أن من الواجب على الإمام "استكفاء الامناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الاعمال ويكله اليهم من الأموال ، لتكون الأعمال مضبوطة والأموال محفوظة"^(٣) ، وهذا الأمر لا يختلف معه ابن تيمية فهو يرى أن على الأمة أطاعة الولي والإمام والسلطان وأن يؤدوا حقه عليهم حتى وإن كان جائرا^(٤) ، ونعتقد أن تولية العمال هو جزء لا يتجزء من مهام الخليفة ، فلماذا لا ينطبق ذلك على إمامة الخليفة علي (عليه السلام) إذا كان حسب تعبير ابن تيمية من الخلفاء الراشدين المهديين .

(٢) ثم نتساءل هل من المقبول أن يباح للخليفة ان يولى ولا يباح له أن يعزل أو يؤاخذ بذلك العزل ، لا شك أنه أمر يتناقض مع مكانة الخليفة ورئاسته العامة على أمور الدين والرعية^(٥) .

١ . منهاج السنة ، ٣ / ١٢٢ .

٢ . ابو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ٢٩ .

٣ . ابو يعلى ، الأحكام السلطانية ، ٢٧ . ٢٨ .

٤ . منهاج السنة ، ٢ / ٤٤٦١ ، السياسة الشرعية ، ٤٣ ، مجموع الفتاوى ، ٢٩ / ١٩٦ .

٥ . الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ٥ .

٣) يضاف إلى ذلك أن هذا العزل كان تلبية لمطلب أغلب الصحابة والثوار ، إذ ورد أن من بين اهم المطالب التي عرضت على عثمان ليليبها ورغب المجتمع الإسلامي آنذاك فيها هي استبدال الولاية بآخرين من ذو الأمانة و الكفاءة^(١) .

غير أنه وبعد التردد الحاصل منه لم يقم بتلبية ذلك المطلب ، إلا أن الإمام وجد من المنطقية أن يجعل ذلك المطلب نصب عينيه خصوصا وأن المطالبين كانوا يشكون من الولاية الذين قد فقدوا الثقة أو أهلية الحكم لتماديهم عن المهام الملقاة إليهم وخروجهم عن الدين ، فضلا عن ذلك فإن مراعاة تغير الولاية هو عامل يساعد على تهدأت الأمصار التي كانت تعيش حالة من الغليان التي انتجتها سياسة الولاية السابقين.

٤) إن طول وجود معاوية في الشام ليس مبررا لبقائه واليا ، إذ أنه تولاهها بإرادة الخلافة السابقة ولم يتولاها بمعزل عن سلطة بل كان تحت غطاءها وممثلا لها وانما كان هو نائبا من نواب الخلافة ، و بقاءه من عدمه مرتبط برأي الخلافة .

٥) إن الإمام(عليه السلام) قد حدد مواصفات الوالي وهي مواصفات لم تنطبق على معاوية بن أبي سفيان ، إذ ورد عنه أنه قال " انه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام ، وإمامة المسلمين : البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة"^(٢)

ولو ركزنا على المقطع الأخير لوجدنا أن معاوية من الذي كانوا مثالا لعدم الالتزام بسنة الرسول(صلى الله عليه و آله) فهو أول من غيرها ، إضافة إلى أن معاوية كان مستأثرا باموال المسلمين وهو قد استنفذها في تحقيق رغباته بعيدا عن المصلحة المجتمعية ،

١ . خليفة بن خياط، تاريخ خليفة ، ١٣٦ ، الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٣ / ٤٠٤ ، ابن الأثير ،

الكامل في التاريخ ، ٣ / ١٧١ ، ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢ / ١٥٢ .

٢ . نهج البلاغة ، ١٤ .

وهذه الحالة كانت مشخصة منذ عهد عمر، إذ روي أن عمر " دخل الشام ورأى معاوية هذا كسرى العرب وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم فلما دنا منه قال له أنت صاحب الموكب العظيم قال نعم يا أمير المؤمنين قال مع ما يبلغني من وقوف ذوى الحاجات ببابك قال مع ما يبلغك من ذلك قال ولم تفعل هذا قال نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به" (١)، وحتى هذا الاعتراض كان في خلافة عثمان موجودا وتصرفات معاوية كانت مشخصة في نظر الإمام قبل غيره فهو الذي نبه عثمان على حجم التمادي والاستقلالية التي كان يتمتع بها والاستغلال للخلافة وشرعنة تصرفاته والقول بأنها من أوامر الخليفة (٢).

٦) إنه ليس بالضرورة أن يكون معاوية مناسبا لهذه المرحلة من ادارة الدولة فالتوجهات الجديدة ورغبة الإمام (عليه السلام) والمدعومة بالتوجهات الشعبية، تلك الرغبة كانت تتماشى مع هيكله الجهاز الإداري الذي اعتمده عثمان لما سببه من ازعاجات للشعب.

على أنه يطرح طرحا مكملا لما ابتدأه فهو يصرح أن من بين الأدلة على فشل سياسة الإمام (عليه السلام) في خلافته كان خيانة العمال وهربهم إلى معاوية بن أبي سفيان وهو يشدد على أن خلافة الإمام (عليه السلام) كانت تمر بما مرت به خلافة عثمان من خيانة عماله، ولا فرق بين عثمان والإمام (عليه السلام) والمؤاخذات التي تطلق على عثمان هي حاصلة في خلافة الإمام، فالخيانة هي الخيانة ولا فرق أن يقوم بها عمال عثمان أو عمال علي (٣) !!!؟.

يمكننا القول أن هناك فارق بين الخيانة الإدارية التي تعرض لها الإمام في خلافته، وبين ما حدث في خلافة عثمان :

١. ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣ / ١٤١٧، وينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ٥٩ / ١١٤، ابن الأثير، اسد الغابة، ٤ / ٣٨٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣ / ١٣٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ٨ / ١٣٤، ابن حجر العسقلاني، الاصابة، ٦ / ١٢١.
٢. الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، ٣ / ٣٧٧، ابن كثير، البداية والنهاية، ٧ / ١٨٩.
٣. منهاج السنة، ٢ / ٤٦٨، ٣ / ٦٢٧، ٣ / ٦٣١، ٣ / ٦٦٠، ٦٦١.

(١) - انها خيانة رسمية وتحت أنظار الخليفة ومسمعه وبمشاركته وتأسيسه لها ، فهو الذي أباح الدولة الإسلامية بمواردها المالية الكبيرة وجعلها حكرا ومغنا خاص لبني أمية ، وقد صور الإمام علي (عليه السلام) ذلك الأمر بقوله : " الى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه ، بين نثيله ومعتفه ، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع ، إلى أن انتكث فتلته ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بطنته" (١) .

وتجليات ذلك واضحة ف " افتتحت إفريقية في أيامه ، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان... وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلة ، فأعطاه أربعمائة ألف درهم . وأعاد الحكم بن أبي العاص وأعطاه مائة ألف درهم . وتصدق رسول الله صلى الله عليه وآله بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين ، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم . وأقطع مروان فدك ... وحمى المراعى حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بنى أمية . وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب ، وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين . وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال ، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال ، وقد كان زوجه ابنته أم أبان ، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح ، فوضعها بين يدي عثمان وبكى ، فقال عثمان : أتبكي أن وصلت رحمي ! قال : لا ، ولكن أبكى لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضا عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله... " (٢) .

فالخليفة هو الذي يهدر الأموال ويجعلها حكرا على المقربين وهذا الامر ليس له أي تواجد في خلافة الإمام (عليه السلام) فالإضطراب الإداري والمالي في الدوله ولم يكن مختزلا فقط على سوء ادرارة الولاة وخيانتهم ، بل تعدتها للمحابات التي حصلت والاستتار الذي ناله بني أمية بغير حق من قبل الخليفة نفسه ، وعدم استماعه للمواقف التي تصله من الأمصار عن سوء عماله في الجانب الإداري والخلقي ، ومن ثم لا يمكن الاعتذار للخليفة

١. نهج البلاغة ، ٣٥ .

٢. شرح نهج البلاغة ، ١ / ١٩٩ .

بخيانة عمال الإمام علي (عليه السلام)، إذ أن شخصية الإمام (عليه السلام) لم تكن تستطيع الشبهات أن تحوم حولها و لا قيد انملة .

(٢) إن الفرق واضح بين عثمان والإمام علي (عليه السلام) ، ففي الوقت الذي ترك عثمان عماله دون محاسبة نجد أن الإمام قد استعمل أقصى درجات المحاسبة للولادة وعمالهم ، وقد اختلفت شدة تلك المحاسبة تبعا لنوع الخلل الإداري إذ تناوبت بين إقالة أو توبيخ أو إفبات نظر وتحذير^(١) ، كما أن الإمام لم يكن ليغفل عن تصرفات عماله ولو للحظة واحدة مستعينا لذلك تارة بالرقابة السرية التي يبيتها في أنحاء الدولة الإسلامية ، وأخرى بالرقابة الشعبية التي تفاعلت كثير مع الإمام (عليه السلام) حتى وجد لرقابته من الحظوة الشيء الكثير وعلى ضوئها يحدد موقفه من الوالي^(٢) ، هذا الأمر منعدم الوجود في خلافة عثمان ، فهو لم يستسغ أن يسمع من الرعية ما ترصده له من خلل في إدارة العمال .

(٣) و إلى جانب ذلك أن الإمام كان (عليه السلام) يستفرغ الجهد في اختيار الولاة بعد أن حدد مواصفاتهم والتي من أهمها الفقة والعدالة والحياء والعفة وأن يكونوا من البيوت الصالحة إضافة إلى الخبرة الإدارية والسياسية^(٣) ، وغيرها من الخصال التي لم يكن لها نصيب في رؤية عثمان الإدارية ، فتولية الشخصيات الغير مقبولة من بني أمية قابله بإقالة الأصالح من الصحابة ، فهو قد ولى الوليد بن عقبة الكوفة بعد أن أقال سعد ابن ابي وقاص مما أدى إلى تذمر واضح لأهل الكوفة إذ ورد أن أهل الكوفة بعد أن عزل عنها سعد وقدم عليهم الوليد قالوا " بئسما استقبلنا به أخوكم ابن عفان ! أمن عدله أن ينزع عنا ابن أبي وقاص ، الهين اللين السهل القريب ، ويبعث بدله أخاه الوليد ، الأحمق الماجن الفاجر قديما وحديثا ! واستعظم الناس مقدمه ، وعزل سعد به ، وقالوا : أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد صلى الله عليه ! وهذا تحقيق ما ذكرناه من أن

١ البلاذري ، انساب الأشراف / ١٦٣ ، الثقفي ، الغارات ، ٢ / ٧٩٨ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ٢ / ٢٠١ ، ٢ / ٢٠٣ ، ٢ / ٢٠٤ ، النعمان المغربي ، دعائم الاسلام ، ١ / ٣٩٦ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ١٦ / ١٦٨ ، ١٦ / ٢٠٥ ، ١٨ / ٥٤ ، ١٨ / ٥٧ .

٢ . الشهراني ، التغير في السياسة المالية ، ٣٠٠ وما بعدها .

٣ . الشهراني ، التغير في السياسة المالية ، ٢٥٣ وما بعدها .

حاله كانت مشهورة قبل الولاية ، لا ريب فيها عند أحد ، فكيف يقال : إنه كان مستورا حتى ظهر منه ما ظهر " (١) .

وفي رواية " فلما قدم الوليد على سعد قال له سعد والله ما أدري أ كست بعدنا أم حمقنا بعدك؟! فقال لا تجزعن أبا إسحاق فإنما هو الملك يتغدها قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم والله ستجعلونها ملكا لما قدم الوليد بن عقبة أميرا على الكوفة أتاه ابن مسعود فقال له ما جاء بك قال جنئت أميرا فقال ابن مسعود ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس " (٢) ، من ثم فإن قول أهل الكوفة السابق يدل على أن ظاهر ولاية عثمان المضطرب وغير المقبول كان واضحا وهو ما يتعارض مع ما ذهب إليه ابن تيمية من أن فسادهم وخيانتهم قد بانة بعد التولية لا قبلها ، كما أن ابن تيمية قد تناسى من أن بين الذين ولاهم عثمان هو الوليد بن عقبة وهو المعزول من قبل الرسول (صلى الله عليه و آله) ومن صرح بفسقه القرآن مرتين (٣) .

(٤) ثم أن نواب الإمام خانوه وهربوا ولو بقوا لحوسبوا مما يدل على مدى القدرة التي يتمتع بها الإمام على المحاسبة وهو أمر لم يكن موجودا من قبل فلم يروى أن احد عمال الخلفاء قد هرب من محاسبته ومن ثم فهذه تحسب للإمام لا عليه (٤) ، في حين أن نواب عثمان قد سرقوا ولم يحاسبوا وبقوا تحت أنظار الخليفة ، فشتان ما بين الخائن الهارب وبين السارق الذي قننت له الخلافة سرقته .

(٥) كما ان هروبهم إلى معاوية هو أمر معيب على معاوية وليس على الإمام (عليه السلام) ، فكان على ابن تيمية أن يوجه انتقاده لمعاوية لا أن يجعل ذلك منقصة وطعنا تجرح به

١ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ١٧ ، وينظر : الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢ / ٥٩٣ .

٢ . ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٤ / ١٥٥٤ ، وينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣ / ٨٣ ، ابن أبي

الحديد ، ١٧ / ٢٢٨ ، الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ٢٧ ، ٢٧٦ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ٢ / ٥٩٢ .

٣ . ابن عبد البر ، الإستيعاب ، ٤ / ١٥٥٤ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ١٣ / ٣٢٣ ، ابن

عساكر ، تاريخ دمشق ، ٦٣ / ٢٢٤ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ١٨ ، ٤ / ٨٠ ، ١٦ /

٢٩٢ ، ١٧ / ٢٣٨ ، الزرندي الحنفي ، نظم درر السمطين ، ٩٥ ، الزيلعي ، تخريج الأحاديث والآثار ،

٣ / ٨٧ .

٤ . الشرهاني ، التغيير في السياسة المالية ، ٣٢٣ . ٣٢٤ .

خلافة الإمام (عليه السلام) ، بل إن هذه الخيانة والهروب إلى معاوية تكشف عن جزء من مخطط معاوية في استمالة العمال و الأمراء لغرض تقويض وهدم أركان دولة الخلافة الشرعية وذلك ببذل التكريم والتشريف ، إذ كان يقول : " والله لأستميلن بالدنيا ثقات علي ، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنياي آخرته" (١).

(٦) ولا بد من الإشارة هنا إلى أن السياسة العادلة للإمام (عليه السلام) ، والاستقطاب للسراق والخونة من قبل معاوية كانت هي السبب في هروب العمال إلى معاوية، وشتان ما بين الموضوعين ، ومن أبرزهم مصقلة بن هيبيرة الذي لم يستطع أن يدفع ما ترتب عليه من أموال إلى خزينة الدولة على أثر قيامه بشراء أسارى بني ناجية وعند مطالبته به هرب إلى معاوية وهو يقول " أما والله لو أن ابن هند هو طالبني بها أو ابن عفان لتزكها لي ألم تر إلى ابن عفان حين أطعم الأشعث من خراج آذربيجان مائة ألف في كل سنة ... إن هذا لا يرى هذا الرأي لا والله ما هو بباذل شيئاً كنت أخذته فسكت ساعة وسكت عنه فلا والله ما مكث إلا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية وبلغ ذلك علياً فقال ماله برحه الله فعل فعل السيد وفر فرار العبد وخان خيانة الفاجر أما والله لو أنه أقام فعجز ما زدنا على حبسه فإن وجدنا له شيئاً أخذناه وإن لم نقدر على مال تركناه ثم سار إلى داره فنقضها وهدمها" (٢) .

٣- المعيار الإعلامي الشكلي (الفتوحات أنموذجاً) .

يعتبر ابن تيمية أن توسيع رقعة أراضي الدولة الإسلامية وفتح البلدان هو عامل مهم في ترجيح خلافة السابقين واللاحقين لخلافة الإمام علي (عليه السلام) ، فتوقف الفتوحات أدى إلى طمع الكفار بالبلاد الإسلامية وأدى إلى توقف نشر الإسلام وتوسعه ولم

١ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٨ / ٧٧ .

٢ . الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٤ / ١٠٠ .

يحدث في تلك الخلافة " زيادة قوة للمسلمين ولانقاص للكافرين " (١) بل أن المشركين أخذوا بعض الأموال اما قهرا او صلحا (٢) ، غير أن ابن تيمية تناسى عدة أمور أهمها :

(١) إن الهدف الأساس من الفتوحات لم يكن نشر الدين الإسلامي بل قد اختلط ذلك الهدف بأمر المغانم و الإثراء و التخلص من الفقر ، فالجزيرة العربية لا تلبى حاجة ساكنيها من أبسط مقومات الحياة ، لذا فتح لهم التوسع العسكري المجال لأن يحصلوا على ما لم يكن يتوقعوه من المغانم لذلك صرح الفاتحون بكثرة المغانم التي تحقق من خلال تلك الفتوحات ، ولعل النص الذي أورده ابن ابي الحديد على لسان الإمام علي (عليه السلام) يشير إلى ما هو أصرح من ذلك ، فقد ورد أنه قال : "ولولا أن قريشا جعلت اسمه . أي النبي (صلى الله عليه وآله) - نريعة إلى الرياسة ، وسلما إلى العز والإمرة ، لما عبدت الله بعد موته يوما واحدا ، ولارتدت في حافرتها ، وعاد قارحها جذعا ، وبازلها بكر ، ثم فتح الله عليها الفتوح ، فأثرت بعد الفاقة ، وتمولت بعد الجهد والمخمصة ، فحسن في عيونها من الاسلام ما كان سمجا ، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربا ، وقالت : لولا إنه حق لما كان كذا ، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها ، وحسن تدبير الامراء القائمين بها ، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين ، فكنا نحن ممن خمل ذكره ، وخبث ناره ، وانقطع صوته وصيته ، حتى أكل الدهر علينا وشرب ، ومضت السنون والأحقاب بما فيها ، ومات كثير ممن يعرف ، ونشأ كثير ممن لا يعرف" (٣) .

(٢) إن الفتوحات لم تلتزم بالتعاليم الدينية فقد شهدت حالة من عدم الانضباط سواء كان من القادة أو من الجند ، فذهب البعض إلى السلب والنهب والإعتداء على الأعراض دون أن يكون الهدف هو نشر الإسلام ومن ثم أثر سلبا وليس ايجابا على الدين الإسلامي ، كما أن العبرة ليست بكثرة الفتوحات بل باستقطاب الناس للإسلام ولم يكن الهدف الديني من القتال هو إلا الاستحواذ على البلدان وقهر أهلها ، ولا نجد اليوم أثر تلك الفتوحات إلا

١ . منهاج السنة ، ٤ / ٨٨ .

٢ . منهاج السنة ، ٣ / ٦١١ .

٣ . ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٢٠ / ٢٩٩ .

بمفهوم عكسي في نفوس أهل تلك المناطق الذين رفضوا الإسلام ولم ينتشر عندهم و العكس صحيح في المناطق التي لم يتدخل السيف في نشر الإسلام فيها .

(٣) إن قضية نشر الإسلام لم تقتصر على الفتوحات فقط بل تتعدتها إلى وسائل أخرى قد تكون أجدى نفعاً وأرسخ ، فضلا عن ذلك أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يجعل الجوانب العسكرية هي آخر الطول وللدفاع فقط ، فالتحرك السلمي كان ذا أثر كبير وأرتبط ارتباطا متينا مع توسع الإسلام ، فالمدينة قد أسلمت على أثر قيام الرسول (صلى الله عليه وآله) بإرسال مصعب بن عمير إليها ، ففتح مدينة بأهمية يثرب وتحت ظرف لم يكن فيه أي مكانة سياسية للإسلام يدل على أن الإسلام يمتلك من ادوات الرواج والأريحية الكثيرة التي تجعله مقبولا عند الطرف الآخر بعيد عن السيف ، وبالتالي الإقبال على الإسلام معتمد على الصورة التي يعرض فيها الإسلام وعلى مدى إيمان وانسجام أصحاب الدعوة وحملتها مع المبادئ التي يؤمنون بها ، فرسالة الإسلام ليست قاصرة عن انجذاب الناس والفتوة السليمة إليها ، فالتسامح والعرض الصحيح المنسجم و المثير لإنسانية الناس وعقولهم هو من خير الأساليب لإطلاع الناس عليه وقد يكون ذلك منسجما مع القرآن الكريم ، إذ أن الإذن بالقتال لم يكن إلا إنا دفاعيا فالآية تقول : " أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ " (١) .

(٤) إن حكم البلدان التي فتحت بالسيف ووسعت رقعة الدولة عن طريقه مرتبط بالقوة العسكرية المتواجدة فيها وباستقرار عاصمة الخلافة وقدرتها على تقديم المدد العسكري ، هذا الأمر أصاب التواجد الإسلامي فيها إلى هزيمة أفقدته الاستمرار في حكمها في ظل الظروف الطارئة ، فما أن تضعف قوة الدولة حتى ينحسر الوجود الإسلامي وتعود البلدان لتنتفض على الحاميات العسكرية هناك وتعود لحالتها الأولى و ديانتها السابقة ، إذ كثير منهم قد اضطر مجبرا أن يترك دينة ويتقبل التواجد الإسلامي وذلك إما تحت وطأة السيف أو الخشية من المسلمين او هروبا من الجزية ، ولعل هناك الكثير من البلدان التي عاشت تلك الحالة ، فنشر الإسلام يكون ضعيفا إذا اعتمد القوة العسكرية

١ . سورة الحج ، الآية : ٣٩ .

في حين يكون أكثر رسوخا إذا كان عن قناعة حقيقية منبثقة من المعرفة بتعاليم الإسلام.

(٥) إن الفتوحات بالسيف وما جرى فيها من عدم انضباط قد لاقت نقدا لاذعا من قبل المستشرقين إذ عدوه مظهرا من مظاهر الإكراه الذي تتطوي عليه الدعوة الإسلامية ومما لا شك فيه أن مثل هكذا دعاوى قد خلقت حواجز بوجه التمدد الطبيعي والدعوي للإسلام مما أدى إلى ضعف الإقبال الإنساني إليه ، فالسيف يخالف الطبيعة الإنسانية ومظهر منفر أكثر منه جاذب .

(٦) يضاف إلى ذلك أن الفتوحات قد أصبحت واقعا مفروضا على عمر وعثمان لأنها مثلت الملجأ في فض اختناق المجتمع المدني خصوصا بعد تزايد أعداد المسلمين وتنفير البعض من الإجراءات الحكومية والتي من بينها منع الحديث ، لذا كان إشغالهم بالجهاد هو الثغرة التي تتيح خلق جو هادئ للخلافة ولعل رأي عبد الله بن عامر وقوله لعثمان " رأيت لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك وأن تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همة أحدهم إلا نفسه وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه" (١) خير دليل على ذلك إذ إن هذا الأمر قد يكون شيء متعارف لفض الاحتقان الداخلي في المدينة ، هذا فيما يخص الداخل .

إذ يمكن أن يضاف إليه أن توغل الجيوش الإسلامية عسكريا جعلها في مواجهة حقيقية واحتكاك مباشر مع الإمبراطوريتين الحاكميتين انذاك ، مما أثارهما ومن ثم فقد أصبح الفتح العسكري أمر لا مفر منه للحفاظ على التواجد الإسلامي ، وعمر كان يشير صراحة إلى رغبته في عدم التوغل إذ يقول لو أن بيني وبين فارس سدا ، حتى أمر بتوقف الفتوحات على جبهة فارس ولم يعيدها إلى بعد أن رأى ما آل إليه حال المسلمون نتيجة الإغارة المفاجئة للفرس إذ ورد أن الأحنف خاطب عمر " يا أمير المؤمنين إنك نهيتنا عن الانسياح في البلاد لان ملك فارس بين أظهرهم ولا يزالون يقاتلوننا ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئا بعد شيء إلا بانبعاثهم وغدرهم ، وأن

١ . الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٣ / ٣٧٣ .

ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهناك ينقطع رجاء أهل فارس . فقال : صدقتي والله . ونظر في حوائجهم وسرحهم ، وأنت عمر الكتاب باجتماع أهل نهاوند فأذن في الانسياح في بلاد الفرس" (١) .

(٧) إن الخلفاء لم يكونوا أكثر قوة وطبيعة عسكرية من الإمام علي (عليه السلام) الذي كان بطل الإسلام الأول ، ولم يكن إلا مقدا في الحروب جميعا ولم ينهزم في أي معركة تواجد فيها ومن ثم لا يمكن أن نقول أن توقف الفتوحات في عصره كان نتاجا لطبيعة شخصيته الضعيفة عسكريا ، ولكن كان المستجد الداخلي السياسي الذي طرأ في خلافة الإمام هو الذي أدى به أن يتجه نحو تصفية الإضطراب الداخلي المسلح و المفتعل بوجه خلافته والذي قاده أهل الجمل وأهل الشام وكذلك الخوارج ، إضافة إلى الفساد الإداري والمالي الذي شغلا أغلب مفاصل الدولة الإسلامي ، فكان الإمام يريد أن يسكن الجبهة الداخلية ويحصنها ثم يتجه نحو نشر الإسلام .

العجيب أنه حتى الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما ذكر خلافة الإمام علي (عليه السلام) كان قد ركز على العوامل الداخلية الطارئة ولم يشر لا من قريب ولا بعيد إلى قيام الإمام بالفتح الخارجي المسلح أو العسكري ، إذ ورد عنه قوله "تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين" ولم يشر إلى مقاتلته الخارجية مما قد يعطي انطبعا على أن الفتح العسكري لم يكن مهيبا للإمام ، أو أنه يشير إلى حقيقة الفكر المحمدي و النظرة الحقيقية لفتوحات وأنها يجب أن تقام على أساس بعيد كل البعد عن جعل السيف هو الوسيلة الأولى في إيصال صوت الإسلام وتعاليمه إلى الشعوب ، كما أننا لو سلمنا أن الإمام كان مؤمنا بالفتح العسكري فإن انشغاله بالحرب الداخلية جعل من الصعوبة عليه أن يجهز جيشا كبيرا ويرسله لفتح البلدان ، فهو عليه أن لا يخطر بأرواح المسلمين لذا توجب عليه أن يرسل جيشا مجهزا

١ . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٢ / ٥٥٠ ، وينظر : ابن خلدون ، التاريخ ، ٢ / ١٣٣ .

بالسلاح والعدد منسجما مع بعضه البعض لا أن يكون مختل الانسجام مما يؤدي إلى الانقسام في اوساطه وبالتالي خسارته وتحوله إلى موقف لا يحمد عليه .

٨) كما يمكن أن يضاف أن الإمام (عليه السلام) وإن لم يشترك فعليا أو بشخصه في الفتوحات إلا أنه لم يدخر جهدا في ابداء النصيحة و تقديم الخطط العملية الرصينة لتلك الفتوحات و ضمان حماية التواجد الإسلامي وقوته .

فهو عندما أراد عمر أن يخرج إلى العراق استشار الناس وكانت اشاراتهم تقضي عليه بالخروج مع الجيش وقد خصص هذا الرأي من عثمان غير أنه أهمله آخذا برأي الإمام الذي قال فيه " فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم وإن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم وإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك الأرض من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات و العيالات أقرر هؤلاء في أمصارهم واكتب إلى أهل البصرة فليتفرقوا فيها ثلاث فرق فلتقم فرقة لهم في حرمهم و ذراريهم و لتقم فرقة في أهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم و لتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددا لهم أن الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا هذا أمير العرب وأصل العرب فكان ذلك أشد لكلبهم وألبتهم على نفسك وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك وهو أقدر على تغيير ما يكره وأما ما ذكرت من عددهم فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكننا كنا نقاتل بالنصر فقال عمر أجل والله لئن شخصت من البلدة لتنتقضن على الأرض من أطرافها وأكنافها ولئن نظرت إلى الأعاجم لا يفارقن العرصة وليمدنه من لم يمدهم وليقولن هذا أصل العرب فإذا اقتطعتموه اقتطعتم أصل العرب"^(١) فهذا النص يدل وبوضوح ان الإمام كان هو المصيب وأنه يتدخل لحماية الإسلام متى أحتاج الإسلام إليه .

٩) كما يمكن أن يقال أن الرغبة في تغيير النظرة للفتوحات وفلسفتها وإعطاء بعد تربوي مغاير لما كان جعله يوقف الفتوحات أو يقللها ، فالفتوحات كانت محط أنظار الطامحين

١ . الطبري ، تاريخ الرسل و الملوك ، ٢ / ٢١٢ ، ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ٩ / ١٠١ .

في الثراء السريع ، وهذا التصور ساد الغالبية العظمى من قادة الجيوش والجنود ، غير أن رؤية الإمام كانت تختلف ، فهو يرى أن من الواجب أن ينظر أن فتح البلاد الجديدة إنما هو مسؤولية جديدة تلقى على عاتق المسلمين في إيصال وبت تعاليم الإسلام والتعامل الأمثل ، لا أن يكون المغنم هو الهدف ، لذا ارتأى أن يخلق طبقة جديدة من القادة الذين يؤمنون بما يؤمن به الإمام غير أن قصر مدة خلافته واضطراب الأمور لم يكن قد سمح له بذلك مما أدى في نهاية المطاف ان تصبح الفتوحات في الدولة الأموية إلى أسوأ مما كانت عليه في عهد الخلفاء الثلاث .

الخاتمة

إن أهم ما يمكن إجماله في خاتمة هذه الدراسة هو ما يأتي :

- إن ابن تيمية لم يدخر أي وسيلة متاحة لديه - مشروعة أو غير مشروعة - لخلق رؤية تشكيكية وتجريحية مشوهة لشخصية الإمام علي (عليه السلام) ، فهو يعتمد شتى الوسائل من تكذيب للنصوص أو إهمال لها ، أو نفي أو جرح لها ، أو تدليس أو إغفال متعمد لا لشيء إلا لكي يعرض كل ماله علاقة بالإمام (عليه السلام) على أنه أمر غير متصل به أو مميز له ليفقده ميزة التميز على كل الموجودين من الصحابة ، بل لاحظ الباحث مدى المرتبة المتدنية التي حاول ابن تيمية وضع الإمام علي (عليه السلام) بها ، و إحلال اشخاص لا يملكون أي مؤهلات في مراتب متقدمة عليه ، في محاولة لإخلال واضحة لا تتفك عن القصدية المتحاملة التي أبعدت ابن تيمية كثير عن المنطق العلمي أو الواقعي .
- لاحظ الباحث أن ابن تيمية لا يسير على منهجية علمية محددة ، وإنما يعتمد الإقدام الإرتجالي ويعتمد البعد الذاتي في طروحاته الخاصة بالإمام علي (عليه السلام) ، دون اعتماد ضوابط محددة يستطيع الباحث أو المتتبع من خلالها إلزامه بها ، فهو لا يلبث أن يعتمد منهجية ثم ينقضها مما يكشف عن حالة من التناقض الواضح في تراثه وآراءه ، ولعل سر ذلك هو إيمانه بنتيجة مسبقة يجب أن تصلها أفكاره وأبحاثه تتمثل بالقدح و التعرض للإمام علي (عليه السلام) لذا يعمد إلى لي عنق المادة العلمية كي تصل إليها ، دون أن يسخر أدوات البحث العلمي لكشف الحقيقة أو أن تكون تلك الحقيقة هي الهدف الذي يتوخاه .
- إن الخوض في تراث ابن تيمية و تراث المسلمين ينبئ عن وجود رؤيتين مختلفتين وعلى طرفي نقيض ، فحفظ الاحترام والثناء للإمام علي (عليه السلام) هو الرائج و المبعوث في عامة التراث الإسلامي ، في حين لا نجد لذا الاحترام أي أثر عند ابن تيمية ، مما يعني أن تمازجت عناصر النشأة الأولى وتفاعلها في شخصيته أدى أن تأتي نظرتة و رؤيته عن الإمام بهذا الاطراد الذي لم يسبقه إليه إلا بني أمية .
- ويبدو أن هذا كان مشفوعا بعامل العصر الذي انتمى إليه ابن تيمية ، إذ إن التطورات السياسية و المتمثلة بسقوط الخلافة السنية الممثل الشرعي لمدرسة الخلافة على يد المغول ، والفسحة التي حصل عليها المذهب الشيعي والتي سمح له من خلالها أن

يعرض متبنياته العقديّة بصورة أكثر انتشاراً وأوسع نطاقاً أدى إلى حدوث ردة فعل - كما حدث ذلك بعد سقوط نظام صدام - لدى ابن تيمية الذي وجد من ذلك فرصة سانحة كي يعرض نفسه محامياً ومدافعاً عن الخلافة والسنة - كما هو حال الوهابية اليوم - لذا وجه سهام نقده إلى طعن هذه المدرسة عن طريق الطعن بثوابتها الخاصة بالإمامة والتي تعتبر الإمام علي (عليه السلام) هو الخليفة الشرعي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وأن كل ما جاء خلافاً لذلك باطلاً ولم يستند على دعامة شرعية وإنما بني على اجتهادات خاصة وارتجالية خاطئة شخصها منفضوها و ووسموها بالقلنة التي وقى الله شرها ، لذا برزت آرائه بهذه الحدة ، مشفوعة بحدته النفسية وصف بها .

• إن من بين ما توصلت له الدراسة هو ضرورة الاهتمام بالفكر الذي أنتجه ابن تيمية خصوصاً ذلك الفكر الذي يتعرض فيه لمدرسة أهل البيت و الذي تسرب إلى أتباعه ، فالإطلاع على أفكاره في هذا الجانب من شأنه أن يجنبنا الكثير من حالات هدر الدماء وسفكها وتكفيرها ، وإعطاء رؤية لها القدرة على أن تعيننا في بناء استراتيجية يمكن من خلالها معرفة الطرق المثلى في التعامل مع حركة المنتهين لفكره و المتبنيين له ومن ثم تقليص حجم الهجمة المذهبية التي أصبحت واقعا ملموسا لا مفر منه ، فالتعرف على رؤية المكفرين في الكيانات الإنسانية الموجودة يساعد على محاصرة ذلك الفكر الذي بدا يتوسع بدافع الاستغفال والمال و الإعلام ، و مشفوعا بفقهِ مشوه يعتمد كلياً على رؤية ابن تيمية .

فالملفت للنظر أن المتلقين لفكر ابن تيمية هم إما من يتصفون بصفات البداوة أو يعيشون الحالة الإعرابية ، أو من قليلي التأثير بالمدينة ، أو من الذين نظروا بعين واحدة للمعطيات الشرعية دون ان يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن سمات الفكر الآخر ، وهذا الخطاب وهذه السمة هي نفسها التي اتسم بها ابن تيمية ، فهو خطاب موجه آمن به وترجمه في تراثه وجعله نقطة مفصلية في نظريته للآخر ، خصوصاً فيما يتعلق بشخصية الإمام علي (عليه السلام) ، ومدرسة التشيع ، لذا يرى الباحث ضرورة الإطلاع على ذلك ، وهذه الدراسة قد أطلقت بداية يمكن من خلالها التوسع في هذا المجال

• وقد يكون مرد هذا الانسياح و السعة لأفكار ابن تيمية إضافة إلى ما سبق هو أن معاصريه قد أدانوه في ما يخص الاعتقاد والتوحيد والتجسيم وتركوا الحبل له على الغارب وعضوا الطرف عنه في مسألة التكفير و التبديع للمخالفين من المسلمين ، ولم تكن لهم معالجة حقيقة لما جاء به من أفكار في منهاج السنة والتي تتعلق بمدرسة أهل

البيت ، وهذا أمر يؤخذ عليه علماء مدرسة الخلافة المعاصرين له والذين وصل إلى أيديهم كتاب منهاج السنة ، إذ لو كانوا قد وصفوا التشخيص الحقيقي لما بثه من آراء لما وجد اليوم من ينتمي إليهم و يمجّد بمنهاج السنة على وسائل الإعلام .

أولاً المصادر

• القرآن الكريم

- ❖ ابن الأثير ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن عبد الكريم بن الشيباني (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م).
١. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، (دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان ، د. ت) .
٢. الكامل في التاريخ ، (دار صادر. دار بيروت ، بيروت . لبنان ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م).
- ❖ ابن الأثير ، أبو السعادات ، مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) .
٣. النهاية في غريب الحديث ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي (ط ٤ ، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم - إيران، ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤ م).
- ❖ الأدريسي ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ادريس (٥٦٠ هـ / ١١٦٣ م) .
٤. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (ط ١ ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م)
- ❖ الأربلي ،أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (٦٩٣ هـ / ١٢٦٥ م) .
٥. كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط٢، دار الأضواء، بيروت . لبنان ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- ❖ أحمد بن حنبل ، احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، (٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) .
٦. المسند(دار صادر، بيروت - لبنان ، د. ت) .
- ❖ أبو إسحاق الشيرازي ،إبراهيم بن علي بن يوسف الشافعي (٤٧٦ هـ / ١٠٨٣ م) .
٧. طبقات الفقهاء ، تحقيق : إحسان عباس ،(ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت . لبنان ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) .
- ❖ ابن إسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار (١٥١ هـ / ٧٦٨ م) .
٨. السير و المغازي ، تحقيق : سهيل زكار (ط ١ ، دار الفكر ،بيروت . لبنان ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م).
- ❖ ابن أعثم ،ابو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ،(٣١٤ هـ / ٩٢٦ م) .
٩. كتاب الفتوح ، تحقيق : على شيري (ط ١ ، دار الأضواء ، بيروت . لبنان ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م)

- ❖ الأيجي ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد ، (١٣٥٩/ هـ ٧٥٩) .
١٠. الموافق،تحقيق : عبد الرحمن عميرة (ط١ ، دار الجيل ، بيروت . لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
- ❖ الباجي ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد ابن أيوب المالكي (٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م) .
١١. التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح ، دراسة وتحقيق: أحمد البزار (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، مراكش . المغرب ، د. ت .).
- ❖ البجراني ، يوسف (١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م) .
١٢. الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، تحقيق :محمد تقي المولائي (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين . بقم المقدسة . إيران ، د. ت .).
- ❖ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) .
١٣. التاريخ الكبير (المكتبة الإسلامية ، ديار بكر . تركيا،د.ت) .
١٤. صحيح البخاري ، (دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
- ❖ البرزالي ، أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف (٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) .
١٥. الوفيات ، ضبط وتعليق : أبو عبد الله الكندري (ط١ ، غراس للنشر ، الكويت ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) .
- ❖ ابن البطريق ، يحيى بن الحسن الأسدي الحلبي (٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م).
١٦. عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار (مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة . ايران ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .
- ❖ ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (٧٧٩هـ / ١٣٧٩م) .
١٧. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) (د.م. ، د.ت)
- ❖ البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) .
١٨. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق وضبط : مصطفى السقا (ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) .

- ❖ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩هـ / ٨٩٢ م) .
- ١٩ . انساب الأشراف ، تحقيق وتعليق : محمد باقر المحمودي (ط ١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) .
- ❖ البيهقي ، ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي (٤٥٨هـ / ١٠٦٥ م) .
- ٢٠ . السنن الكبرى ، (دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ٢١ . معرفة السنن والآثار ، تحقيق : سيد كسروي حسن (دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ❖ الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ / ٩٠٩ م) .
- ٢٢ . الجامع الصحيح ، تحقيق وتصحيح : عبد الوهاب عبد اللطيف (ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م) .
- ❖ ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م) .
- ٢٣ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، مصر ، د.ت) .
- ❖ ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (٧٢٨هـ / ١٣٢٨ م) .
- ٢٤ . مجموعة الفتاوى ، تحقيق : عامر الجزار و أنور الباز (ط ٤ ، دار الوفاء ، المنصورة . القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م) .
- ٢٥ . منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق : محمد رشاد سالم (دار الفضيلة للنشر ، الرياض . السعودية ، ١٢٤٢هـ) .
- ❖ الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي (٨٧٥هـ / ١٤٧٠ م) .
- ٢٦ . تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الدكتور عبد الفتاح أبو سنة (ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م) .
- ❖ الثعلبي ، أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (٤٢٧هـ / ١٠٣٥ م) .
- ٢٧ . تفسير الثعلبي ، تحقيق : أبي محمد بن عاشور (ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م) .

- ❖ **الثقفي ، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (٢٨٣هـ / ٨٩٦ م) .**
 ٢٨ . الغارات ، تحقيق : جلال الدين الأرموي الحسيني (مطبعة بهمن ، ايران ، ١٣٩٥هـ / ١٩٩٨) .
- ❖ **الجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ / ٨٦٨ م) .**
 ٢٩ . العثمانية ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون (دار الكتاب العربي ، مصر ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) .
- ❖ **ابن جبر ، زين الدين علي بن يوسف (ق ٧ هـ / ق ١٣ م) .**
 ٣٠ . نهج الإيمان ، تحقيق : أحمد الحسيني (ط ١ ، مشهد . ايران ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .
- ❖ **ابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني (٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) .**
 ٣١ . رحلة ابن جبير (دار صادر ، بيروت . لبنان ، د. ت.) .
- ❖ **الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي الرازي (٣٧٠ هـ / ٩٨١ م) .**
 ٣٢ . أحكام القرآن ، ضبط تخريج : عبد السلام محمد علي (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) .
- ٣٣ . الفصول في الأصول للإمام ، دراسة وتحقيق : عجيل جاسم النمشي (ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- ❖ **أبو جعفر الإسكافي ، محمد بن عبد الله المعتزلي (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) .**
 ٣٤ . المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وبيان أفضليته على جميع العالمين بعد الأنبياء والمرسلين ، تحقيق : محمد باقر المحمودي (ط ١ ، د. م. ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م) .
- ❖ **ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) .**
 ٣٥ . كتاب الموضوعات ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان (ط ١ ، المكتبة السلفية ن المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦) .
- ❖ **الجوهري ، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز البصري البغدادي (٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م) .**
 ٣٦ . السقيفة و فذك ، تقديم وجمع وتحقيق : محمد هادي الأميني (ط ٢ ، شركة الكتبي للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .

- ❖ ابن أبي حاتم الرازي ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر (٣٢٧هـ / ٩٣٨م) .
٣٧. تفسير ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد محمد الطيب (المكتبة العصرية . صيدا . لبنان ، د . ت) .
٣٨. مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل (ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند سنة ١٢٧١ هـ / ١٩٥٢ م) .
- ❖ ابن حاتم العاملي ، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشغري العاملي(١٢٦٦هـ / ١٢٦٥م) .
٣٩. الدر النظيم (مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة . ايران ، د . ت) .
- ❖ حاجي خليفة(١٠٦٧هـ / ١٧٣٥م) .
٤٠. كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،تقديم : شهاب الدين النجفي المرعشي) دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، د . ت) .
- ❖ الحاكم الحسكاني ، عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري (من أعلام القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) .
٤١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، تحقيق وتعليق: محمد باقر المحمودي(ط١ ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيراني ، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية ، طهران . إيران ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م) .
- ❖ الحاكم النيسابوري ،ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ، (٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م) .
٤٢. المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي (دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، د . ت) .
٤٣. معرفة علوم الحديث ، تصحيح وتعليق : سيد معظم حسين ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (ط٤ ، دار الآفاق الحديث ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) .
- ❖ ابن حبان ، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) .
٤٤. الثقات (ط١ ، حيدر آباد الدكن . الهند ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .

- ٤٥ . صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الارنؤوط (ط ٢) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان
١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .
- ٤٦ . المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق : محمود ابراهيم زايد (دار الباز للنشر
والتوزيع ، مكة المكرمة . السعودية ، د.ت.) .
- ❖ ابن حبيب ، محمد بن حبيب البغدادي (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) .
- ٤٧ . المحبر ، (ط ١) ، دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن . الهند ، ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م
(.
- ٤٨ . المنمق في اخبار قريش ، تصحيح وتعليق : خورشيد أحمد فاروق (د.ط ، د.م ، د.ت) .
- ❖ ابن حجر ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ
/ ١٤٤٨م) .
- ٤٩ . الإصابة في تميز الصحابة ، دراسة وتحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي
محمد معوض (ط ١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .
- ٥٠ . تغليق التعليق ، تحقيق : عيد عبد الرحمن موسى القزقي (ط ١) ، دار عمار ، عمان -
الأردن ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .
- ٥١ . تقريب التهذيب ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا (ط ٢) ، المكتبة العلمية ، بيروت
(، ١٤١٥هـ . - ١٩٩٥م) .
- ٥٢ . تلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير (دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ٥٣ . الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، تحقيق : عبد الله هاشم اليماني المدني (دار المعرفة ،
بيروت . لبنان) فتح الباري شرح صحيح (ط ٢) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ،
د.ت) .
- ٥٤ . الدرر الكامنة (د.م. ، د.ت.) .
- ٥٥ . لسان الميزان (ط ٢) ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت . لبنان ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م) .
- ٥٦ . مقدمة فتح الباري ، تقديم : حسن عباس زكي (ط ١) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م) .
- ❖ ابن حجر الهيتمي ، أحمد شهاب الدين بن حجر المكي (٩٧٤هـ / ١٥٦٦م) .
- ٥٧ . الفتاوى الحديثية (دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د.ت.) .

- ❖ ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد المدائني(٦٥٦هـ/١٢٥٨ م) .
- ٥٨ . شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، بيروت . لبنان ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م) .
- ❖ ابن حزم ، أبو محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري(٤٥٦هـ / ١٠٦٣ م) .
- ٥٩ . الاحكام في أصول الاحكام ، نشر: زكريا علي يوسف (مطبعة القاهرة ، القاهرة . مصر ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦ م) .
- ٦٠ . الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : محمد ابراهيم نصر و عبد الرحمن عميرة (ط٢ ، دار الجيل ، بيروت . لبنان ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م) .
- ٦١ . المحلى، تحقيق : احمد محمد شاکر(دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د.ت.) .
- ❖ الحصري، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن تقي الدين الحصني الدمشقي، (٨٢٩ هـ / ١٣٢٩ م) .
- ٦٢ . دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد ، تحقيق : جماعة من العلماء ، إشراف السيد محمد رضا الحسيني الجلاي، (ط٢، دار إحياء الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) .
- ❖ الحلبي ،نور الدين علي بن ابراهيم بن محمد (٩٧٥هـ / ١٥٦٧ م) .
- ٦٣ . إنسان العيون في سيرة الأمين و المأمون المعروف بالسيرة الحلبية (دار المعرفة ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) .
- ❖ الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر(٧٢٦هـ / ١٣٢٦ م) .
- ٦٤ . إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان ، تحقيق : فارس الحسون (ط١ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة . ايران ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .
- ٦٥ . منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق: عبد الرحيم مبارك (ط١ ، مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث، مشهد المقدسة - ايران ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .
- ٦٦ . نهج الحق وكشف الصدق ، تعليق: عين الله الحسنبي الأرموي ، تقديم: السيد رضا الصدر (دار الهجرة ، قم المقدسة . ايران - ١٤٢١ هـ / ١٩٩٩ م) .
- ❖ الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي(١١١٢هـ /) .

٦٧. تفسير نور الثقلين ، تصحيح وتعليق : هاشم الرسولي (مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم المقدسة - إيران ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- ❖ ابن حيان ، محمد بن خلف بن حيان (٣٠٦هـ / ٩١٨م) .
٦٨. أخبار القضاة ، (عالم الكتب ، بيروت . لبنان ، د. ت) .
- ❖ الخزرجي اليماني ، شمس الدين علي بن الحسن (٧٨٣هـ / ١٣٨٤م) .
٦٩. العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن (أم القرى . السعودية ، د. ت) .
- ❖ الخطيب البغدادي ، ابو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).
٧٠. تاريخ بغداد ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا (ط١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م) .
- ❖ الخطيب التبريزي ، ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (٧٤١هـ / ١٣٤١م) .
٧١. الإكمال في أسماء الرجال ، تعليق : أبي أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري (مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ، قم المقدسة . إيران ، د. ت) .
- ❖ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .
٧٢. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، (ط١) ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤٣١هـ / ٢٠٠١م) .
- ❖ ابن خلكان ، ابو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم ، (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) .
٧٣. وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : احسان عباس (دار الثقافة ، بيروت . لبنان ، د. ت) .
- ❖ خليفة بن خياط (٢٤٠هـ / ٨٥٤م) .
٧٤. تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : سهيل زكار ، (دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، د. ت) .
- ❖ الدارقطني ، ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ / ٩٩٥م) .

٧٥. سنن الدارقطني ، تحقيق : مجدي بن منصور بن سيد الشورى (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م).
- ❖ أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ / ٨٨٨م).
٧٦. السنن ، تحقيق: سعيد محمد اللحام (ط ١ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).
- ❖ ابو داود الطيالسي ، سليمان بن داود (٢٠٤ هـ / ٨١٨ م).
٧٧. مسند أبي داود (دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، د. ت).
- ❖ ابن الدمشقي ، شمس الدين أبي البركات محمد بن أحمد بن ناصر الدمشقي الباعوني (٨٧٢هـ / ٤٦٩م).
٧٨. جواهر المطالب في مناقب الإمام الجليل علي بن أبي طالب عليه السلام ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، (ط ١ ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، قم المقدسة . إيران ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) .
- ❖ الدولابي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي الدولابي(٣١٠هـ/٩٢٢م).
٧٩. الذرية الطاهرة ،تحقيق : محمد جواد الحسيني الجلالى(ط١، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة. ايران ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦ م).
- ❖ الديلمي ، الحسن بن أبي الحسن (٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م).
٨٠. ارشاد القلوب ، تحقيق : هاشم الميلاني (ط٢ ، دار الأسوة للطباعة ، د. م. ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م).
٨١. مسند الفردوس ، تحقيق : هاشم الميلاني ، (ط ٢ ، دار الأسوة ، د. م. ، د. ت).
- ❖ الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م).
٨٢. الأخبار الطوال ، تحقيق : عبد المنعم عامر (ط ١ ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ١٩٦٠ م).
- ❖ الدواداري ، أبو بكر عبد الله بن أبيك (٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م).
٨٣. كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق : هانس روبرت رومير (مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م).
- ❖ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، (٧٤٨هـ/١٣٤٧ م).

٨٤. تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، (ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .
٨٥. تذكرة الحفاظ ، (ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، د. ت) .
٨٦. تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ، تحقيق : مصطفى أبو الغيط عبد الحي عجيب (دار الوطن ، الرياض . السعودية ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) .
٨٧. سير اعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرنؤوط (ط ٩، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .
٨٨. العبر في خبر من غير ، تحقيق : محمد سعيد بسيوني (ط ١ ، دار الكتب العلمية ،
٨٩. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، تقديم وتعليق : محمد عوامة (ط ١ ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة . السعودية ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢) .
٩٠. الموقظة في مصطلح الحديث ، شرح وتعليق : عمرو عبد المنعم سليم (دار احد للنشر والتوزيع ، ط ١، د. م ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) . بيروت . لبنان ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
٩١. النصيحة الذهبية، (مطبوع مع كتاب التوفيق الرباني لمجموعة من العلماء، د. م ، د. ت) .
- ❖ ابن راهويه ، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي (٢٣٨ هـ / ٨٥٢ م) .
٩٢. مسند اسحاق بن راهويه ، تحقيق : عبد الغفور عبد الحق حسين برد البلوشي ، (ط ١ ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) .
- ❖ ابن رجب ، أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ / ١٣٩٥ م) .
٩٣. ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، (مطبعة السنة المحمدية ، مصر ، ١٩٥٢) .
- ❖ ابن رسول ، عباس بن علي بن داود (٧٨٧ هـ / ١٣٨٩ م) .
٩٤. نزهة العيون في تاريخ طوائف القرون (دار الكتب المصرية ، مصر ، د. ت) .
- ❖ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٩٤ هـ / ١٣٩٤ م) .
٩٥. البرهان في تفسير القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم (ط ١، دار احياء الكتب العربية، مصر ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م) .

- ❖ الزرندي الحنفي ، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد المدني (٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) .
- ٩٦ . نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين (ط ١ ، مكتبة أمير المؤمنين ، النجف ، العراق ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨) .
- ❖ الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (٥٨٣ هـ / ١١٤٣ م) .
- ٩٧ . الفائق في غريب الحديث ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م) .
- ٩٨ . الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م) .
- ❖ الزيلعي ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد ، (٧٦٢ هـ / ١٣٦٠ م) .
- ٩٩ . تخريج الأحاديث والآثار تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد (ط ١ ، دار ابن خزيمة ، الرياض . السعودية ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .
- ❖ سبط ابن العجمي ، برهان الدين الحلبي المتوفى سنة (٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م) .
- ١٠٠ . - الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث ، تحقيق وتعليق : صبحي السامرائي (ط ١ ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .
- ❖ السبكي ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، (٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) .
- ١٠١ . طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمد محمود الطناجي ، عبد الفتاح محمد الحلو (ط ١ ، داراحياء الكتب العربية ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) .
- ❖ السبكي ، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي (٧٥٦ هـ / ١٣٥٤ م) .
- ١٠٢ . الفتاوى السبكي (دار المعرفة ، بيروت . لبنان ، د.ت .) .
- ❖ السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م) .
- ١٠٣ . فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (د.ط . ، د.م . ، د.ت .) .
- ١٠٤ . السرخسي ، أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (٤٩٠ هـ / ١٠٩٦ م) .
- ١٠٥ . المبسوط (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .

- ❖ ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري ، (٢٣٠هـ / ٨٤٤ م) .
- ١٠٦ . الطبقات الكبرى (دار صادر ، بيروت . لبنان ، د. ت) .
- ❖ سليم بن قيس (٧٦هـ / ٦٩٨ م) .
- ١٠٧ . كتاب سليم ، تحقيق : محمد باقر الأنصاري .
- ❖ السمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمد (٤٨٩هـ / ١٠٩٥ م) .
- ١٠٨ . الأنساب ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي (ط ١ ، دار الجنان ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م) .
- ١٠٩ . تفسير السمعي ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس (ط ١ ، دار الوطن ، الرياض - السعودية ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م) .
- ❖ السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (٥٨١هـ / ١١٩٨ م) .
- ١١٠ . الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، تعليق : مجدي بن منصور ، (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، د. ت) .
- ❖ سيف بن عمر الضبي (ت ٢٠٠هـ / ٨١١ م) .
- ١١١ . الفتنة ووقعة الجمل ، جمع وتصنيف : أحمد راتب عرموش (ط ٧ ، دار النفائس ، لبنان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣) .
- ❖ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ / ١٥٠٥ م) .
- ١١٢ . الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : سعيد المنذوب (ط ١ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦) .
- ١١٣ . الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير (ط ١ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م) .
- ١١٤ . الدر المنثور (دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان) .
- ١١٥ . طبقات المفسرين ، مراجعة وضبط : لجنة من العلماء (دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د. ت) .

- ❖ ابن شاذان، أبي الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي (٤١٢هـ / ١٠٢٠م) .
١١٦. مائة منقبة من مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليهم السلام من طريق العامة ، إشراف : محمد باقر الأبطحي (ط١ ، قم المقدسة . إيران ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
- ❖ الشافعي ، أبي عبد الله محمد بن إدريس (٢٠٤هـ / ٨١٩م).
١١٧. كتاب الأم (ط٢ ، دار الفكر، بيروت . لبنان ، ١٤٠٣ / ١٩٨٣ م) .
١١٨. الرسالة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر (المكتبة العلمية ، بيروت . لبنان ، د.ت.) .
١١٩. المسند (دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، د.ت)
- ❖ ابن شاكر الكتبي ، محمد بن أحمد (٧٦٤هـ / ١٣٨٢م) .
١٢٠. فوات الوفيات ، تحقيق : علي محمد بن يعقوب الله وعادل أحمد عبد الموجود، (ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، ٢٠٠٠م) .
- ❖ ابن شبة النمري ، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (٢٦٢هـ / ٨٧٥م).
١٢١. كتاب تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)، تحقيق : فهيم محمد شلتوت (قم - إيران ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) .
- ❖ الشربيني ، محمد (٩٧٧هـ / ١٥٩٠م).
١٢٢. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة . مصر، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م) .
- ❖ الشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي (٤٠٦هـ / ١١٠٣م) .
١٢٣. خصائص الأئمة ، تحقيق وتعليق : الدكتور محمد هادي الأمين (مجمع البحوث الإسلامية ، مشهد المقدسة - إيران ، ١٤٠٦هـ / ١٩٩٦م) .
- ❖ شمس الدين الجزري ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (٧٣٨هـ / ١٣٣٦م) .
١٢٤. حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أنبائه ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري (ط١ ، المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) .

- ❖ ابن شهر آشوب، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني (١١٩٢/هـ ٥٨٨ م).
١٢٥. مناقب آل أبي طالب ، تصحيح وشرح لجنة من أساتذة النجف (المطبعة الحيدرية ، النجف . العراق ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م).
- ❖ الشهرستاني، ابي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٥٤٨ هـ).
١٢٦. الملل والنحل، تحقيق : محمد سيد غيلاني (دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، د. ت.) .
❖ الشوكاني ، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني (١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م) .
١٢٧. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، (دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٣) .
- ❖ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي (٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م) .
١٢٨. المصنف ، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام(ط ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت / لبنان ، ١٤٠٩ / ١٩٨٩ م) .
- ❖ ابن شيخ الحزامين ، عماد الدين أحمد بن ابراهيم الواسطي (٧١١ هـ / ١٣٠٩ م) .
١٢٩. التذكرة والاعتبار والانتصار للإبرار ، تحقيق : علي حسن علي عبد الحميد (ط ١ ، نشر مكتبة ابن الجوزي ، الإحساء . السعودية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
- ❖ الصالحي الشامي ، محمد بن يوسف (٩٤٢ هـ / ١٥٣٥ م) .
١٣٠. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق : عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
- ❖ ابن الصباغ ،علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي (٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) .
١٣١. الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، تحقيق: سامي الغريبي (ط ١ ، دار الحديث ، قم المقدسة . ايران ، ١٤٢٢ هـ) .
- ❖ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ / ٨٩٤ م) .
١٣٢. الأمالي ، تحقيق : قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة (ط ١ ، قم المقدسة . ايران ، ١٤١٧ هـ / ٢٠٠٧ م) .
١٣٣. الخصال ،تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري (جماعة المدرسين ، قم المقدسة - ايران ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٩٣ م) .

- ❖ الصفدي ، صلاح الدين خليل أبيك (١٣٦٢/ هـ ٧٦٤ م) .
- ١٣٤ . أعيان العصر وأعيان النصر (اسطنبول . تركيا ، د.ت.) .
- ١٣٥ . الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى ، (دار احياء التراث ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) .
- ❖ ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (١٢٤٥ / هـ ٦٣٤ م) .
- ١٣٦ . علوم الحديث ، تحقيق : نور الدين عتر (دار الفكر ، دمشق . سوريا ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م)
- ❖ الطبراني ، أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) .
- ١٣٧ . المعجم الأوسط ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد و أبو الفضل عبد الحسن بن إبراهيم الحسيني (دار الحرمين ، السعودية ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥) .
- ١٣٨ . المعجم الصغير ، (ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ١٣٩ . المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، (ط٢ ، دار احياء التراث ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م) .
- ❖ الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (١١٥٣ / هـ ٥٤٨ م) .
- ١٤٠ . الاحتجاج ، تعليق : محمد باقر الخراسان (دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف . العراق ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م) .
- ١٤١ . مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، (ط١ ، منشورات مؤسسة الأعلمي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
- ❖ الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) .
- ١٤٢ . تاريخ الرسل والملوك (ط٤ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٩٣ م) .
- ١٤٣ . جامع البيان جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطار (دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
- ❖ الطبري الشيعي ، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير (ق٥٥ / ق١١ م) .
- ١٤٤ . دلائل الإمامة ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة (ط١ ، مؤسسة البعثة ، قم المقدسة . ايران ، ١٤١٣ هـ) .
- ١٤٥ . المسترشد في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، تحقيق : أحمد المحمودي (ط١ ، مؤسسة الثقافة الإسلامية ، قم . ايران ، ١٤١٥ هـ) .

- ❖ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن ، (١٠٦٧/هـ / ١٠٦٧ م) .
- ١٤٦ . اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تصحيح وتعليق : ميرداماد الاسترادي ، تحقيق السيد مهدي الرجائي (مؤسسة آل البيت عليهم السلام ، قم . ايران ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م) .
- ١٤٧ . الاقتصاد (منشورات مكتبة جامع چهلستون ، طهران . ايران ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠) .
- ❖ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد بن محمد أحمد بن عبد البر النمري (١٠٧٠/هـ / ١٠٧٠ م) .
- ١٤٨ . الاستذكار ، تحقيق : سالم محمد عطا ومحمد علي معوض (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) .
- ١٤٩ . الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي (ط١، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) .
- ١٥٠ . جامع بيان العلم (دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧ م) .
- ❖ ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد الأندلسي (٤٢٨ هـ / ٩٤١ م) .
- ١٥١ . العقد الفريد ، تصحيح : محمد أمين (القاهرة . مصر ، ١٩٤٩ م)
- ❖ عبد الرزاق الصنعاني ، ابو بكر عبد الرزاق بن همام (٢١١ هـ / ٨٢٦ م) .
- ١٥٢ . المصنف ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، (ط١ ، المجلس العلمي ، بيروت . لبنان ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م) .
- ❖ ابن عبد الهادي ، محمد بن أحمد الصالحي (٧٤٤ هـ / ١٣٤٨ م) .
- ١٥٣ . طبقات علماء الحديث ، تحقيق : أكرم البوشي و ابراهيم الزبيق (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د.ت) .
- ١٥٤ . العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني ، (ط ١ ، دار الفاروق ، القاهرة . مصر ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م) .
- ❖ العجلوني ، إسماعيل بن محمد الجراحي (١١٦٢ هـ / ١٧٧٢ م) .
- ١٥٥ . كشف الخفاء (ط٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
- ❖ العجلي ، أبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (٢٦١ هـ / ٨٧٨ م) .
- ١٥٦ . معرفة الثقات ، (ط ١ ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة . السعودية ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .

- ❖ ابن عدي ، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (٣٦٥هـ / ٩٧٥ م) .
- ١٥٧ . الكامل في ضعفاء الرجال ، تحقيق سهيل زكار (ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، محرم ١٤٠٩ / ١٩٨٨ م) .
- ❖ ابن العربي ، محمد بن عبد الله بن محمد (٥٤٣هـ / ١١٤٨ م) .
- ١٥٨ . أحكام القرآن، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، د.ت .) .
- ❖ ابن عربي ، أبو عبد الله محمد بن علي المعروف الحاتمي (٦٣٨هـ / ١٢٤٠ م) .
- ١٥٩ . تفسير ابن عربي ، تحقيق : عبد الرزاق محمد علي (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) .
- ❖ ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) .
- ١٦٠ . تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : علي شيري (ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
- ❖ ابن عطية الأندلسي، ابو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب (٥٤٦هـ / ١١٥١ م) .
- ١٦١ . المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م) .
- ❖ ابن عقدة الكوفي، أبو العباس أحمد ابن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن إبراهيم (٣٣٣هـ / ٩٤٣ م) .
- ١٦٢ . فضائل امير المؤمنين ، جمع وترتيب: عبد الرزاق محمد حسين فيض الدين (ط ١ ، قم - ايران ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .
- ❖ العقيلي ، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي (٣٢٢هـ / ٩٣٣ م) .
- ١٦٣ . الضعفاء الكبير، تحقيق : عبد المعطى أمين قلنجي (ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .
- ❖ الإمام علي (عليه السلام) (٤٠هـ / ٦٦٤ م) .
- ١٦٤ . نهج البلاغة (ط ٤ ، مؤسسة أنصاريان للنشر، قم المقدسة . ايران ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م) .

- ❖ العليمي ، ابو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي الدمشقي (ت) ١٦٥ . المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام احمد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط (ط ١) ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧) .
- ❖ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (١٧٠٠م / ١٠٨٩هـ) . ١٦٦ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط و محمود الأناؤوط (ط ١) ، دار ابن كثير ، دمشق . سوريا ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .
- ❖ ابو عمر الداني ، عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ (٤٤٤هـ / ١٠٥٢م) . ١٦٧ . البيان في عد آي القرآن ، تحقيق : غانم قدوري الحمد (ط ١) ، مركز المخطوطات والتراث ، الكويت ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) .
- ❖ عمرو بن عاصم ، ابو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت) ٢٨٧هـ / ٩٠٠م) . ١٦٨ . كتاب السنة (ط ٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .
- ❖ العمري ، أحمد بن يحيى بن فضل الله (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) . ١٦٩ . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (اسطنبول . تركيا ، د.ت) .
- ❖ العيني ، أبو محمد محمود بن أحمد (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) . ١٧٠ . عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ، (دار احياء التراث ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ❖ القتال النيسابوري ، محمد بن القتال (٥٠٨هـ / ١١١٤م) . ١٧١ . روضة الواعظين ، تقديم : محمد مهدي السيد حسن الخرسان (منشورات الرضي ، قم - إيران ، د.ت) .
- ❖ الغرناطي الكلبى ، ابو عبد الله محمد بن القاسم ابن أحمد بن محمد بن جزي الكلبى (٧٤١هـ / ١٣٤٠م) . ١٧٢ . التسهيل لعلوم التنزيل (ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- ❖ ابو الفتح اليعمرى ، محمد بن عبد الله بن أحمد (٧٣٤هـ / ١٣٣٥م) . ١٧٣ . أجوبة بن سيد الناس ، تحقيق : محمد الراوندي (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .
- ❖ الفتني ، محمد طاهر بن علي الهندي الفتني (٩٨٦هـ / ١٥٧٨م) .

١٧٤. تذكرة الموضوعات (د.م ، د.ت) .
- ❖ الفخر الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي (٦٠٦ هـ / ١٢٢٣ م) .
١٧٥. تفسير الرازي (ط٣ ، د.م ، د.ت) .
١٧٦. المحصول في علم أصول الفقه ، دراسة وتحقيق : طه جابر فياض العلواني ، (ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
- ❖ ابو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (٣٥٦ هـ/٩٦٦ م).
١٧٧. مقاتل الطالبين ،تقديم واشراف : كاظم المظفر (ط ٢ ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم - إيران ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .
- ❖ الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي (٧٧٠ هـ / ١٣٦٩ م) .
١٧٨. نثر الجمان في تراجم الأعيان (دار الكتب ، د.م ، د.ت) .
- ❖ القاضي الجرجاني ، علي بن محمد (٧١٦ هـ / ١٣١٧ م) .
١٧٩. شرح المواقب ، (ط١، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م) .
- ❖ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، (٢٧٦ هـ/٨٨٩ م) .
١٨٠. الإمامة والسياسة ، تحقيق : طه محمد الزيني ، (مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) .
١٨١. تأويل مختلف الحديث (دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د.ت).
١٨٢. المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، (دار المعارف ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م) .
- ❖ ابن قدامة ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م).
١٨٣. الشرح الكبير (دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
١٨٤. المغني (دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ❖ القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٦٧١ هـ/١٢٧٢ م).
١٨٥. تفسير القرطبي ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني (ط ٢ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
- ❖ قطب الدين الراوندي ، سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن (٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م).
١٨٦. الخرائج والجرائح (ط ١ ، مؤسسة الإمام المهدي (ع) للنشر، قم المقدسة . إيران ، ١٤٠٩ هـ).

- ❖ القمي ، أبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م) .
- ١٨٧ . تفسير القمي ، تصحيح : طيب الجزائري (ط ٣ ، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ، قم المقدسة . إيران ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) .
- ❖ القندوزي ، سليمان بن إبراهيم الحنفي (١٢٩٤ هـ / ١٨٧٧ م) .
- ١٨٨ . ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقيق : سيد علي جمال أشرف الحسيني (دار الأسوة للطباعة والنشر ، إيران ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) .
- ❖ القيرواني ، ابن أبي زيد (٣٨٩ هـ / ١٠٠٨ م) .
- ١٨٩ . رسالة ابن أبي زيد ، جمع المحقق : صالح عبد السميع الآبي الأزهري (المكتبة الثقافية ، بيروت - لبنان) .
- ❖ ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) .
- ١٩٠ . الباعث الحثيث ، تحقيق : أحمد شاکر ، (دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د.ت .) .
- ١٩١ . البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري (ط ١ ، دار احياء التراث ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
- ١٩٢ . تفسير ابن كثير ، تقديم : يوسف عبد الرحمن المرعشلي (دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
- ❖ الكحلاني ، محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني (١١٨٢ هـ) .
- ١٩٣ . سبل السلام ، تحقيق : محمد عبد العزيز الخولي (ط ٤ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٧٩ - ١٩٦٠ م) .
- ❖ الكراجكي ، أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان (٤٤٩ هـ / ١٠٥٦ م) .
- ١٩٤ . الاستتصار في النص على الأئمة الأطهار (ط ٢ ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- ❖ ابن كرامة ، سعيد بن المحسن بن كرامة (٤٩٤ هـ / ١١٠١ م) .
- ١٩٥ . تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ، تحقيق : تحسين آل شبيب الموسوي (ط ١ ، نشر مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) .
- ❖ الكليني ، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (٣٢٩ هـ / ٩٥٠ م) .

١٩٦. الكافي ، تصحيح وتعليق :علي أكبر الغفاري (ط ٣ ، دار الكتب الاسلامية طهران - ايران، ١٣٨٨هـ/ ١٩٤٦م) .
- ❖ الكوفي ، محمد بن سليمان القاضي (ق ٣ هـ / ق ٩ م) .
١٩٧. مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، تحقيق : محمد باقر المحمودي (ط ١ ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، قم المقدسة . إيران ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م) .
- ❖ ابو الليث السمرقندي ، نصر بن محمد بن ابراهيم (٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م) .
١٩٨. تفسير السمرقندي ، تحقيق : محمود مطرجي (دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ❖ ابن ماجة ، ابي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) .
١٩٩. سنن ابن ماجة ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي (ط ١ ، دار الفكر ، بيروت . لبنان ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) .
- ❖ مالك ، أبو عبد الله الامام مالك بن أنس الأصبحي (١٧٩ هـ / ٧٩٧ م) .
٢٠٠. المدونة الكبرى ، (دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، د.ت) .
- ❖ الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) .
٢٠١. الأحكام السلطانية ، تصحيح : محمد حامد الفقي (ط ٢ ، مركز الاعلام الإسلامي ، مصر ، ١٤٠٦ هـ) .
- ❖ المباركفوري ، أبو العلام محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم (١٣٥٣ هـ /) .
٢٠٢. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .
- ❖ ابن المبرد ، أبي المحاسن يوسف بن الحسن بن عبد الهادي المعروف (٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م) .
٢٠٣. بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ، تحقيق وتعليق : روحية عبد الرحمن السويفي (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ❖ المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م) .
٢٠٤. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة ، ضبط تصحيح بكري حياني ، صفوة السفا (مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) .

- ❖ المجلسي ، محمد باقر (١١١١ هـ / ١٦٩٩ م).
- ٢٠٥ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، (ط ١ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) .
- ❖ . المحب الطبري ، محب الدين أحمد بن عبد الله (٦٩٤ هـ / ١٢٩٧ هـ) .
- ٢٠٦ . ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى (نشر مكتبة القدسي ، القاهرة - مصر ، ١٣٥٦ هـ / ١٩٦٣ م) .
- ❖ محمد بن طلحة الشافعي (٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م) .
- ٢٠٧ . مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ، تحقيق : ماجد أحمد العطية (دم ، د.ت) .
- ❖ ابو مخنف ، لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي الغامدي (١٥٧ هـ / ٧٧٤ م) .
- ٢٠٨ . مقتل الحسين ، تحقيق : الحسن الغفاري ، (المطبعة العلمية ، قم المقدسة - ايران ، د.ت) .
- ❖ ابن مردويه ، أبي بكر أحمد بن موسى ابن مردويه الإصفهاني (٤١٠ هـ / ١٠١٩ م) .
- ٢٠٩ . مناقب الإمام علي (عليه السلام) ، جمع تحقيق عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ، (ط ٢ ، دار الحديث ، قم المقدسة - ايران ، ١٤٢٢ هـ) .
- ❖ المزي ، أبي الحجاج يوسف المزي (٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) .
- ٢١٠ . تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : بشار عواد معروف ، (ط ٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م) .
- ❖ مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) .
- ٢١١ . الجامع الصحيح (ط ١ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، د.ت) .
- ❖ ابن المغازلي ، أبو الحسن علي بن محمد الواسطي (٤٨٣ هـ / ١٠٩٠ م) .
- ٢١٢ . مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ط ١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) .
- ❖ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) .
- ٢١٣ . الإرشاد في معرفة حجج الله علي العباد ، تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لتحقيق التراث دار المفيد (ط ٢ ، دار المفيد ، بيروت - لبنان ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) .
- ٢١٤ . الجمل (ط ٢ ، مكتبة الداوري ، قم - ايران ، د : ت) .

- ❖ المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي (٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) .
- ٢١٥ . إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق وتعليق : محمد عبد الحميد النميسي (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م)
- ❖ المناوي ، محمد عبد الرؤوف (١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م) .
- ٢١٦ . فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير ، ضبط وتصحيح : احمد عبد السلام (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م) .
- ❖ المنقري ، نصر بن مزاحم (٢١٢ هـ / ٨١٧ م) .
- ٢١٧ . وقعة صفين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون (ط ٢ ، المؤسسة العربية للنشر ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٧٢ م) .
- ❖ ابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، ت (٧١١ هـ / ١٣١١ م) .
- ٢١٨ . لسان العرب ، تقديم : أحمد فارس ، (ط ١ ، نشر أدب الحوزة ، قم . ايران ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م) .
- ❖ ابن المنير الأسكندري ، ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي (٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م) .
- ٢١٩ . الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م) .
- ❖ الموفق الخوارزمي ، الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي (٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م) .
- ٢٢٠ . المناقب ، تحقيق : مالك المحمودي (ط ٢ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم المقدسة . ايران ، ١٤١٤ هـ) .
- ❖ النحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي (٣٣٨ هـ / ٩٤٩ م) .
- ٢٢١ . معاني القرآن الكريم ، تحقيق : محمد علي الصابوني (ط ١ ، معهد البحوث العلمية وأحياء التراث الاسلامي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م) .
- ❖ النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) .

٢٢٢. خصائص أمير المؤمنين ، تحقيق : محمد هادي الأميني (مكتبة نينوى الحديثة ، طهران - إيران) .
٢٢٣. السنن الكبرى ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن (ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م)
٢٢٤. الضعفاء والمتروكين ، تحقيق محمود إبراهيم زايد (ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .
٢٢٥. فضائل الصحابة، (دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان) .
٢٢٦. كتاب الوفاة ، تحقيق محمد السعيد زغلول ، (ط ١ ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة . مصر) .
- ❖ النعمان المغربي ، أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م) .
٢٢٧. دعائم الإسلام ، تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي (دار المعارف ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) .
٢٢٨. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجالي (ط ٢ ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة . إيران ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .
- ❖ ابو نعيم الأصبهاني ، أحمد بن عبدالله (٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) .
٢٢٩. حلية الأولياء ، تحقيق : فاروق حمادة (دار الثقافة ، الدار البيضاء . المغرب) .
- ❖ النووي ، ابي زكريا محيي الدين بن شرف النووي (٦٧٦ هـ / ١٢٦٦ م) .
٢٣٠. المجموع شرح المذهب (دار الفكر ، بيروت . لبنان ، د.ت) .
- ❖ النووي ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م) .
٢٣١. نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين (ط ١ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ٢٠٠٤ م) .
- ❖ ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) .
٢٣٢. السيرة النبوية ، تحقيق وضبط وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد (المدني ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) .
- ❖ ابو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ، (٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) .
٢٣٣. معجم الفروق اللغوية ، تحقيق : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين (ط ١ ، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة . إيران ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) .

- ❖ الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) .
- ٢٣٤ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .
- ❖ الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨ هـ / ١٠٧٥م) .
- ٢٣٥ . اسباب النزول ، (ط ١ ، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .
- ❖ الواحدي آشي، شمس الدين محمد بن جابر الواحدي آشي التونسي (٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) .
- ٢٣٦ . برنامج الواحدي آشي ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة (د. ط ، تونس ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١) .
- ❖ الواحدي ، محمد بن عمر (٢٠٧هـ / ٨٢٢م) .
- ٢٣٧ . المغازي ، تحقيق : مارسدن جونز (ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .
- ❖ ولي الدين العراقي ، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (٨٢٦هـ / ١٤٢٣م) .
- ٢٣٨ . الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية ، تحقيق : محمد تامر (نشر مكتبة التوعية الإسلامية ، الجيزة . مصر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) .
- ❖ ياقوت الحموي ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (٦٢٦هـ / ١٣٦٦م) .
- ٢٣٩ . معجم البلدان ، (دار إحياء التراث العربي،بيروت - لبنان ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .
- ❖ اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (٢٨٩هـ / ٨٩٧م) .
- ٢٤٠ . تاريخ اليعقوبي، (دار صادر - بيروت - لبنان) .
- ❖ ابو يعلى ، محمد بن الحسين الفراء (٤٥٨هـ / ١٠٦٥م) .
- ٢٤١ . الأحكام السلطانية تصحيح : محمد حامد الفقي (ط٢ ، مركز الإعلام الإسلامي ، مصر ، ١٤٠٦هـ) .
- ❖ ابو يعلى الموصلی ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي (٣٠٧هـ / ٩١٩م) .
- ٢٤٢ . مسند أبي يعلى الموصلی ، تحقيق : حسين سليم أسد (دار المأمون للتراث، دمشق . سوريا) .

ثانياً : المراجع

- ❖ الأسدي ، حميد سراج .
 ٢٤٣ . الفكر الاختباري في نهج البلاغة ، (ط ١ ، دار ومكتبة البصائر ، بيروت لبنان ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) .
- ٢٤٤ . الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول (دار تموز، ٢٠١٢م) .
- ❖ الألباني ، محمد ناصر الدين .
 ٢٤٥ . ضعيف سنن الترمذي، اشراف : زهير الشاويش (ط ١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت . لبنان ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م) .
- ❖ الأميني ، عبد الحسين احمد الأميني النجفي .
 ٢٤٦ . الغدير في الكتاب والسنة والأدب (ط ٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .
- ٢٤٧ . أبو هريرة ، (مؤسسة أنصاريان ، قم المقدسة . ايران) .
- ❖ التستري ، محمد تقي .
 ٢٤٨ . قاموس الرجال ، تحقيق : مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم المقدسة . ايران ، ١٤١٩ هـ) .
- ❖ التهامي ، عبد الله .
 ٢٤٩ . موقف الإمام ابن تيمية من آل البيت ، (جامعة الجزائر ، مجلة كلية أصول الدين ، العدد الأول ، السنة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م) .
- ❖ ابو حبيب سعدي
 ٢٥٠ . القاموس الفقهي (ط ٢ ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
- ❖ حجتي ، محمد باقر .
 ٢٥١ . ابن عباس ومكانته في التفسير والمعارف الأخرى ، (دار الروضة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .
- ❖ الحكيم ، محمد باقر .
 ٢٥٢ . علوم القرآن ، (ط ٤ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) .
- ❖ الحيدري ، السيد كمال .

٢٥٣. السلطة وصناعة الوضع ، (ط ١ ، مؤسسة بضعة الرسول ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م).

٢٥٤. معالم الإسلام الأموي من القدح بالعترة النبوية إلى استباحتها (مؤسسة الهدى للطباعة والنشر ، بيروت . لبنان ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م) .

❖ الذهبي ، محمد حسين .

٢٥٥. التفسير و المفسرون (مكتبة وهبة ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٦ م) .

❖ ابورية ، محمود .

٢٥٦. أضواء على السنة المحمدية (ط ٥ ، دار البيطاء ، مصر) .

٢٥٧. شيخ المضيرة ابو هريرة (ط ٣ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات ، بيروت - لبنان) ، ٢٢٩ .

❖ السبحاني ، جعفر

٢٥٨. ابن تيمية فكرا ومنهجا (مؤسسة الصادق ، قم المقدسة . ايران ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٣ م) .

❖ السمهودي ، رائد .

٢٥٩. نقد الخطاب السلفي (ابن تيمية أنموذجا) ، (ط ١ ، طوى للنشر والثقافة ، لندن ، ٢٠١٠ م) .

❖ سيد سابق .

٢٦٠. فقه السنة (دار الكتاب العربي ، بيروت . لبنان) .

❖ الشرقاوي ، عبد الرحمن .

٢٦١. الفقيه المعذب ، (دار الشروق ، القاهرة - مصر ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) .

❖ الشهرهاني ، حسين علي عبد الحسين

٢٦٢. التغيير في السياسة المالية للدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي (عليه السلام) ، (ط ١ ، تموز للطباعة والنشر ، دمشق - سوريا ، ٢٠١٣ م) .

❖ شمس ، محمد عزيز ، العمران ، علي بن مجيد .

٢٦٣. الجامع لسيرة ابن تيمية خلال سبعة قرون ، اشرف وتقديم : بدر بن عبد العزيز أبو زيد ، (ط ٢ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢ هـ) .

❖ الصالح ، صبحي .

٢٦٤. النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، (ط ١ ، منشورات الشريف الرضي ، ايران ، ١٤١٧ هـ) .

- ❖ ابن الصديق المغربي ، أحمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي .
 ٢٦٥ . فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ، تحقيق : محمد هادي الأميني (ط ٣ ،
 مكتبة الإمام أمير المؤمنين (ع) العامة ، أصفهان - إيران ، ١٤٠٣ هـ) .
 ❖ الطباطبائي، عبد العزيز .
 ٢٦٦ . رسالة في طرق حديث من كنت مولاه (د.م، د.ت) .
 ❖ الطباطبائي ، محمد حسين .
 ٢٦٧ . الميزان في تفسير القرآن (منشورات جماعة المدرسين ، قم - إيران ، د.ت .) .
 ❖ الطباطبائي ، مصطفى حسين .
 ٢٦٨ . فتح البيان فيما روي عن علي من تفسير القرآن ، مراجعة : سعد رستم (د.م ، د.ت).
 ❖ العاملي ، جعفر مرتضى.
 ٢٦٩ . الصحيح من سيرة الرسول (ط ٤ ، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ /
 ١٩٩٥ م) .
 ❖ عبد الحميد ، صائب .
 ٢٧٠ . ابن تيمية في صورته الحقيقية ، (الغدير للدراسات والنشر، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ /
 ١٩٩٥ م) .
 ٢٧١ . منهج في الانتماء المذهبي (ط ٥ ، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، قم المقدسة - إيران ،
 ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .
 ❖ فتح الله ، أحمد .
 ٢٧٢ . معجم الفاظ الفقه الجعفري (ط ١ ، مطابع المدوخل ، الدمام . السعودية ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م)
 .
 ❖ فلسفي ، محمد تقي .
 ٢٧٣ . الطفل بين الوراثة والتربية ، تعريب وتعليق فاضل الحسيني الميلاني (ط ٢ ، دار سبط النبي
 ، قم - إيران ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥) .
 ❖ قلعي ، محمد .
 ٢٧٤ . معجم لغة الفقهاء (دار النفائس ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
 ❖ القيسي ، احمد مناف .

٢٧٥. أثر الإمام علي بن ابي طالب في التفسير (مجلة كلية التربية للبنات . جامعة تكريت ، العدد ٤ ، ٢٠١٠م)
- ❖ **الكثيري ، محمد .**
٢٧٦. السلفية بين السنة والشيعة ، (ط . ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م).
- ❖ **المامقاني ، عبد الله.**
٢٧٧. تنقيح المقال في علم الرجال ، تحقيق : محي الدين المامقاني (نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، دم ، د.ت.) .
- ❖ **مرتضى العسكري .**
- أحاديث ام المؤمنين ، ط ٥ ، التوحيد للنشر ، ايران ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) .
- ❖ **المرعشي ، شهاب الدين النجفي .**
٢٧٨. شرح احقاق الحق ، (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، قم المقدسة - إيران .)
- ❖ **مركز الرسالة**
٢٧٩. خلافة الرسول (ط١، نشر مركز الرسالة ، قم المقدسة. ايران ، ١٤١٧ هـ) .
- ❖ **المياحي ، شكري ناصر .**
٢٨٠. الإمام علي (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري (ط ١ ، دار الفيحاء للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م) .
- ❖ **الميلاني ، علي الحسيني .**
٢٨١. در اسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية مدخل لشرح منهاج الكرامة (ط١، قم المقدسة- ايران ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) .
- ٢٨٢.رسالة في الأحاديث الواردة في الخلفاء على الترتيب " (ط ١ ، يازان ، قم . ايران ، ١٤١٨ هـ).
٢٨٣. رسالة في حديث الإقتداء (ط ١ ، قم المقدسة ، ايران ، ١٤١٨ هـ/١٩٩٨ م) .
٢٨٤. رسالة في صلاة أبي بكر ، (ط١ ، قم المقدسة . إيران ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .
- ❖ **نجمان، ياسين .**

٢٨٥. تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين ، (ط ١ ، الموصل . العراق ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م) .

❖ النصر الله ، جواد كاظم .

٢٨٦. هيئة كتابة التاريخ برئاسة معاوية (مجلة رسالة الراشدين ، العدد الخامس ، السنة الثانية ، البصرة . العراق ، ٢٠٠٨ م) .

❖ النقوي ، حامد حسين اللكهنوي

٢٨٧. عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار ، تحقيق : علي الميلاني (قم المقدسة . ايران ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .

❖ الوردي ، علي .

٢٨٨. وعاظ السلاطين ، (ط ٢ ، دار كوفان ، لندن . بريطانيا ، ١٩٩٥ م) .

ثالثاً : الرسائل والأطاريح

❖ الجابري ، علي رحيم أبو الهيل .

٢٨٩. السياسة الأموية المضادة للإمام علي (دراسة في سياسة السب) ، (رسالة ماجستير غير منشورة . كلية التربية . جامعة البصرة ، ٢٠٠٨ م) .

❖ العامري ، ذكري عواد .

٢٩٠. الفكر الاقتصادي في نهج البلاغة ، (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية . جامعة البصرة ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م) .

❖ العيساوي ، علاء كامل .

٢٩١. النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي (عليه السلام) (٣٥ هـ / ٤٠ هـ) ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، (كلية الآداب . جامعة البصرة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) .

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Basra University- College of Education

**Ibn Taymiyyah's philosophy in dealing with personal
Imam Ali, "peace be upon him" (study in the book of
the sunah Platform**

Thesis submitted by the student

Ali Rahim Abu Hail Jabri

**To the Board of the Faculty of Education, University of
Basra**

**It is part of the requirements to earn a Ph.D. in Islamic
history**

Under the supervision of

.Prof. Dr

Hamid Siraj Jaber al-Asadi

2015 A.D

1436 A.H

